كتابة الحديث النبوي

وجمعه وتدوينه

وصفات أهله

دكتور

كمال الدين عبد الغني المرسي

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية التربية – جامعة الإسكندرية

دار الإيمان

للنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط – مصطفى كامل

ت : ٥٤٥٧٧٦٩

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

كتابة الحديث النبوي

وجمعه وتدوينه

وصفات أهله

دكتور

كمال الدين عبد الغني المرسي

مدرس الدراسات الإسلامية

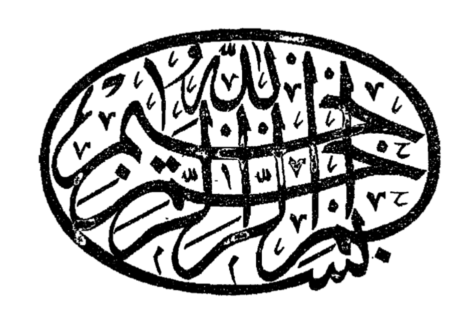
كلية التربية – جامعة الإسكندرية

دار الإيمان

للنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط – مصطفى

ت : ٥٤٥٧٧٦٩



وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

" صدق الله العظيم "


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد .

فإن غرضنا من هذا الكتاب أن نبين للناس بطلان دعوى أن السنة لم تكتب فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وأنها كُتبت بعد وفاته عليه السلام بمائة عام فى أيام عُمر بن عبد العزيز ، حين دعا عمّاله فى الأقاليم إلى جمع أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وتدوينها فى الكتب.

والصحيح أن السنّة كانت تُكتب فى عصره صلى الله عليه وسلم وبعلْمِه ، ولكن هذه الكتابة لم يُقْصَدْ بها أن تُقَدَّمَ للناس فى كتاب كالقرآن ، حتى لا يختلطَ كلامُه بكلام الله عز وجل ، ثم إن الناس فى هذا الزمان لم تكن الكتابةُ فاشيةً بينهم ، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منهم الحفظ ولم يطلب منهم الكتابة لأنهم كانوا يُجيدون الحفظ ، وأَمْرُهم فى ذلك مشهورٌ معروفٌ .

ولقد استغلَّ بعضُ أعداءِ الدينِ هذه الحقيقةَ فى إشاعة أن السنن لم تُكتب إلا بعد موته صلى الله عليه وسلم بقرن من الزمان ، يبغون من وراء ذلك ، التشكيك فى صحة أحاديثه صلى الله عليه وسلم وما بين أيدينا من ثروة ضخمة من السنة المكتوبة ، مستغلين فى ذلك قلة وعى أبناء المسلمين فى العهد الخاص بدينهم الحنيف وإلمامهم بتاريخه ولقد سرت تلك الدعوى فى نفوس بعض الضعفاء واعتقدوا أنه لم تكن هناك

كتابة بالمرة لسُنن النبى صلى الله عليه وسلم لاسيما أنه قد ورد فى أخباره صلى الله عليه وسلم أنه قد نهى صحابته عن كتابة حديثه . وأمرهم بكتابة القرآن فقط . ونسوا أنه فى آخر حياته صلى الله عليه وسلم أباح للناس الكتابة عنه فقال : (اكتبوا لأبى شاة) ، ثم قال : (قَيِّدوا العلمَ بالكتاب) .

ولقد وجدت من الأخبار ما يفيد أنّ السنّة كانت تكتب بعلمه صلى الله عليه وسلم حيثُ قدْ أذن لبعض صحابته بالكتابة عنه وصرح لهم فى ذلك ، فكتب علىّ بن أبى طالب ، وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص، وكتب أنس بن مالك ، وكتب عمرو بن حزم الأنصارى وكتب غيرهم .

وتدل الآثار على أن الكتابة نمت فى أواخر عصر الصحابة ، ودعا بعضهم إلى كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحث طلبةَ العلمِ على تدوينِ السننِ ، وكان الغرضُ من ذلك تذكرَ العلمِ ، ولم يكن لتقديم كتابٍ بِعَيْنِه فى السنة للناس كى يقال : هذا كتابُ السنة ، فيتكل الناس عليه وربما يَدَعُون القرآنَ باتكالهم على ما فى السنة من أحاديث .

ولهذا نجد الصحابةَ كانوا يَخْشون على الناس من وجود كتاب فى السنة ، فكانوا يلجأون إلى حرق الصحف المدوّن فيها الحديث بالنار أو غسلها بالماء ، وقد طلب عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الناس أن يأتوه بما كتبوا من الحديث فلما أَتَوْه بها حرقها ، وكذلك فعل ابن مسعود وقال : بهذا أهلّك أهل الكتاب قبْلكم . حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون . كما روى كذلك أن أبا موسى الأشعرى حين علمَ أنّ غلامه كان يكتب حديثه قال له ائتنى بكل شيء كتبته فأتاه به

فمحاه ثم قال له احفظْ كما حفظْت »

وهذه الأخبار ومثلها كثير تدل فى وضوح على أنهم كانوا يكتبون الحديثَ النبوى الشريف لكن كتابتَهم له كانت من أجل تزجية الحفظ فقط ، كى تساعدهم على التذكر وعدم النسيان ، فمن كان يكتب كان فى الأصل حافظا ، وكتابته لاتعدو أن تكون مُعِيناً له فى حياته على التذكر لا من أجل التأليف .

وقد ورِثَ التابعون عن الصحابة علومَهم وفَهِمُوا عنهم أنَّ الحفظ قبل الكتاب . وكان من التابعين من يكتبُ ويدونُ العلم ، إلى أن جاء عمر ابن عبد العزيز رضىَ الله عنه على رأس المئة الثانية من الهجرة وأمر عماله فى الأمصار بكتابة كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان التدوين العام للسنة النبوية ورَفْعُ الحرَجِ عن الأمة الإسلامية فى كتابةِ الأحاديثِ النبويةِ والأخبار المصطفويةِ ، فمن أين يكون إذن انقطاع الكتابة ؟ !

وأوَّلُ مَنْ دوَّنَ العلمَ وكتبه فى الكتب هو ابن شهاب الزهرى (ت سنة ١٢٤) ، وابن شهاب عدَّه الذهبى من الطبقة الرابعة ، طبقة صغار التابعين وقد رأى عشرة من الصحابة ، وذلك مشهور ، إلا أننا وجدنا من التابعين ، قبْله من كان يكتب ويعلم طلبتَه كيفيةَ كتابةِ العلمِ كالحسن ابن أبى الحسن يسار البصرى (ت ١١٠)

ومن بعد الزهرى جاء مالكُ بنُ أنسٍ ليقدم للناس أول كتاب فى السنة النبوية وهو الموطّأ، وقد وصفه الشافعى بأنه أصحُّ كتابٍ ظهر على الأرض بعد كتاب الله تعالى . ثم توالت الكتب من بعد ذلك بحيث لم يكد

ينتهى القرن الثالث الهجرى إلا وقد جمع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتب ، واشتهر منها الكتب الستة المعروفة

مما سبق يتبين لنا أن الكتابة لم تنقطع على مدى القرون الثلاثة الأولى ، فمن قال إن الكتابة لم تكن موجودة فى عصر النبى . ولا فى عصر الصحابة فمن بعدهم إلى أن ظهر الزهرى ، قلنا : بل كانت الكتابة موجودة ، لكنها كانت تمثل جهودا فردية لم يُقْصَدْ بها أن تُقَدَّمْ للناس كُتُباً حتى لايتكلوا على الكتب ويدعوا الحفظ فالحفظ عندهم أولا ، وهو أوثق من الكتاب فى مفهومهم ، أما كتابة الزهرى فكانت مطلوبة فى وقتها لحفظ السنة وتقديمها للناس وتعليمها لهم ، وذلك لذهاب الحفاظ حين أسرع فيهم الموت ولأن الناس قد عرفوا القرآن تمام المعرفة ولم يعد يُخْشَى عليهم من تقديم كتاب فى السنّة حينئذ .

ومن أجل توضيح هذا المعنى الدقيق رأيت أن أتتبّعَ ملحمةَ كتابةِ السنّة على مدى تلك القرون الثلاثة الفاضلة ، على الطبقات وخلالَ العصور ، فجعلت تقسيم بحثى على النحو التالى :

الفصل الأول :

كتابة الحديث فى القرن الأول الهجرى :

أولا – فى العصر النبوى

ثانيا فى عصر الصحابة .

ثالثا - فى عصر كبار وأواسط التابعين

ثم الفصل الثانى

كتابة الحديث فى القرن الثانى

- عصر صغار التابعين وأتباع التابعين .

ثم الفصل الثالث :

وخصصته للكلام على ظهور الوضع والكذب فى الحديث النبوى إبان القرن الثانى الهجرى وكيف تم القضاء على تلك الظاهرة .

ثم الفصل الرابع : وفيه: كتابةُ الحديثِ النبوىِ فى القرن الثالثِ الهجرى

- عصر تبع أتباع التابعين .

وأخيرا الفصل الخامس وفيه: الكلامُ عن صفاتِ أهلِ الحديثِ وهم العلماءُ الذين تَحَمَّلوا هذا العلم وضربوا أروع الأمثلة فى الحفاظ على السنّة النبوية وتبليغها للناس مُبَرّأةً من كل عيب .

وفى نهاية البحث تأتى الخاتمةُ متضمنةً لأهمِ النتائجِ التى توصَّل إليها البحث .

على أننى قد التزمتُ فى كل ذلك جانبَ الاختصارِ وعدمِ التطويلِ فى ذكر الآثارِ والأخبارِ ، عسى أن أكونَ قد وُفقت إلى توضيح المعنى المراد. وإظهارِ الحقائقِ الثابتةِ مع تبيينِ الأدلةِ والبراهين .

والله ولىّ التوفيق .

الفصل الأول

كتابة الحديث

في

القرن الأول الهجرى

وفيه : الكتابة فى :

أولا – فى العصر النبوى .

ثانيا – فى عصر الصحابة .

ثالثا – فى عصر كبار وأواسط التابعين .

* الخلاصة .

كتابة الحديث النبوى فى القرن الأول الهجرى
عصر النبوة - عصر الصحابة - عصر كبار التابعين

أولا : في العصر النبوى

أ - نهى عام وإذنٌ خاص :

نعلم أن السنة لم تكتب فى عصر النبى ﷺ ؛ بمعنى أنها لم تكتب بين يديه كما كان يفعل بالقرآن حين يتنزل عليه ، ولم يتخذ لنفسه كتّابا يُملى عليهم حديثه وسنّته ، كما كان يتخذ لنفسه كتّابا يدعوهم لكتابة القرآن حال نزوله عليه مبالغة منه فى تسجيله وتقييده ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، ومعاوية وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، فكانوا يكتبون له القرآن على ما يتوافر لديهم من العسب (١) واللخاف (٢) والرقاع (٣) ، وقطع الأديم (٤) ، وعظام الأكتاف والأضلاع ثم يجعل ذلك فى بيته ﷺ . بل إنه على العكس من ذلك نهى أصحابه عن كتابة كلامه وتسجيله فى صحفٍ أو رقاع أو غيرها لكى لا يختلط كلامه بكلام الله عز وجل ، وخشية أن يلتبس عليهم لفظه ﷺ مع لفظ القرآن الذى سمح

---

(١) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل .
(٢) اللّخاف : بكسر اللام جمع لخفة وهى الحجارة الرقيقة .
(٣) الرقاع : جمع رقعة وهى قطعة من جلد أو ورق أو كاغد
(٤) الأديم : الجلد

بكتابته ،... لاسيما أن العرب كانت الكتابة فيهم قليلة غير منتشرة بينهم وكان الذى يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمى فى الجاهلية وأول الإسلام يسمونه الكامل ، ولقد قال النبى ﷺ (نحن أمة أمية لانكتب ولا نحسب) (١) والمراد من الأمية هنا أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ؛ قال الله تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ﴾ (٢) ولا يردُ على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك والمراد بالحساب فى الحديث السابق حساب النجوم وتسييرها ، ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا إلا اليسير ولذلك علّق الرسول ﷺ حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والكواكب (٣) – أما فى عصرنا فإنه يوجد الآن كتب لحساب حركة النجوم والمد والجزر ومعرفة المواقيت وكل ذلك محسوب فيها .

ولذلك لم يرد الرسول ﷺ ممن كانوا يكتبون أن يكتبوا عنه شيئا سوى القرآن فى البداية لأن الوقت لم يحن بعد للكتابة عنه – ﷺ – فكان يقول لأصحابه (من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه) (٤) وقد حاول بعضهم أن يستأذن النبى – ﷺ – فى الكتابة عنه ، فلم يأذن له

---

(١) روى هذا الحديث الشيخان ونصه عندهما « إنا أمة أمية لانكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا » انظر فتح البارى جـ ٥ / ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة الجمعة – آية رقم ٢ – .

(٣) ابن عبد البر ؛ بهجة المجالس وأنس المجالس جـ ١ ص ٣٥٥ . تحقيق محمد مرسى الخولى مراجعة عبد القادر القط – دار الكاتب العربى ابريل سنة ١٩٦٧ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٥٩٨ طبع عيسى البابى الحلبى .

بذلك . قال أبو سعيد الخدرى (استأذنا النبى ﷺ فى الكتابه فلم يأذن لنا) (١) وكان الرسول عليه السلام يقصد من وراء ذلك أن يستظهروا القرآن ويوجهوا إليه عنايتهم أولاً

ولقد كان النبى ﷺ يحث صحابته على حفظ أحاديثه وتعليمها الناس ، ففى الخبر أن وفد عبد القيس لما أتوا النبى ﷺ ليتعلموا منه حدثهم بحديث وقال لهم : (احفظوه وأخبروه من وراءكم) (٢) .

وقد حرص الصحابة على تلقى العلم وعلى ألاَّ يفوتهم شىء مما يصدر عن النبى عليه الصلاة والسلام ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد وهى من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم عن الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك) (٣) .

كما كان الرسول ﷺ يحرص من جانبه على تعليم صحابته دائما حتى قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : « لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلاَّ ذكرنا منه علماً » (٤) .

---

(١) جامع الترمذى جـ ٤ ص   طبع الحلبى .
(٢) جامع البخارى كتاب العلم ص ٣٢ طبع كتاب الشعب سنة ١٣٧٨ هـ
(٣) المرجع السابق ص ٣٣ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ق ٢ ص ١١٢

من كان يكتب من الصحابة :

ومن المؤكد أن بعض الصحابة كان يستعين بالكتابة مع هذا العلم الغزير كي يدونه لنفسه ، ولابد أن منهم من استأذن النبى فى الكتابة لتقييد العلم لأن هناك أخبارا تدل على صحة ذلك ؛ نسوق منها ما يلى :

أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب الحديث :

روى العديد من المصادر (كأبى داود ، والدارمى ، وابن سعد وغيرهم)عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : استأذنت النبى عليه السلام فى كتابة ما سمعته منه فأذن لى فكتبته فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك : الصادقة . ورووا عنه أيضا : « كنت اكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه . فنهتنى قريش وقالوا : أتكتب كل شىء ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتاب وذكرت لرسول الله ، فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال ! اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا الحق » . ونرى أن هذا الكتاب كان عند حفيده عمرو بن شعيب ، يملى على تلاميذه منه . (١)

وأثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : « ما يرغبنى فى الحياة إلأ خصلتان ؛ الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله – ﷺ – وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها » (٢) .

---

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ / ٧١ – نشر دار الأرقم ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ / ٧٢ .

كما روى مجاهد : (رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال : (هذه الصادقة ، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد .) (١) .

وقال أبو هريرة : « ليس أحد أكثر حديثا عن رسول الله منّى إلاّ عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب » (٢)

وعلى بن أبي طالب كان يكتب الحديث :

كما كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أيضا يكتب كلام النبى ﷺ ، فقد سأله أبو جحيفة (٣) قائلا : (هل عندكم كتاب قال : لا إلاّ كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما فى هذه الصحيفة ، قال فما فى هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير ولايقتل مسلم بكافر) (٤)

وعمرو بن حزم الأنصارى كان يكتب :

إن عمرو بن حزم الأنصارى من كاتبى الرسول عليه السلام . ثم كان أرسله رسول الله عاملا إلى اليمن ، وكتب له وثيقة عهد فيها عهده

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ق ٢ ص ١٢٥ طبع دار التحرير بالقاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

(٢) جامع الترمذى جـ ٤ ص ١٤٦ طبع الحلبى .
أيضا ، صحيح البخارى جـ ١ ص ٣٩ طبعة مطابع الشعب سنة ١٣٧٨ .

(٣) هو وهب بن عبد الله السوائى ويقال له وهب الخير مات سنة ٧٤ هـ انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ١٦٤ .

(٤) البخارى جـ ١ كتاب العلم ص ٣٨ .

وأمـر فيهـا أمـره فحـفـظ عمـرو بن حـزم هـذه الوثيـقـة . ثم جـمع واحداً وعشرين كتابا كتبها النبـى عليه السلام إلـى قبائل شتـى . فضمها فى تألـيـف . فكـان أول مـجمـوعـة لـلوثائق السـياسـية الإسـلامـية للـعهـد النبوى . » (١) .

وحجر بن عدى الكندى (ت ٥١) المعروف بحجر الخير كان يكتب ، فقـد روى ابن سعد فى طبـقاته أن غلام حـجر بن عدى قـال له : إنى رأيت ابنك دخل الخـلاء ولم يتوضـأ قال : ناولنى الـصحيفة من الكوة . فـقرأ : بسـم الله الـرحمـن الرحـيم هذا مـا سـمـعت علـى بن أبى طـالـب يذكـر أن الطهور نصف الإيمان » (٢) .

وأنس بن مالك كان يكتب :

ذكر البلاذرى فى « أنسـاب الأشـراف » ١/٥٠٦ : « عن أنس بن مـالك رضـى الـله عنه أن أمـه أم سليـم أخذت بيـده مقـدم رسـول الـله ﷺ المدينة فقالت : يا رسـول الله ، هذا ابنى وهـو غلام كاتب » وكان فـى العـاشـرة من عمره . فـقدمته أمـه إلى رسـول الله لـخدمـته . فبقـى أنس فى بيته يـخدمه إلى أن تـوفى رسـول الـله ﷺ . فكـان رأى وسمع مـالا يتـيـسـر لآخـرين . وهـو الذى روى عن النبى عليه السـلام . « قيدوا العلم بالكتاب» وقد روى

---

(١) محمد حميد الله ، مقدمته لكتاب سيرة ابن اسحاق الصفحة يا ، يب .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ / ١٥٤ .

وحجر بن عدى الكندى وفد على النبى - ﷺ - هو وأخوه هانىء بن عـدى وقد شهد القادسـية . وأنه بعد ذلك شـهد الجمل وصـفين وصحب عليا قتله معاوية سنة ٥١ ترجمته فى الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى جـ ١ / ٣٢٩

جماعة من المحدثين (مثل الرامهرمزى ، والحاكم ، والخطيب البغدادى) عن سعيد بن هلال قال : إذا أكثرنا – وفى رواية ، إذا كثرنا – على أنس ابن مالك أخرج إلينا مجال (جمع مجلة ، وهى الدفتر والكراسة) عنده ، فقال : « هذه سمعتها عن النبى ﷺ فكتبتها وعرضتها عليه » . فكأنّ أنس لايكتفى بأن يكتب ما سمع أو رأى ، بل كان أيضا يعرضة على النبى كما نص فى الرواية ، فى أوقات فراغه حتى يصححه إذا بدا له . فهو أصدق كتاب حديث عرفه التاريخ . (١)

وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام كان يكتب (ت ٨٣)

فقد روى ابن سعد فى الطبقات الكبرى أن مجاهد بن جبر كان يحدث عن صحيفة جابر ، وروى أيضا عن قتادة بن دعامة السدوسى أنه قال : « لأنا لصحيفة جابر أحفظ منى لسورة البقرة » .

وعدد من الصحابة كانوا يكتبون لكن لم تعلم أسماؤهم :

يقول بعض الباحثين : « ويرجح عندنا أن الرسول – ﷺ – لم يأذن لعبد الله بن عمرو بن العاص وحده فى كتابة الحديث وإنما كان هناك غيره ممن طلبوا هذا المطلب ، وأذن لهم به ، وكان هؤلاء يحضرون مجالس الحديث التى يعقدها الرسول – ﷺ – ويكتبون فى صحفهم ما يسمعونه منه ، ويزداد المرء ثقة بذلك حين يقرأ فى سنن الدارمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أى المدينتين تفتح أولا : القسطنطينية أو

---

(١) محمد حميد الله ، مقدمته لكتاب سيرة ابن اسحاق ، الصفحة « ياء » .

رومية ، فقال النبى ﷺ : لا ، بل مدينة هرقل أولاً » (١)

وللرسول ﷺ رسائل ومكاتبات كان يرسلها إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وكذلك لناس من العرب وغيرهم منها على سبيل المثال كتابه إلى أهل اليمن يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة فى المواشى والأموال ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا . (٢)

وكتابه لوائل بن حجر حين قال له : (يارسول الله ، اكتب إلى قومى كتابا فقال رسول الله ﷺ : اكتب له يامعاوية ؛ إلى الأقيال والعباد ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ... الحديث) (٣) يدل على أن كتابة الحديث كانت موجودة فى العصر النبوى وبأمر من النبى ﷺ ، ولكن لم تجمع فى كتاب واحد ، ولم يكن الغرض منها أن يسجل كلامه وأخباره ﷺ فى كتاب لأجل أن يدرس ، أو تدون فيه الشريعة حيث لم يأمر بهذا .

روى ابن أبى ليلى عن عبد الله بن عكيم قال : (قرىء علينا كتاب رسول الله ﷺ وأنا غلام شاب بأرض جهينة أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) (٤)

ومثل هذه أيضا الكتب التى كان رسول الله ﷺ يبعث بها إلى

---

(١) الشحات السيد زغلول / جهود المسلمين فى توثيق الحديث ص ٦٠ طبعة ١ سنة ١٩٨٦ دار نشر الثقافة اسكندرية .

(٢ ، ٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ق ٢ ص ١٩ ، ٢٠ ، ص ٣٥ وانظر كذلك فصل ذكر بعثة النبى ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وما كتب به لناس من العرب وغيرهم من ص ١٥ حتى ص ٣٨ .

(٤) الطبقات الكبرى ، جـ ٦ / ٧٧ .

الممالك يدعوهم إلى الإسلام ويبلغهم فيها بالدين الإسلامى الحنيف تحوى الكثير من السنن المكتوبة جمع معظمها محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى وارى أنه من الأجدر عرضها كما جاءت فى كتابه بسنده لنستدل بها على كتابة السنة فى عصره صلى الله عليه وسلم :

كتب محمد بن سعد فى كتاب الطبقات الكبرى : (١)

(١) « قالوا : إن رسول الله ، ﷺ ، لما رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتبا ، فقيل : يارسول الله إن الملوك لايقرؤون كتابا إلا مختوما ؛ فاتخذ رسول الله ، ﷺ ، يومئذ خاتما من فضة فصه منه ، نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله ، وختم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد ، وذلك فى المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم ، فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ ، عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى » .

« وكتب إليه كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن ، فأخذ كتاب رسول الله ، ﷺ فوضعه على عينيه ، ونزل من سريره على الأرض تواضعا ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته ، وكتب إلى رسول الله ، ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه ، على يدى جعفر بن أبى طالب ، لله رب العالمين ، وفى الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الأسدى فتنصرّ هناك ومات ، وأمره رسول الله ﷺ ، فى الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم ، ففعل ، فزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وأصدق عنه أربعمائة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية الضمرى ، ودعا بحُق من عاج

---

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١/ص ١٦ - ص ٣٨ ذكر بعثة رسول الله ﷺ الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام .

فجعل فيه كتابى رسول الله ﷺ وقال لن تزال الحبشه بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها ».

(٢) « قالوا : وبعث رسول الله ﷺ ، دحية بن خليفة الكلبى - وهو أحد الستة إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصْرَى ليدفعه إلى قيصر ، فدفعه عظيم بُصْرى إليه وهو يومئذ بحمص وقيصر يومئذ ماشٍ فى نذرٍ كان عليه : إن ظهرت الروم على فارس أن يمشى حافيا من قسطنطينية إلى إيلياء ، فقرأ الكتابَ وأذن لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص فقال : يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ؟ قالت الروم : وما ذاك أيها الملك ؟ قال : تتبعون هذا النبيّ العربيّ ، قال فحاصوا حيصة حمر الوحش وتناجزوا ورفعوا الصليب ، فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم ، وخافهم على نفسه وملكه فسكّنهم ، ثم قال : إنما قلتُ لكم ما قلتُ أختبرُكم لأنظر كيف صلابتكم فى دينكم ، فقد رأيت منكم الذى أحب ، فسجدوا له » .

(٣) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، عبد الله بن حذافة السهمى – وهو أحد الستة – إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتابا ، قال عبد الله : فدفعتُ إليه كتابَ رسول الله ، ﷺ ، فقرىء عليه ، ثم أخذه فمزقه ، فلما بلغ ذلك رسول الله ، ﷺ ، قال : اللهم مزّق ملكه وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن : أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتيانى بخبره ، فبعث باذان قهرمانه ورجلاً آخر وكتب معهما كتابا ، فقدما المدينة فدفعا كتاب باذان إلى النبى ، ﷺ . فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى

الإسلام وفرائصهما ترعد ، وقال : ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبِركُما بما اريد ، فجاءاه الغد ، فقال لهما أبلغا صاحبكما أن ربى قد قتل ربه كسرى فى هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها - وهى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع - وأن الله - تبارك وتعالى ، سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله ، فرجعا إلى باذان بذلك فأسلم هو والأبناءُ الذين باليمن » .

(٤) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، حاطب بن أبى بلْتَعةَ اللخمى - وهو أحد الستة - إلى المقوقس صاحب الاسكندرية عظيم القبط . يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابا ، فأوصل إليه كتاب رسول الله ، ﷺ ، فقرأه وقال له خيرا ، وأخذ الكتاب فجعله فى حُقّ من عاج ، وختم عليه ودفعه إلى جاريته ، وكتب إلى النبى ، ﷺ : قد علمت أن نبيّا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشأم ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها ، ولم يزد على هذا ولم يُسلِمْ ، فقبل رسول الله ، ﷺ ، هديته ، وأخذ الجاريتين مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ، ﷺ ، وأختها شيرين ، وبغلة بيضاء لم يكن فى العرب يومئذ غيرها وهى دُلدُل ، وقال رسول الله ﷺ : ضنّ الخبيثُ بملكه ولا بقاء لملكه ؛ قال حاطب : كان لى مكرما فى الضيافة وقلة اللبث ببابه ، ما أقمت عنده إلا خمسة أيام » .

(٥) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، شجاع بن وهب الأسدى وهو أحد الستة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابا . قال شجاع فأتيت إليه وهو بغُوطة دمشق ، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والإلطاف لقيصر ، وهو جاء من حمص إلى إيلياء

فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه : إنى رسول رسول الله ، ﷺ ، إليه ، فقال : لاتصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه - وكان روميا اسمه مُرى - يسألنى عن رسول الله ، ﷺ ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ، ﷺ ، وما يدعو إليه ، فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول : إنى قرأت الانجيل فأجد صفة هذا النبى بعينه ، فأنا أومن به وأصدقه ، وأخاف من الحارث أن يقتلنى ، وكان يُكرمنى ويحسن ضيافتى ؛ وخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على رأسه ، فأذن لى عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ، ﷺ ، فقرأه ثم رمى به وقال : من ينتزع منى ملكى ؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته ، علىَّ بالناس ! فلم يزل يفرض حتى قام ، وأمر بالخيول تُنعل ، ثم قال : أخبر صاحبك ما ترى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبرى وما عزم عليه ، فكتب إليه قيصر : ألاّ يسير إليه واله عنه ووافنى بإيلياء ؛ فلما جاءه جواب كتابه دعانى فقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غدا ، فأمر لى بمائة مثقال ذهب ، ووصلنى مرى ، وأمر لى بنفقة وكسوة وقال : أقرىء على رسول الله ، ﷺ منى السلام ؛ فقدمت على النبى ، ﷺ ، فأخبرته فقال : باد ملكه ! وأقرأته من مُرى السلام وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : صدق . ومات الحارث بن أبى شمر عام الفتح » .

(٦) « قالوا : وكان فروة بن عمرو الجُذامى عاملاً لقيصر على عمّان من أرض البلقاء ، فلم يكتب إليه رسول الله ، ﷺ ، فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله ، ﷺ ، بإسلامه وأهدى له ، وبعث من عنده رسولا من قومه ، يقال له مسعود بن سعد ، فقرأ رسول الله ، ﷺ ، كتابه وقبل هديته ، وكتب إليه جواب كتابه ، وأجاز مسعودا باثنتى

عشرة أوقية ونَشٌ وذلك خمسمائة درهم » .

(٧) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، سَليط بن عمرو العامرى – وهو أحد الستة – إلى هوذة بن على الحنفى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابا ، فقدم عليه فأنزله وحباه ، وقرأ كتاب النبى ، ﷺ ، ورَدَّ ردا دون رد ، وكتب إلى النبى ، ﷺ : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى ، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك ؛ وأجاز سَليط بن عمرو بجائزة ، وكساه أثوابا من نسج هَجَرَ ، فقدم بذلك كله على النبى ﷺ ، وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابه وقال : لو سألنى سيابة من الأرض ما فعلت ، بادَ وبادَ ما فى يديه ! فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات » .

(٨) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، عمرو بن العاص فى ذى القعدة سنة ثمان إلى جَيْفَرَ وعبد ابنى الجُلُنْدى – وهما من الأزد ، والملك منهما جيفر – يدعوهما إلى الإسلام ، وكتب معه إليهما كتابا وختم الكتاب ؛ قال عمرو : فلما قدمت عُمان عمدت إلى عبد – وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خُلُقاً – فقلت : إنى رسولُ رسولِ الله ، ﷺ ، إليك وإلى أخيك ، فقال : أخى المقدم علىَّ بالسن والملك ، وأنا أُوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ؛ فمكثت أياما ببابه ، ثم إنه دعانى فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مختوما ، ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته ، إلا أنى رأيت أخاه أرقَّ منه ، فقال : دعنى يومى هذا وارجع إلىَّ غدا فلما كان الغد رجعت إليه ، قال : إنى فكرت فيما دعوتنى إليه ، فإذا أنا أضعف العرب إذا ملكت رجلاً ما فى يدى ، قلت : فإنى خارج غدا ، فلما أيقن بمخرجى أصبح فأرسل إلىَّ ، فدخلت عليه ،

فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعا وصدقا بالنبى ، ﷺ ، وخلَّيا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عونا على من خالفنى ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها فى فقرائهم ، فلم أزل مقيما فيهم حتى بلغنا وفاةُ رسول الله ، ﷺ . »

(٩) « قال : وبعث رسول الله ، ﷺ ، مُنصَرفه من الجِعرّانة ، العلاءَ بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ، وهو بالبحرين ، يدعوه إلى الإسلام ، وكتب إليه كتابا ، فكتب إلى رسول الله ، ﷺ ، بإسلامه وتصديقه ، وإنى قرأت كتابك على أهل هَجَرَ ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضى مجوس ويهود فأَحْدِثْ إلىّ فى ذلك أمرك ؛ فكتب إليه رسول الله ، ﷺ : إنك مهما تُصلِحْ فلن نعزِلَكَ عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزيةُ » .

« وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى مجوس هَجَرَ يعرض عليهم الإسلام ، فإن أبَوْا أُخِذَتْ منهم الجزيةُ ، وبأن لاتنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم . وكان رسول الله ، ﷺ ، بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمى وأوصاه به خيرا » .

« وكتب رسول الله ، ﷺ ، للعلاء فرائض الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال ، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم » .

« قال : أخبرنا الهيثم بن عدى الطائى ، قال : أنبأنا مجالد بن سعيد وزكرياء بن أبى زائدة عن الشعبى قال : كان رسول الله ، ﷺ ، يكتب كما تكتب قريش باسمك اللهّم ، حتى نزلت عليه «﴿ اركبوا فيها بسم

الله مجراها ومرساها ﴾ ؛ فكتب بسم الله ، حتى نزلت عليه ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ ؛ فكتب بسم الله الرحمن ، حتى نزلت عليه ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ؛ فكتب بسم الله الرحمن الرحيم » .

« قال : أخبرنا الهيثم بن عدى ، أخبرنا دَلْهَمْ بن صالح وأبو بكر الهُذلى ، عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه بريدة بن الحُصيب الأسلمى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان والزهرى ، قال : وحدثنا الحسن بن عمارة عن فراس عن الشعبى – دخل حديث بعضهم فى حديث بعض – أن رسول الله ، ﷺ ، قال لأصحابه : وافونى بأَجْمَعِكُم بالغداة ؛ وكان ، ﷺ ، إذا صلّى الفجر حُبس فى مُصلاّه قليلا يسبح ويدعو ، ثم التفت إليهم فبعث عدةً إلى عِدة وقال لهم : انصحوا لله فى عباده ، فإنه من استرعى شيئاً من أمور الناس ثم لم ينصح لهم ، حرّم الله عليه الجنة ، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسلُ عيسى ابن مريم ، فإنهم أتوا القريبَ وتركوا البعيدَ فأصبحوا – يعنى الرسلَ – وكلُّ رجلٍ منهم يتكلمَ بِلسان القوم الذين أُرسل إليهم ؛ فذُكِرَ ذلك للنبى، ﷺ فقال : هذا أعظم ما كان من حق الله عليهم فى أمر عباده » .

« قال : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى أهل اليمن كتابا يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة فى المواشى والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا – وكان رسولُه إليهم معاذ بن جبل ومالك بن مُرارة – ويخبرهم بوصول رسولهم إليه وما بلغ عنهم » .

(١٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى عِدة من أهل اليمن سماهم ، منهم : الحارث بن عبد كُلال ، وشُريح بن عبد كلال ، ونُعيم بن عبد كلال ، ونعمان قَيْل ذى يزن ، ومَعافر ، وهَمدان ، وزُرْعة ذى رُعَين -وكان قد أسلم من أول حِمْيَر- وأمرهم أن يجمعوا الصدقة والجزية فيدفعوهما إلى معاذ بن جبل ومالك بن مرارة ، وأمرهم بهما خيراً ، وكان مالك بن مُرارة رسول أهل اليمن إلى النبى ، ﷺ ، بإسلامهم وطاعتهم ، فكتب إليهم رسول الله ، ﷺ ، أن مالك بن مَرارة قد بلّغ الخبر وحفظ » .

(١١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى بنى معاوية من كندة بمثل ذلك » .

(١٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى بنى عمرو من حمير يدعوهم إلى الإسلام ، وفى الكتاب : وكتب خالد بن سعيد بن العاص » .

(١٣) « قالوا : وكتب رسول الله، ﷺ ، إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه إلى رسول اله ، ﷺ ، وأهدى له هدية، ولم يزل مسلماً حتى كان فى زمان عمر بن الخطاب ، فبينما هو فى سوق دمشق إذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزنى فلطمه، فأُخِذَ وانطُلِقَ به إلى أبى عبيدةَ بنِ الجرّاح ، فقالوا : هذا لطم جبلة ، قال : فليلطمه ، قالوا : وما يُقتل ؟ قال : لا ، فقالوا : فما تُقطع يدُه ؟ قال : لا ، إنما أمر الله تبارك وتعالى بالقَوَد ، قال جبلة : أوَترون أنى جاعل وجهى نِدًا لوجه جدْى جاء من عمْق ! بئس الدينُ هذا ! ثم ارتد نصرانياً ، وترحّل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه وقال لحسان بن ثابت : أبا الوليد ، أما علمتَ أن صديقك جبلة بن

الأيهم ارتدّ نصرانيا ؟ قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ولِمَ ؟ قال : لَطَمَه رجل من مزينة، قال : وحقٌ له ، فقام إليه عمر بالدرة فضربه بها» .

(١٤) « قالوا : وبعث رسول الله ، ﷺ ، جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكُلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تُبّع وإلى ذى عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما ، وأسلمت ضُرَيبة بنت أبرهة بن الصباح امرأة ذى الكُلاع، وتوفى رسول الله، ﷺ ، وجرير عندهم فأخبره ذو عمرو بوفاته، ﷺ ، فخرج جرير إلى المدينة » .

(١٥) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ ، لمعدى كرب بن أبرهة ، أن له ما أسلم عليه من أرض خَوْلان » .

(١٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لأسْقُفّ بنى الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم ، أن لهم على ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بِيَعِهم وصلواتهم ورهبانيتهم ، وجوار الله ورسوله لايُغَيّر أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، ولا يُغَيّر حَقٌ من حقوقهم ، ولاسلطانهم ، ولا شىء مما كانوا عليه ، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم ، غير مُثْقَلين بظلم ولا ظالمين ؛ وكتب المغيرة »

(١٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لربيعة بن ذى مرحب الحضرمى وإخوته وأعمامه أن لهم أموالهم ونحلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشراجعهم بحضرموت ، وكلّ مال لآل ذى مرحب ، وأن كل رهن بأرضهم يُحسب ثَمَرَهُ وسِدْرُه وقَضْبُهُ من رهنه الذى هو فيه ، وأن كل ما كان فى ثمارهم من خير فإنه لايسأله أحد عنه ، وأن الله ورسوله بُراءٌ منه، وأن نَصرَ آل ذى مرحب

على جماعة المسلمين ، وأن أرضهم بريئة من الجوْر ، وأن أموالهم وأنفسهم وزافر حائط الملك الذى كان يسيل إلى آلِ قيس ، وأن الله ورسوله جار على ذلك ؛ وكتب معاوية » .

(١٨) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لمن أسلم من حَدَسٍ من لخم ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وأعطى حظَّ الله وحظ الرسول ، وفارق المشركين ، فإنه آمنٌ بذمة الله وذمة محمد ، ومن رجع عن دينه، فإن ذمة الله وذمة محمد رسوله منه بريئة ، ومن شهد له مسلم بإسلامه فإنه آمن بذمة محمد وإنه من المسلمين ؛ وكتب عبد الله بن زيد » .

(١٩) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ . لخالد بن ضِماد الأزدى ، أن له ما أسلم عليه من أرضه ، على أن يؤمن بالله لاشريك له ، ويشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وعلى أن يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويصوم شهر رمضان ، ويحج البيت ، ولا يؤوى مُحْدِثا ، ولا يرتاب ، وعلى أن ينصح لله ولرسوله ، وعلى أن يحبَّ أحبَّاء الله ، ويبغض أعداء الله ؛ وعلى محمد النبى أن يمنعه مما يمنع منه نفسه ومالَه وأهلَه ، وأن لخالد الأزدى ذمة الله وذمة محمد النبى إن وفَّى بهذا ؛ وكتب أُبىّ » .

(٢٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعمرو بن حزم ، حيث بعثه إلى اليمن ، عهدا يعلمه فيه شرائع الإسلام وفرائضه وحدوده وكتب أبىّ » .

(٢١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لنُعَيْم بن أوس أخى تميم الدارى ، أن له حِبرى وعيْنون بالشام قريتَها كلها ، سهلها وجبلها وماءها وحرثها وأنباطها وبقرها ، ولعقِبه من بعده ، لا يُحاقه فيها أحد ، ولا يَلِجُه عليهم بظلم ، ومن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً ، فإن عليه لعنة

الله والملائكة والناس أجمعين ؛ وكتب على » .

(٢٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، للحُصين بن أوس الأسلمى، أنه أعطاه الفُرْغَين وذات أعشاش ، لايحاقه فيها أحد ؛ وكتب على »

(٢٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى قرة بن عبد الله ابن أبى نجيح النبهانيين ، أنه أعطاهم المظلّة كلها ، أرضها وماءها وسهلها وجبلها ، حمى يرعون فيه مواشيهم ؛ وكتب معاوية »

(٢٤) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ، لبنى الضِّباب ، من بنى الحارث بن كعب ، أن لهم سارية ورافعها ، لا يُحاقهم فيها أحد ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله ، وفارقوا المشركين ؛ وكتب المغيرة »

(٢٥) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ ، ليزيد بن الطفيل الحارثى، أن له المَضّةَ كلها ، لايحاقه فيها أحد ما اقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وحارب المشركين ؛ وكتب جهيم بن الصلت » .

(٢٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى قنان بن ثعلبة من بنى الحارث ، أن لهم مجساً ، وأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ؛ وكتب المغيرة » .

(٢٧) « قالوا وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعبد يغوث بن وعلة الحارثى ، أن له ما أسلم عليه من أرضها وأشيائها (يعنى نخلها) ما أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأعطى خمس المغانم فى الغزو ، ولا عُشْر ولا حشر ، ومن تبعه من قومه ؛ وكتب الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى » .

(٢٨) « وقالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى زياد بن الحارث الحارثيِّين أن لهم جمّاءَ وأذنبةَ ، وأنهم آمنون ما أقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة ، وحاربوا المشركين ؛ وكتب على » .

(٢٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، ليزيد بن المُحجَّل الحارثى أن لهم نمرة ومساقيها ووادى الرحمن من بين غابتها ، وأنه على قومه بنى مالك وعقبه ، لايُغْزَوْن ولا يُحشرون ؛ وكتب المغيرة بن شعبة » .

(٣٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لقيس بن الحُصَّين ذى الغُصَّة ، أمانة لبنى أبيه بنى الحارث ولبنى نَهْدٍ ، أن لهم ذمةَ الله وذمةَ رسوله ، لا يُحشرون ولا يُعشرون ما أقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ، وأشهدوا على إسلامهم ، وأن فى أموالهم حقا للمسلمين ، قال : وكان بنو نهد حلفاء بنى الحارث » .

(٣١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى قنَان بن يزيد الحارثيّين ، أن لهم مذْوَدا وسواقيه ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ، وأمّنوا السبيل ، وأشهدوا على إسلامهم » .

(٣٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعاصم بن الحارث الحارثى ، أن له نجمة من راكس لا يُحاقه فيها أحد ؛ وكتب الأرقم » .

(٣٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى معاوية بن جَرْوَل الطائيين ، لمن أسلم منهم ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغانم خمسَ الله وسهْمَ النّبى ، ﷺ ، وفارق المشركين ، وأشهد على إسلامه ، أنه آمن بأمان الله ورسوله ، وأن لهم ما أسلموا عليه والغنمَ مبيتةً ، وكتب الزبير بن العوام »

(٣٤) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعامر بن الأسود بن عامر بن جُوين الطائى ، أن له ولقومه طىء ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ؛ وكتب المغيرة » .

(٣٥) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى جُوين الطائيين ، لمن آمن منهم بالله ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وفارق المشركين ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغانم خُمسَ الله وسهمَ النبى ، وأشهد على إسلامه ، فإن له أمانَ الله ومحمد بن عبدالله ، وإن لهم أرضَهم ومياهَهم ، وما أسلموا عليه ، وغدوة الغنم من ورائها مبيتة ؛ وكتب المغيرة . قال : يعنى بغدوة الغنم ، قال : تغدو الغنم بالغداة فتمشى إلى الليل ، فما خلفت من الأرض وراءها فهو لهم ، وقوله مبيتةً يقول : حيث باتت » .

(٣٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى معن الطائيين ، أن لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم ، وغدوةَ الغنم من ورائها مبيتةً ، ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله ، وفارقوا المشركين ، وأشهدوا على إسلامهم ، وأمنوا السبيل ؛ وكتب العلاءُ وشهد » .

(٣٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى الى بنى أسد ، سلامٌ عليكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلاَّ هو . أما بعد ، فلا تَقْرَبُنَّ مياه طيىء وأرضَهم ، فإنه لاتحل لكم مياهُهُم ، ولا يَلِجَنَّ أرضَهم إلاَّ من أَولجوا ، وذمةُ محمد بريئةٌ ممن عصاه ، ولْيَقُمْ قُضاعى بنُ عمرو ؛ وكتب خالد بن سعيد . قال : وقضاعى بن عمرو من بنى عُذْرة وكان عاملا عليهم » .

(٣٨) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، كتابا لجنادة الأزدى وقومه ومن تبعه ، ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله ، وأعطوا من المغانم خُمسَ الله وسهمَ النبى ، ﷺ ، وفارقوا المشركين ، فإن لهم ذمةَ الله وذمةَ محمد بن عبد الله ؛ وكتب أبى » .

(٣٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى سعد هُذيم من قضاعة وإلى جُذام كتابا واحداً يعلِّمهم فيه فرائض الصدقة ، وأمرهم أن يدفعوا الصدقة والخمس إلى رسوليه أبىّ وعَنبسةَ أو من أرسلاه ؛ قال : ولم يُنسبا لنا » .

(٤٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى زرعة وبنى الرَّبَعَةَ من جُهينة ، أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم إلا فى الدين والأهل ، ولأهل باديتهم مَنْ بَرَّ منهم واتقى ما لحاضرتهم ، والله المستعان » .

(٤١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى جُعيل من بلىٍّ ، أنهم رهط من قريش ، ثم من بنى عبد مناف ، لهم مثلُ الذى لهم وعليهم مثلُ الذى عليهم ، وأنهم لايُحشرون ولا يُعْشرون ، وأن لهم ما أسلموا عليه من أموالهم ، وأن لهم سعايةَ نصر وسعد بن بكر وثمالة وهذيل ؛ وبايع رسول الله ، ﷺ ، على ذلك عاصم بن أبى صيفى ، وعمرو بن أبى صيفى ، والأعجم بن سفيان ، وعلى بن سعد ، وشهد على ذلك العباس ابن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو سفيان بن حرب . قال : وإنما جعل الشهود من بنى عبد مناف لهذا الحديث لأنهم حلفاء بنى عبد مناف ، ويعنى لايحشرون من ماء إلى ماء فى الصدقة ، ولا يعشرون يقول فى السنة إلا مرة ، وقوله إن لهم سعاية يعنى

الصدقة » .

(٤٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لأسلم من خزاعة ، لمن آمن منهم ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وناصح فى دين الله ، أن لهم النصر على من دهمهم بظلم ، وعليهم نصر النبى ، ﷺ ، إذا دعاهم ، ولأهل باديتهم ما لأهل حاضرتهم ، وأنهم مهاجرون حيث كانوا ؛ وكتب العلاء بن الحضرمى وشهد » .

(٤٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعَوْسَجة بن حرملة الجُهَنى : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى الرسول عوسجةَ بنَ حرملة الجهنى من ذى المَرْوَةَ ، أعطاه ما بين بلَكَثَة إلى المَصْنَعَة إلى الجَفَلات إلى الجدِّ جَبَلِ القِبْلة ، لا يُحَاقُّه أحد ، ومن حاقه فلا حق له وحقُّه حقٌ ؛ وكتب عقبة وشهد » .

(٤٤) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى شَنْخ من جُهينة : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد النبى بنى شنخ من جهينة : أعطاهم ما خَطَوا من صُفَيْنة وما حَرَثُوا ، ومن حاقّهم فلا حَق له ، وحقّهم حق ؛ كتب العلاء بن عقبة وشهد » .

(٤٥) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى الجُرْمُز بن ربيعة ، وهم من جهينة ، أنهم آمنون ببلادهم ، ولهم ما أسلموا عليه ؛ وكتب المغيرة » .

(٤٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لعمرو بن معبد الجهنى وبنى الحُرَقَة من جهينة وبنى الجرمز : من أسلم منهم ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من الغنائم الخمس وسهم النبى

الصَّفِى ، ومن أشهد على إسلامه ، وفارق المشركين ؛ فإنه آمن بأمان الله وأمان محمد ، وما كان من الدَّيْن مدونة لأحد من المسلمين قضى عليه برأس المال وبطل الربا فى الرهن ، وأن الصدقة فى الثمار العشر ، ومن لحق بهم فإن له مثلَ ما لهم » .

(٤٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبلال بن الحارث المُزَنِى أن له النخل وجَزْعة وشَطْره ذا المزارع والنحل ، وأن له ما أصلح به الزرع من قَدَس ، وأن له المضَّة والجَزْع والغَيلة إن كان صادقا ؛ وكتب معاوية . فأما قوله جزعة فإنه يعنى قرية ، وأما شطره فإنه يعنى تجاهه ، وهو فى كتاب الله عز وجلّ : ﴿ فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ ، يعنى تجاه المسجد الحرام ، وأما قوله من قدس ، فالقدس الخرْج وما أشبهه من آلة السفر ، وأما المضَّة فاسم الأرض » .

(٤٨) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى بُدَيل وبُسْر وسَرَوَات بنى عمرو : أما بعد فإنى لم آثم ما لَكُم ولم أضَعْ فى جَنْبِكم ، وإنّ أكْرَمَ أهلِ تِهَامةَ علىَّ وأقربهم رحما منى أنتم ومن تبعكم من المُطَيَّبين ؛ أما بعدُ فإنى قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسى ولو هاجر بأرضه ، إلا ساكنَ مكةَ إلا معْتَمِراً أو حاجّا فإنى لم أضعْ فيكم منذ سالمت ، وَأنكم غيرُ خائفينَ مِنّ قِبلَى ولا مُحْصَرِين ؛ أما بعد فإنه قد أسلم علقمة بن عُلاثة وابنا هَوْذة وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عِكرمةَ وأنّ بعضَنا من بعض فى الحلال والحرام ، وإنى والله ما كذبتكم وليُحبِّنكم ربكم . قال : ولم يكتب فيهما السلام ، لأنه كتب بها إليهم قبل أن ينزل عليه السلام . وأما علقمة بن علاثة فهو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وابنا هوذة العداء وعمرو ابنا

بنى عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ومن تبعهم من عكرمة فإنه عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان ، ومن تبعكم من المطيبين فهم بنو هاشم ، وبنو زُهرة ، وبنو الحارث بن فِهر ، وتيم بن مرة ، وأسد بن عبد العُزى » .

(٤٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، للعدَّاء بن خالد بن هوذة ومن تبعه من عامر بن عكرمة ، أنه أعطاهم ما بين المصباعة إلى الـزُّحِّ ولوابة (يعنى لوابة الخرار) ؛ وكتب خالد بن سعيد » .

(٥٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى مسيلمة الكذاب – لعنه الله – يدعوه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمرى ، فكتب إليه مسيلمة جواب كتابه ، ويذكر فيه أنه نبى مثله ، ويسأله أن يقاسمه الأرض ، ويذكر أن قريشا قوم لايَعْدلون ؛ فكتب إليه رسول الله ، ﷺ ، وقال : العنوه لعنه الله ! وكتب إليه : بلغنى كتابك الكذبُ والافتراءُ على الله ، وإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، والسلام على من اتبع الهدى . قال : وبعث به مع السائب بن العوام أخى الزبير بن العوام » .

(٥١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لسلمة بن مالك بن أبى عامر السلمى من بنى حارثة ، أنه أعطاه مَدْفُوًّا ، لايحاقه فيه أحد ، ومن حاقه فلا حق له ، وحقه حق » .

(٥٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، للعباس بن مرداس السلمى ، أنه أعطاه مدفوا ، فمن حاقه فلا حق له ؛ وكتب العلاء بن عقبة وشهد »

(٥٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لهوذة بن نُبيشة السُّلمى ، ثم من بنى عُصيّة ، أنه أعطاه ما حوى الجفر كله » .

(٥٤) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، للأجَب (رجل من بنى سليم) أنه أعطاه فالسا ، وكتب الأرقم » .

(٥٥) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لراشد بن عبد السُّلمى أنه أعطاه غلْوتين بسهم ، وغلْوة بَحجر برُهاط ، لا يحاقه فيها أحد ، ومن حاقه فلا حق له ، وحقه حق ، وكتب خالد بن سعيد » .

(٥٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لحرام بن عبد عوف من بنى سلُيَم ، أنه أعطاه إداما وما كان له من شواق ، لايحل لأحد أن يظلِمَهم ولا يَظلمون أحدا ؛ وكتب خالد بن سعيد » .

(٥٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما حالف عليه نُعيم بن مسعود بن رُخيْلة الأشجعى : حالفه على النصر والنصيحة ما كان أحد مكانه ما بلّ بحر صوفةً ؛ وكتب على » .

(٥٨) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله للزبير بن العوام : أنى أعطيته شَواقَ أعلاه وأسفله ، لا يحاقه فيه أحد ؛ وكتب على » .

(٥٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لجميل بن رِزام العدوى ، أنه أعطاه الرمْداءَ لا يحاقه فيها أحد ؛ وكتب على »

(٦٠) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لحُصَين بن نَضْلة الأسدى أن له إراما وكسةً ، لا يحاقه فيها أحد ؛ وكتب المغيرة بن شعبة » .

(٦١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى غِفار « أنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وأن النبى عقد لهم ذمة الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم ، ولهم النصر على من بدأهم بالظلم ، وأن النبى إذا دعاهم لينصروه أجابوه وعليهم نصره ، إلا من حارب فى الدين ، ما بلّ بحر صوفة ، وأن هذا الكتاب لايحول دون إثم ».

(٦٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، أنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من دهمهم بظلم ، وعليهم نصر النبى ، ﷺ ، ما بل بحر صوفة ، إلا أن يحاربوا فى دين الله ، وأن النبى إذا دعاهم أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، ولهم النصر على من بَرَّ منهم واتقى » .

(٦٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى الهلال صاحب البحرين : سلْم أنت فإنى أحمد إليك اللهَ الذى لا إلهَ إلاَّ هو لا شريك له ، وأدعوك إلى الله وَحدَهُ ، تؤمنُ بالله وتطيعَ وتدخلُ فى الجماعة فإنه خير لك ، والسلام على من اتبع الهدى » ..

(٦٤) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى اسيبخت بن عبد الله صاحب هَجَر : إنه قد جاءنى الأقرعَ بكتابك وشفاعتك لقومك ، وإنى قد شفّعْتك وصدقتُ رسولك الأقرع فى قومك ، فأبشر فيما سألتنى وَطَلَبْتَنِى بالذى تحب ، ولكنّى نَظَرْتُ أَنْ أعلّمه وتَلْقَانى ، فإن تجئنا أُكرِمْكَ وإن تَقْعُدْ أُكرمك ؛ أما بعد فإنى لا أستهدى أحدا ، وإن تُهْدِ إلىَّ أقبلْ هديتَك ، وقد حَمِدَ عمالى مكانك ، وأوصيك بأحسن الذى أنت عليه من الصلاة والزكاة وقرابَةِ المؤمنين ، وإنى قد سميت قومك ببنى عبد

الله ، فمرهم بالصلاة وبأحسن العمل وأبشر ، والسلام عليك وعلى قومك المؤمنين ».

(٦٥) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى أهل هجر : أما بعد فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ألا تَضِلُّوا بعد أن هُديتم ، ولا تَغْوُوا بعد أن رُشدْتم ؛ أما بعد فإنه قد جاءني وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سَرَّهم ، ولو أني اجتهدت فيكم جُهْدى كلَّه ، أخرَجْتُكم من هجر فَشَفَّعْت غائبكم ، وأفضلت على شاهدكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم ؛ أما بعد فإنه قد أتاني الذي صنعتم ، وإنه من يحسن منكم لا أحْمِلْ عليه ذنْبَ المسيء ، فإذا جاءكم أمرائي فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله وفي سبيله ، وإنه من يعمل منكم صالحة فلن تَضِلّ عند الله ولا عندي » .

(٦٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى المنذر بن ساوَى : أمَّا بعد فإن رسلي قد حمدوك ، وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأُثبك على عملك ، وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك ، وبعث بها مع العلاء بن الحضرمي » .

(٦٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى المنذر بن ساوَى كتابا آخر ! أما بعد فإني قد بعثت إليك قدامة وأبا هريرة فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك ، والسلام . وكتب أبيّ »

(٦٨) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى العلاء بن الحضرمي : أما بعد فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوَى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فَعَجِّلْه بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور ، والسلام وكتب أُبيّ »

(٦٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى ضغاطر الأسقف : سلامٌ على من آمن . أمَّا عَلَى أثَرِ ذلك فإن عيسى بنَ مريم روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ الزكيةِ وإنى أومن بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتى موسى وعيسى وما أوتىَ النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، والسلام على من اتبع الهدى . قال : وبعث به مع دِحْيَةَ بن خليفة الكلبى » .

(٧٠) « قال : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى بنى جنْبَةَ وهم يهود بمقنا وإلى أهل مقنا ، ومقنا قريب من أيلة : أما بعد فقد نزل علىّ أيَتُكُم راجعين إلى قريتكم ، فإذا جاءكم كتابى هذا فإنكم آمنون لكم ذمة الله وذمة رسوله ، وإنّ رسول الله غافرٌ لكم سيئاتكم وكلَّ ذنوبكم وإن لكم ذمةَ الله وذمةَ رسوله لاظلم عليكم ولا عِدًى ، وإن رسول الله جارُكم مما منع منه نَفْسَه فإن لرسول الله بزَّكم وكلَّ رقيقٍ فيكم والكُرَاع والحلْقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسولُ رسولِ الله ، وإن عليكم بعد ذلك ربعَ ما أخرجت نخلكم وربعَ ما صادت عُرُوكُكم وربع ما اغْتزل نساؤكم ، وإنكم برئتم بعدُ مِنْ كل جزية أو سُخْرة ، فإن سمعتم وأطعتم فإن على رسولِ الله أن يُكرم كريمَكم ويعفوَ عن مسيئكم . أما بعد فإلى المؤمنين والمسلمين من أطْلَعَ أهلَ مقْنا بخير فهو خير له ، ومن أطلعهم بشر فهو شر له ، وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل رسول الله ، والسلام . أما قوله أيتكم يعنى رُسُلَهم ، ولرسول الله بزّكم يعنى بزّهم الذى يصالحون عليه فى صلحهم ورقيقهم ، والحلقة ما جمعت الدار من سلاح أو مال ، وأما عروككم ، العروك خشب تلقى فى البحر يركبون

عليها فيلقون شباكهمَ يصيدون السمك » .

(٧١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى يُحنَّة بن رُوبة وسَرَوات أهل أيلة : سَلْمٌ أنتم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، فإنى لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم ، فأسلم أو أعط الجزية وأطع الله ورسوله ورسل رسوله وأكرمهم واكسُهم كُسوة حسنة غير كُسوة الغُزَّاء ، واكسُ زيدًا كُسوة حسنة فمهما رضِيَتْ رسلى فإنى قد رضيت وقد عُلِمَ الجزية . فإن أردتم أن يأمنَ البرُ والبحرُ فأطع الله ورسوله ويُمْنَع عنكم كلُّ حقٍ كان للعرب والعجَمِ إلا حقَّ الله وحقَّ رسوله وإنك إن رددتهم ولم تُرضِهم لا آخذ منكم شيئا حتى أقاتلكم فأَسْبى الصغيرَ وأقتلُ الكبيرَ ، فإنى رسول الله بالحق أومن بالله وكتبه ورسله وبالمسيح بن مريم أنه كَلِمةُ الله ، وإنى أومن به أنّه رسولُ الله ، وائتِ قَبْلَ أنْ يَمَسَكُم الشرّ فإنى قد أَوْصيت رسلى بكم ، وأَعطِ حَرْمَلَةَ ثلاثةَ أوسقِ شعير ، وإن حرملة شَفَعَ لكم ، وإنى لولا اللهُ وذلك لم أراسِلْكم شيئا حتى ترى الجيشَ ، وإنكم إن أطعتم رسلى فإن الله لكم جارٌ ومحمد ومن يكون منه ، وإن رسلى شرحبيل وأبيٌّ وحرملة وحُرَيْثَ بن زيد الطائى فإنهم مهما قاضوك عليه فقد رَضِيتهُ وإنّ لكم ذمةَ اللهِ وذمةَ محمدٍ رسول الله ، والسلام عليكم إن أطعتم ، وجهزوا أهل مَقْنا إلى أرضهم » .

(٧٢) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لجُمَّاعٍ كانوا فى جبل تهامة قد غصبوا المارَّة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد ، فلما ظهر رسول الله ، ﷺ ، وفد منهم وفد على النبىّ ، ﷺ ، فكتب لهم رسول الله ، ﷺ ،: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لعباد الله العُتَقاءِ ، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا

الزكاة فعبدُهُم حر ومولاهم محمد ومن كان منهم من قبيلة لم يُرَدّ إليها ، وما كان فيهم من دمٍ أصابوه أو مال أخذوه فهو لَهُم ، وما كان لهم من دَيْن فى الناس رُدّ إليهم ولا ظلم عليهم ولا عدوان ، وإن لهم على ذلك ذمةَ الله وذمةَ محمد ، والسلام عليكم . وكتب أبىّ بن كعب »

(٧٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ كبيراً : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى غاديًا ، أن لهم الذمةً وعليهم الجزيةَ ولا عَداءَ ولا جَلاء ، الليلُ مدٌّ والنهار شدٌّ ؛ وكتب خالد بن سعيد . قالوا : وهم قوم من يهود ، وقوله مدٌّ ، يقول : يمده الليل ويشده النهار لا ينقضه شىء »

(٧٤) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى عريض طُعْمَةٌ من رسول الله عَشَرَةُ أوْسُق قمحٍ وعشرةُ أوسقٍ شعيرٌ فى كل حصاد وخمسين وَسْقاً تمر يُوفونَ فى كل عام لحينه لايظلمون شيئا ، وكتب خالد بن سعيد . قال : وبنى عريض قوم من يهود »

(٧٥) « قال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى بن علية عن الجُريرى عن أبى العلاء قال : كنت مع مُطَرِّف فى سوق الإبل ، فجاء أعرابى بقطعة أديم أو جراب فقال : من يقرأ ؟ أو قال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلت : نعم أنا أقرأ ، فقال : دونك هذا فإن رسول الله ، ﷺ ، كتبه لى ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى لبنى زُهير بن أُقيش (حىّ من عُكْل) أنهم إن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وفارقوا المشركين ، وأقروا بالخُمْس فى غنائمهم وسهمِ النبى وَصَفِيّه، فإنهم آمنون بأمان الله ورسوله . فقال له القوم أو بعضهم :

أسمعت من رسول الله شيئا تُحدِّثناه ؟ قال : نعم ، قالوا : فحدثنا رحمك الله ، قال : سمعته يقول : من سره أن يذهب كثيرٌ من وَحَرِ الصَّدْرِ فليصمْ شهرَ الصبر وثلاثةَ أيامٍ من كل شهر ، فقال له القوم أو بعضهم : أسمعت هذا من رسول الله ؟ قال : أراكم تخافون أن أكذب على رسول الله ﷺ ، والله لا أحدثكم حديثاً اليوم ».

(٧٦) « قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، حدثنا لوط ابن يحيى الأزدى قال : كتب النبى ، ﷺ ، الى أبى ظَبْيان الأزدى من غامد يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام ، فأجابه فى نفر من قومه بمكة ، منهم : مِخْنَف ، وعبد الله ، وزهير بنو سُلَيْم ، وعبد شمس بن عفيف ابن زهير، هؤلاء بمكة ؛ وقدم عليه بالمدينة الجَحِنُ بن المرقَّع وجُنْدَب بن زهير ، وجندب بن كعب ، ثم قدم بعدُ مع الأربعين الحكم من مُغَفَّل ، فأتاه بمكة أربعون رجلا ، وكتب النبى ﷺ لأبى ظَبيان كتابا ، وكانت له صحبة ، وأدرك عمر بن الخطاب » .

(٧٧) « أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثنى جميل بن مَرْثَد قال : وفد رجل من الأجئيين يقال له حبيب بن عمرو على النبى ، ﷺ ، فكتب له كتابا : هذا كتاب من محمد رسول الله لحبيب بن عمرو أخى بنى أجإٍ ولمن أسلم من قومه وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، أن له ماله وماءه ، ما عليه حاضره وباديه ، على ذلك عهد الله وذمة رسوله » .

(٧٨) « قال : أخبرنا هشام بن محمد قال : حدثنى رجل من بنى بُحْتُر من طيىء قال : وفد على رسول الله ، ﷺ ، الوليد بن جابر بن ظالم بن حارثة بن عتّاب بن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُول من بُحتر ، فأسلم وكتب له كتابا هو عند أهله بالجبلين » .

(٧٩) « قال : أخبرنا على بن محمد القرشى عن أبى معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن كعب ، وعن يزيد بن عياض بن جُعْدبة الليثى عن الزّهرى ، وعن غيرهم قالوا : كتب رسول الله ، ﷺ ، إلى سمعان ابن عمرو بن قُريط بن عبيد بن أبى بكر بن كلاب مع عبد الله بن عوسجة العُرنى ، فرقع بكتابه دلوه ، فقيل لهم بنوا الراقع ، ثم أسلم سمعان وقدم على رسول الله ، ﷺ ، وقال :

أَقِلْنِى كما أمّنت وَرْداً ولم أكن بأسوأ ذنباً إذ أتيتُك مِن وَرْدِ » .

(٨٠) « قال : أخبرنا على بن محمد عن حمّاد بن سلمة عن الحجاج ابن أرطاة عن أبى إسحاق الهمدانى ، أن العُرَنى أتاه كتاب رسول الله ﷺ ، فرقع به دلوه ، فقالت له ابنته : ما أراك إلا ستصيبك قارعة ، أتاك كتاب سيد العرب فرقعت به دلوَك ! فمرّ به جيش لرسول الله ، ﷺ ، فاستباحوا كلّ شىء له ، فأسلم وأتى النبىّ ، ﷺ ، فأخبره ، فقال له رسول الله ، ﷺ : ما أصبت من مال قبل أن تَقْسِمَه المسلمون فأنت أحق به » .

(٨١) « قال : أخبرنا على بن محمد عن عمرو بن عبد الرحمن الزهرى عن زامل بن عمرو الجُذامى قال : كان فروة بن عمرو الجذامى عاملاً للروم على عمّان من أرض البلقاء ، أو على مُعَان ، فأسلم وكتب إلى رسول الله ، ﷺ ، بإسلامه وبعث به مع رجل من قومه يقال له مسعود بن سعد ، وبعث إليه ببغلة بيضاء وفرس وحمار وأثواب لين وقباء سندس مخوّص بالذهب ، فكتب إليه رسول الله ﷺ ، من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو . أما بعد فقد قدم علينا رسولك وبلّغ ما أرسلت به وخبّر عمّا قبلَكم ، وأتانا بإسلامك وأن الله هداك بهداه إن

أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة . وأمر بلالاً فأعطى رسوله مسعود بن سعد اثنتى عشرة أوقية ونَشّاً . قال : وبلغ ملك الروم إسلام فروة فدعاه فقال له : ارجع عن دينك نملكك ، قال : لا أفارق دين محمد وإنك تعلم أن عيسى قد بشّر به ولكنك تضنّ بملكك ، فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه » .

(٨٢) « قال : أخبرنا على بن محمد ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة عن رجل من بنى سدوس قال : كتب رسول الله ، ﷺ ، إلى بكر بن وائل : أما بعد فأَسْلِمُوا تَسْلَمُوا . قال قتادة : فما وجدوا رجلا يقرؤه حتى جاءهم رجل من بنى ضبيعة بن ربيعة فقرأه ، فهم يُسَمَّوْنَ بنى الكاتب ، وكان الذى أتاهم بكتاب رسول الله ، ﷺ ، ظبيان بن مرثد السدوسى » .

(٨٣) « قال : أخبرنا على بن محمد عن معتمر ، عن رجل من أصحابه يقال له عطاء ، عن عبد الله بن يحيى بن سلمان ، قال : أرانى ابن لسُعَيْر بن عدّاء كتابا من رسول الله ، ﷺ : من محمد رسول الله إلى السُّعير بن عدّاء أنى قد أخفرتك الرَّحيحَ وجعلت لك فضلَ بنى السبيل » .

(٨٤) « قال : أخبرنا على بن محمد عن يزيد بن عياض عن الزهرى قال : كتب رسول الله ، ﷺ ، إلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كُلال من حمير : سلْم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله وأنّ اللهَ وحده لاشريك له ، بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته ، قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة عيسى ابن ا لله . قال : وبعث بالكتاب مع عيّاش بن أبى ربيعة المخزومى وقال : إذا جئت أرضه فلا تدخلنّ ليلا

حتى تصبح ، ثم تطهّر فأحسن طهورك وصلّ ركعتين وسل الله النجاح والقبول واستعذ بالله ، وخذ كتابى بيمينك وادفعه بيمينك فى أيمانهم فإنهم قابلون واقرأ عليهم : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين ؛ فإذا فرغت منها فقل آمن محمد وأنا أول المؤمنين ، فلن تأتيك حجة إلا دحضت ولا كتاب زخرف إلا ذهب نوره ، وهم قارئون عليك فإذا رطنوا فقل ترجموا وقل حسبى الله آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير ؛ فإذا أسلموا فسلهم قُضُبهم الثلاثة التى إذا حَضَرُوا بها سَجَدوا وهى من الأَثْل ، قضيب ملمع ببياض وصفرة وقضيب ذو عُجَر كأنه خَيْزُران ، والأسود البهيم كأنه من ساسمَ ، ثم أخرجها فَحَرِّقها بسوقهم ؛ قال عيّاش : فخرجت أفعل ما أمرنى رسول الله ، ﷺ ، حتى إذا دخلت إذا الناس قد لبسوا زينتهم ، قال فمررت لأنظر إليهم حتى انتهيت إلى ستور عظام على أبواب دور ثلاثة ، فكشفت الستر ودخلت الباب الأوسط ، فانتهيت إلى قوم فى قاعة الدار فقلت : أنا رسول رسول الله ، وفعلت ما أمرنى فقبلوا، وكان كما قال ، ﷺ » .

(٨٥) « قالوا وبالإسناد الأول : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى عبدالقيس : من محمد رسول الله إلى الأكبر بن عبد القيس أنهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ما أحدثوا فى الجاهلية من القُحَم ، وعليهم الوفاء بما عاهدوا ، ولهم أن لا يُحْبَسُوا عن طريق الميرة ولا يُمْنَعُوا صوب القَطْر ولايُحْرَموا حريمَ الثمار عند بلوغه ، والعلاء بن الحضرمى أمين رسول الله على برّها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها ، وأهل

البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره فى الملاحم ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقُهُ لايُبَدِّلوا قولاً ولا يريدوا فُرْقةً ، ولهم على جند المسلمين الشركةُ فى الفىء والعدل فى الحكم والقصدُ فى السيرة : حُكْمٌ لاتبديل له فى الفريقين كليهما ، والله ورسوله يشهد عليهم » .

(٨٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، الى أقيال حضرموت وعظمائهم ، كتب إلى زرعة وقهد والبَسّى والبُحَيْرى وعبد كُلال وربيعة وحجر ؛ وقد مدح الشاعر بعضَ أقيالهم فقال :

ألا إن خيرَ الناسِ كلِّهمُ قهدُ وعبدُ كُلالٍ خيرُ سائرِهم بعد

وقال آخر يمدح زرعة :

ألا إن خير الناس بعد محمد لزرعةُ إن كان البُحَيرىُّ أسلما » .

« قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، إلى نُفاثةَ بنِ فروةَ الدُّئلى ملك السماوة .

(٨٨) قالوا : وكتب إلى عُذرة فى عسيب ، وبعث به مع رجل من بنى عذرة ، فعدا عليه ورد بن مرداس ، أحد بنى سعد هذيم ، فكسر العسيب وأسلم واستشهد مع زيد بن حارثة فى غزوة وادى القرى أو غزوة القَرَدَة » .

(٨٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لمطرف بن الكاهن الباهلى : هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرِّف بن الكاهن ولمن سكن بيشةَ من باهلة : أن من أحيا أرضا مواتا بيضاء فيها مناخ الأنعام ومُراح فهى له ، وعليهم فى كل ثلاثين من البقر فارض وفى كل أربعين من الغنم عَتُود وفى كل خمسين من الإبل ثاغيةٌ مُسِنّةٌ ، وليس للمصدق أن يُصَدِّقَها إلا

فى مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله » .

(٩٠) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ ، لنَهْشَل بن مالك الوائلى من باهلة : باسمك اللهم هذا كتابٌ من محمد رسول الله لنَهْشلِ بن مالك ومن معه من بنى وائل لِمَنْ أسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغْنَمِ خمسَ الله وسهمَ النبى وأشهدَ على إسلامه ، وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ويَبرِىء إليه محمدٌ من الظلم كلّه ، وأن لهم أن لايُحّشَروا وَلا يُعّشَروا وعاملُهُم من أنفسهم . وكتب عثمان بن عفان » .

(٩١) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لثقيف كتابا : أن لهم ذمة الله وذمة محمد بن عبد الله على ما كتب لهم ، وكتب خالد بن سعيد وشهد الحسن والحسين ، ودفع النبى ، ﷺ ، الكتاب إلى نمير ابن خرشة » .

(٩٢) « قالوا : وسأل وفد ثقيف رسول الله ، ﷺ ، أن يحرم لهم وَجًّا ، فكتب لهم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى المؤمنين ، إن عضَاه وَجٍّ وصيدَه لايُعْضَدُ ، فمن وُجِدَ يفعلُ ذلك فإنه يُؤْخذ فيَبلّغُ النبى ، وهذا أمر النبى محمد بن عبد الله رسول الله . وكتب خالد بن سعيد : بأمر النبى محمد بن عبد الله فلا يتعدينه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله » .

(٩٣) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لسعيد بن سفيان الرّعلى : هذا ما أعطى رسول الله ، ﷺ ، سعيدَ بنَ سفيانَ الرّعلى ، أعطاه نخل السّوارِقيّة وقَصْرها لايحاقه فيها أحد ومن حاقه فلا حق له وحقه حق ، وكتب خالد بن سعيد » .

(٩٤) « قالوا : وكتب رسول الله . ﷺ . لعتبةَ بنِ فرقد هذا ما أعطى النبى ، ﷺ ، عتبةَ بن فَرقَدَ . أعطاه موضعَ دارٍ بمَكة يبنيها مما يلى المروةَ فلا يحاقّه فيها أحد ومن حاقه فإنه لاحق له وحقه حق وكتب معاوية » .

(٩٥) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لسلمة بن مالك السُّلَمى : هذا ما أعطى رسولُ الله ، ﷺ ، سلمة بن مالك السُّلمى ، أعطاه ما بين ذات الحنَاظى إلى ذات الأساودِ لايحاقه فيها أحد . شهد على بن أبى طالب وحاطب بن أبى بلتعة » .

(٩٦) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لبنى جنَاب من كلب : هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لبنى جَنَاب وأحلافِهم ومن ظاهرهم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والتمسك بالإيمان والوفاء بالعهد ، وعليهم فى الهاملةِ الراعيةِ فى كل خمس شاةٌ غيرُ ذاتِ عَوَار والحَمُولةُ المائرةُ لهم لاغيةٌ والسقىُّ الرَّواءُ والعِذْىُ من الأرض يقيمُه الأمينُ وظيفةً لايُزادُ عليهم ؛ شهد سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودِحْية بن خليفة الكلبى » .

(٩٧) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ : هذا كتاب من محمد رسول الله لِمَهْرِىِّ بن الأبيض على مَنْ آمن من مَهْرَة ، أنهم لا يُؤكَلون ولا يُغَارُ عليهم ولايُعْرَكُون وعليهم إقامةُ شرائعِ الإسلامِ ، فمن بدّل فقد حارب الله ، ومن آمن به فَلَهُ ذمةُ الله وذمةُ رسُوله ، اللُّقَطَةُ مؤداةٌ والسارحة مُنَدَّاةٌ والتَّفثُ السيئةُ والرَّفَثُ الفُسوقُ ؛ وكتب محمد بن مسلمة الأنصارى »

(٩٨) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ . لخثعم هذا كتاب من

محمد رسول الله لِخَثْعَمَ مِنْ حاضِرِ ببيشَةَ وبادِيَتِها ، أنّ كل دم أصبتموه فى الجاهلية فهو عنكم موضوع ، ومن أسلم منكم طوعا أو كرها فى يده حَرْثٌ من خِبَارٍ او عَزَازٍ تَسْقيه السماء أو يرويه اللّثى ، فزكا عمارةً فى غير أَزْمة ولا حَطْمة فله نَشْرُهُ وأكْلُه ، وعليهم فى كل سَيْح العُشْرُ وفى كل غَرْب نصف العشر ؛ شهد جرير بن عبد الله ومن حضر . »

(٩٩) « قالوا : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لوفد ثمالة والحُدان : هذا كتاب من محمد رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف مما حازت صُحَارَ ، ليس عليهم فى النخل خِراص ولا مكيال . مُطْبَقٌ حتى يوضعَ فى الفَدَاءِ ، وعليهم فى كل عَشَرَةٍ أوساق وَسَقٌ ؛ وكاتب الصحيفة ثابت بن قيس بن شماس ، شهد سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة » .

(١٠٠) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ لبارِق من الأزد : هذا كتاب من محمد رسول الله لبارِق أن لا تُجَذ ثمارهم وأن لا تُرْعَى بلادُهم فى مَرْبَعٍ ولا مصْيَفٍ إلا بمسألة من بارِق ، ومن مرّ بهم من المسلمين فى عَرَكٍ أو جَدْب فله ضيافةُ ثلاثةِ أيامٍ ، فإذا أينعت ثمارُهم فلإبن السبيل اللِّقاطُ يوسعُ بطنَه مِنْ غَيرِ أن يقتَثِمَ ؛ شهد أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة ابن اليمان ، وكتب أبىّ بن كعب ، قال : الجدب أن لايكون مرعى ، والعرك أن تخلّىَ إبلَك فى الحمض خاصة فتأكل منه حاجتها ، ويقتثم ؛ يحمل معه » .

(١٠١) « قالوا : وكتب رسول الله ﷺ ، لوائل بن حُجْر لما أراد الشخوصَ إلى بلاده ، قال : يارسول الله اكتب لى إلى قومى كتابا ، فقال رسول الله ﷺ ، : اكتب له يا معاوية إلى الأقيال العباهلة ليقيموا الصلاة

وَيُؤتُوا الزكاةَ ، والصدقةُ على التَّيعَة السائمة لصاحبها التيمةُ لا خلاطَ ولا وِراط ولا شغَارَ ولا جلَبَ ولا جنَب ولا شِناقَ ، وعليهم العونُ لسرايا المسلمين وعلى كل عَشَرَةٍ ما تَحْمِلُ العرابُ ، مَنْ اجْبأ فقد أرْبَى . وقال وائل : يارسولَ الله اكتبْ لى بأرضى التى كانت لى فى الجاهلية ، وشهد له أقيالُ حمير وأقيالُ حضرموت ، فكتب له : هذا كتاب من محمد النبى لوائل بن حُجرِ قيْلِ حضرموتَ وذلك انّك أسلمتَ ، وجعلتُ لك ما فى يديك من الأرَضين والحصونِ ، وأنه يؤخذ منك من كل عَشَرَةٍ واحدٌ يَنْظُرُ فى ذلك ذَوَا عَدْلٍ ، وجعلتُ لك أن لا تُظْلَمَ فيها ما قام الدين والنبىَ والمومنون عليه أنصارٌ . قالوا : وكان الأشعثُ وغيرُه منْ كِندَة نازعوا وائلَ بنَ حجرٍ فى وادٍ بحضرموتَ ، فادّعوه عندَ رسول الله ، ﷺ ، فكتب به رسول الله ، ﷺ ، لوائل بن حُجر » .

(١٠٢) « قالوا : وكتبَ رسول الله ﷺ ، لأهل نجرانَ : هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل نجران انه كان له عليهم حكْمُهُ فى كل ثمرةٍ صفراءَ أو بيضاءَ أو سوداءَ أو رقيقٍ فأفضلَ عليهم وتَرَك ذلكَ كلَّه على ألفى حلةَ حُلَلِ الأواقى فى كل رجب ألفُ حُلّة وفى كل صفَرَ ألف حُلّة كل حُلة أوقية ، فما زادت حُلَلُ الخَرَاجِ أو نَقَصَتْ على الأواقى فبالحساب ، وما قبضوا من دُرُوعٍ أو خيلٍ أو ركابٍ أو عَرْضٍ أُخِذَ منهم فبالحساب.وعلى نجرانَ مَثْوَاةُ رُسُلى عشرين يوماً فدونَ ذلك ولا تُحْبَسُ رسلى فَوْقَ شهرٍ ، وعليهم عاريةُ ثلاثينَ دِرْعاً وثلاثينَ فَرَساً وثلاثين بعيرا إذا كان باليمن كيْد ، وما هلك مما أعاروا رُسُلى من دروع أو خيل أو ركاب فهو ضمانٌ على رسلى حتى يؤدوه إليهم ، ولنجرانَ وحاشيتهم جوارُ الله وذمةُ محمد النبى رسولِ اللهِ على أنفسهم وملتهم وأرضهم

وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم ، لايغيّروا أسقفًا عن أسقفّيته ولا راهبا عن رهبانيته ولا واقفا عن وَقْفَانِيَّتِه ، وكُلُّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس رِباً ولا دمَ جاهلية ، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصفُ غيرَ ظالمين ولا مظلومين لنجران ، ومن أكل ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة ، ولا يُؤَاخَذُ أحد منهم بظلم آخر ، وعلى ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبى أبدا حتى يأتى الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غَيْرَ مُثْقَلينَ بِظُلمٍ . شَهِدَ أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف النصرى والأقرع بن حابس والمستورد ابن عمرو أخو بَلّى والمغيرةُ بن شعبة وعامر مولى أبى بكر » .

(١٠٣) « قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى قال : حدثنى شيخ من أهل دومة أن رسول الله ، ﷺ ، كتب لأُكَيدِرَ هذا الكتاب ، وجاءنى بالكتاب فقرأته وأخذت منه نُسْخَتَه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لأُكَيْدَرَ ، حين أجاب إلى الإسلام وخَلَعَ الأنداد والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها ، أن له الضاحيةَ من الضَّحْلِ والبوْرِ والمَعَامى وأغْفَالَ الأرض والحلْقةَ والسلاحَ والحافرَ والحصْنَ ، ولكم الضامنةُ من النخل والمَعينُ من المعْمور ؛ وبَعْدَ الخُمُسِ لاتُعْدَلُ سارِحَتُكُم ، ولا تُعَد فاردَتُكم ، ولا يُحْظَرُ عليكم النباتُ ، ولا يُؤْخَذُ منكم إلا عُشْرُ الثَّبات ؛ تُقِيمُون الصلاةَ لوَقْتِها ، وتُؤْتُونَ الزكاةَ بحقها ، عليكم بذلك العهدُ والميثاقُ ، ولكم بذلك الصدقُ والوفاءُ ، شهد الله ومن حضر من المسلمين . قال محمد بن عمر : الضحل الماء القليل ، والمعامى الأعلام من الأرض ما لا حد له ، والضامنة ما حمل من النخل ، وقوله : لا تعدل سارحتكم ،

يقول : لاتُنَحِّى عن الرعى ، والفارد مالا تجب فيه الصدقة ، والأغفال ما لا يقال على حده من الأرض ، والمعين الماء الجارى ، الثبات النخل القديم الذى قد ضرب عروقه فى الأرض وثبت » .

(١٠٤) « قال : وكانت دَوْمةُ وأَيْلةُ وتَيْماءُ قد خافوا النبى لما رأوا العرب قد أسلمت ، قال : وقدم يحنّه بن روبة على النبى ﷺ – وكان ملك أيلة – وأشفق أن يبعث إليه رسول الله ، ﷺ ، كما بعث إلى أكيدر ، وأقبل ومعه أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ومن جربا وأذرح ، فأتوْه فصالحهم وقطع عليهم جزية معلومة ، وكتب لهم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنه بن رَوْبَةَ وأهلِ أيْلَةَ ، لسفنهم وسَيّارَتِهم فى البر والبحر ، لهم ذمةُ الله وذمةُ محمد رسول الله ، ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، ومن أحدث حَدَثًا فإنه لا يحول مالُهُ دون نفسه ، وأنه طَيِّبةٌ لمن أَخَذَه من الناس ، وأنه لايحلُّ أن يمنَعُوا ماءً يَرِدُونه ولا طريقا يُرِيدُونه من بر وبحر ، هذا كتاب جُهَيْمِ بنِ الصلتِ وشُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنَةَ بإذنِ رسول الله » .

(١٠٥) « أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنى يعقوب بن محمد الظفرى ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : رأيت على يُحَنَّه بن رَوْبة يوم أتى النبى ، ﷺ ، صليبا من ذهب وهو معقود الناصية ، فلما رأى رسولَ اللهِ ، ﷺ ، كفَّرَ وأومأ برأسه ، فأومأ اليه النبى ، ﷺ ، أن ارفع راسك ، وصالحه يومئذ ، وكساه رسول الله ، ﷺ ، بُرْدَ يمنة ، وأمر بإنزاله عند بلال ؛ قال : ورأيت أكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج

ظاهرا . قال : ثم رجع الحديث الى الأول ، قال محمد بن عمر : ونسخت كتاب أهل أذرح فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبى لأهل أذرح : أنهم آمنون بأمان الله ومحمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافيةً طيبةً ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين ، وهم آمنون حتى يُحدثَ إليهم محمدٌ قبل خروجه (يعنى إذا أراد الخروج) . قال : ووضع رسول الله ﷺ ، الجزية على أهل أيلة ثلاثمائةَ دينار كل سنة ، وكانوا ثلاثمائة رجل . قال : « وكتب رسول الله، ﷺ ، لأهل جَرْبَاَ وأذرح هذا كتاب من محمد النبى لأهل جرّبا وأذرح : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأنّ عليهم مائةَ دينارٍ فى كل رجب وافيةً طيبةً والله كفيل عليهم » .

(١٠٦) « قال : وكتب رسول الله ، ﷺ ، لأهل مَقْنا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم ربعَ غُزولِهم وربعَ ثمارِهم . » .

(١٠٧) قال أخبرنا محمد بن عمر ، أخبرنا ابن أبى ذئب ، أخبرنا صالح مولى التوأمة أن رسول الله ﷺ صالح أهل مقنا على أخذ ربع ثمارهم وربع غزولهم . قال محمد بن عمر: وأهل مقنا يهود على ساحل البحر ، وأهل جربا أذرح يهود أيضا » .

تلك هى الوثائق التاريخية ، أو السُّنّة السياسية التى ذكرها ابن سعد فى كتاب الطبقات الكبرى ، أثبتُّها ها هنا بنصها حتى يتبين لنا منها كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى السياسة ، وفى التبليغ للأمم ، وكيف كان كلامه للملوك يدوّن فى الصحف مع ذكر أسماء الكتبة وشهاداتهم ومنهم :

على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، وأبى بن كعب ، وعبد الله بن زيد ، والأرقم بن أبى الأرقم والمغيرة بن شعبة وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ، وهى ثروة تاريخية حديثية مكتوبة بين يدى رسول العالمين صلى الله عليه وسلم .

ولم تقتصر الكتابة بين يدىّ النبىّ الكريم ﷺ على اللغة العربية فحسب ، لكنها تعدت العربية إلى العبرانية لغة اليهود إذ كان يأتيه صلى الله عليه وسلم كُتُبٌ من اليهود باللغة العبرانية فأمر بعض أصحابه بتعلمها حتى يكتب له بها ، فقد أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود وقال له : إنه يأتينى كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تعلمّ كتابَ العبرانية ؟ أو قال : السريانية » . ؟

قال زيد : نعم . ثم قال : فتعلمتُها فى سبعَ عشرةَ ليلةً .

وربما أمر صلى الله عليه وسلم من يكتب بأن يضع القلمَ على أذنه، فقد رُوِىَ عن زيدِ بنِ ثابتٍ أنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو يمـلّ فى بعض حوائجه فقال : ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للممل » (١) .

ويروى أن هذا الحديث إنما كان الكلام فيه من النبى ﷺ لمعاوية كاتب الوحى - رضى الله عنه - كان إذا رأى من النبى ﷺ ، غفلة وضع القلم فى فيه فقال النبى ﷺ : يامعاوية إذا كتبت فضع قلمك على أذنك فإنه أذكر لك » (٢) .

---

(١) محمد بن سعد الطبقات الكبرى جـ ٢ ق ١ ص ١١٥ .

(٢) أخرج هذا الحديث الخطيب البغدادى فى تاريخه عن أنس بن مالك - ذكر ذلك صاحب كتاب "البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف" جـ ١/١٧٧ .

(ب) إذن عام : (الرخصة فى كتابة السنة) .

رأينا كيف أن الرسول - ﷺ - كان قد نهى عن كتابة شىء من أخباره وذلك فى حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال « لاتكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه » (١) ورأينا - على الرغم من هذا التحذير - أنه قد سمح لبعض صحابته فى الكتابة عنه صلى الله عليه وسلم من أخباره مما هو سوى القرآن وأنه وإن كان أذن لبعضهم فى الكتابة إلا أنه لم يأذن للبعض الآخر فى الكتابة عنه . وقلنا إن هذا النهى إنما كان فى بادىء الأمر حتى لايخلط الناس كلامه صلى الله عليه وسلم بكلام الله عز وجل .

أما بعد ذلك فقد أرخص الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتابة عنه مما هو غير القرآن فقد روى أبو هريرة أنه لما فتحت مكة قام رسول الله ﷺ . فخطب الناس فقام رجل من اليمن يقال له « أبو شاه » فقال يارسول الله اكتبوا لى ؛ فقال - ﷺ - : اكتبوا لأبى شاة يعنى الخطبة » (٢) .

كما روى الترمذى فى جامعه حديثا يسنده إلى أبى هريرة أنه قال : كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيسمع من النبى - ﷺ - فيعجبه ولايحفظه ، فشكا ذلك إلى النبى - ﷺ - فقال : يارسول الله إنى أسمع منك الحديث فيعجبنى ولا أحفظه ، فقال

---

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ٦٣/١ .

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ٧٠/١ .

رسول الله – ﷺ – : استعن بيمينك وأومأ بيده للخط (١) . وفى رواية أخرى : « استعن بيمينك على حفظك » (٢) .

وقال الترمذى أيضا وفى الباب عن عبد الله بن عمرو .

وعلى الرغم من أن الترمذى وصف هذا الحديث بأن اسناده ليس بذلك القائم إلا أنه أشار إلى الصحيح فى قوله « وفى الباب عن عبد الله ابن عمرو » ، وفى هذه الإشارة ما يرفع من شأن المتن وهو السماح بالكتابة والترخيص فيها .

كما أن هناك بعض الأحاديث الأخرى كالتى ذكرها السيوطى فى كتاب تدريب الراوى حيث قال :

– أسند الرامهرمزى عن رافع بن خديج قال : قلت يارسول الله ، إنّا نسمع منك أشياء أفنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ذلك ولا حرج » ..

– وروى الحاكم وغيره من حديث أنس موقوفا « قيدوا العلم بالكتاب » .

– وأسند الديلمى عن علىّ مرفوعاً : « إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بسنده » (٣) .

كما نجد عن ابن عبد البر النمرى القرطبى فى كتابه « جامع بيان

---

(١) الترمذى – الجامع الصحيح ٣٨/٥ الحديث رقم ٢٦٦٣ .

(٢) ابراهيم بن محمد بن كمال الدين الحنفى الدمشقى : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جـ ١ / ٢١٤ – أخرجه ابن عدى والبزار وابن عساكر عن أبى هريرة .

(٣) السيوطى : تدريب الراوى جـ ٢ / ٦٧ .

العلم وفضله ، أنه : -

- روى عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قيدوا العلم بالكتاب) .

وكان أنس يوصى أبناءه بذلك ويقول لهم (يابنى قيدوا العلم بالكتاب) .

- وروى كذلك أن عمر بن الخطاب كان يقول : (قيدوا العلم بالكتاب) .

- وأن ابن عباس كان يقول : (قيدوا العلم بالكتاب) .

وروى عن عبد الله بن عمرو يرفعه قال : (قيدوا العلم قلت : وماتقييده قال : الكتاب) (١) .

وتدل هذه الأحاديث على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أباح للناس الكتابة عنه - فى أواخر أيامه بعد أن اطمأن إلى سلامة التمييز لديهم بين كلام الله عز وعلا وبين كلامه - ﷺ - وبعد تأكده صلى الله عليه وسلم من استقرار الحفظ لكلام الله فى قلوب أصحابه ومعرفتهم له مبالغة منه - ﷺ - فى الاحتياط وزيادة فى التوثق .

ومع الإذن العام فى الكتابة عنه صلى الله عليه وسلم نجد محاولات فردية قد ظهرت فيما بعد لجمع السنن مكتوبة ومجموعة فى الصحف كانت بمثابة إرهاصات للجمع بشكل عام أو التدوين العام للحديث النبوى فى عصر طبقة صغار التابعين ومن بعدهم .

---

(١) راجع : ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله من ص ٧١ - ص ٧٣ .

ثانيا : الكتابة في عصر الصحابة

تشدد كبار الصحابة فى عدم كتابة العلم :

قد يستغرب بعض الناس مسلك الصحابة فى عدم كتابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشددهم فى ذلك فى الزمن الأول ، إلا أنه إذا أمعنَّا الفكر والنظر لوجدنا أن فى ذلك حكمة بالغة ، وهى أن الحفظ يستدعى من الإنسان الهمة والسعى ، فإنه يسعى إلى شيخه ومعلمه كى يتزود منه بالعلم ثم يكابد بعد ذلك عملية الحفظ لما حصله ، ثم إنه يعود إلى معلمه كى يعرض عليه ما حفظ ويكرر المعاودة لأجل تثبيت الحفظ . وهو بذلك إنما ينشِّط عند معلِّمه أيضا عملية التذكر وتجديد الحفظ لديه ، لأنَّ حياة العلم فى هذه المذاكرة . ثم إن الحفظ يستدعى العمل ، لأن الذى يحفظ سوف يتأثر بحفظه لحضور ذهنه دائما ، وكذلك يستدعى الحفظ تطهيرَ الباطن ونقاوة الصدر لأن من شَغَلَ باطنه بشىء آخر غير العلم فسد حفظه ثم لايستطيعه ، ولذلك نجد أغلب الحفاظ أكثر الخلق مجاهدة لأنفسهم وتطهيراً لباطنهم ، والحفظ أكد للذاكرة وأوثق للقلب عند الكلام ، وليس ذلك لمن أخبر بالكتابة من غير حفظ ، بل يُخْشى من أن يُزاد فى الكتاب ما ليس منه فيضل صاحبه بسبب ذلك ، ومن اعتمد على كتابه يُخْشى عليه من ضياعه ، لأن فى ضياع كتابه ضياعَ علمه .

والحفظ يدعو إلى الجماعة لأن الحافظ لا يستأهل شهادة العلماء له بالحفظ والإتقان إلا إذا عرض عليهم حفظه الذى حَصّله ، وليس ذلك

للكتاب .

من أجل ذلك نجدهم قد أمعنوا فى التشدد فى كتابة الحديث لئلا يتكاسل الناس ولئلا يفترق الناس ، ولئلا يذهب علم الناس إذا ذهبت كتبهم ، فإن عوادى الدهر غير مأمونة على الكتب ، ولعل ذلك يكون واضحا جلياً لدينا إذا قلبنا صحفات التاريخ وأطلعنا على الغزو التتارى الرهيب الذى عمد إلى مكتبة بغداد حيث أغرق التتار الكتب فى النهر ، ولولا حفظ الناس لضاعت ثقافة المسلمين ولانطمست علومهم إلى الأبد بسبب إغراق تراثهم الفكرى المدون فى الكتب .

الأسباب الداعية لعدم تفشى كتابة الحديث وتدوينه فى الكتب فى عصر الصحابة :

لم يوجه الخلفاء الراشدون ولا كبار الصحابة عنايتهم لجمع السنّة فى أيامهم فى كتاب واحد كما فعلوا بالقرآن ، ولو كانوا جمعوها فى كتاب لكان حسناً ، لكنهم لم يقدموا على ذلك لأسباب :-

السبب الأول : أن كبار الصحابة كان منهجهم أن يقللوا من رواية الحديث النبوى قدر الامكان ، وإذا كان منهجهم كذلك فكيف يحبذون كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لقد كان تورعهم عن الإقدام على هذا الأمر اتقاءً للوقوع فى الخطأ وسدًا لذرائع الاختلاف بين المسلمين ، فهذا أبو بكر الصديق قد جمع الناس بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قائلا لهم : (إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن

رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) (١)

أما عمر فدعا الصحابة إلى التقليل من رواية الحديث وكان يقول : لمن شيعهم إلى العراق « إنك تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوىّ النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ، وأنا شريككم » (٢)

وأما عثمان بن عفان فكان يقول : « لايحل لأحد يروى حديثا لم يسمع به فى عهد أبى بكر ولا عهد عمر ، فإنه لم يمنعنى أن أحدث عن رسول الله ﷺ الا اكون من أوعى أصحابه عنه ، الا إنى سمعته ﷺ ، يقول : من قال علىّ مالم أقل فقد تبوأ مقعده من النار » (٣)

وروى عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن ابيه قال : سمعته يقول : « ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، كان إذا حدّث أتمّ حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث » (٤)

وأما على بن أبى طالب ، فكان يدعو أصحاب النبى صلى الله

---

(١) شمس الدين الذهبى تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢ ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٧ .

(٣) صحيح مسلم ص ٦ ط. الحلبى .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ؛ جـ ٣ ق ١ ص ٣٩ .

عليه وسلم إلى التحديث بالمشهور فقط قائلا لهم : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » (١)

وروى عن أبى بردة أنه قال : كان لأبى موسى الأشعرى تابع فقذفه فى الإسلام فقال لى : يوشك أبو موسى أن يذهب ولا يحفظ حديثه فاكتب عنه . قال قلت : نعم ما رأيت ، قال فجعلت أكتب حديثه ، قال : فحدّث حديثا فذهبت أكتبه كما كنت أكتب ، فارتاب بى وقال : لعلك تكتب حديثى ، قال : فقلت : نعم ، قال : فائتنى بكل شىء كتبته ، قال : فأتيته به فمحاه ثم قال : احفظ كما حفظت » (٢)

السبب الثانى : أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين خشوا أن يقع الناس فيما وقع فيه أهل الأديان السابقة حيث هجروا كتاب الله وضلوا بكتب ورثوها عن آبائهم .

(روى عن الأسود بن هلال * قال : أتى عبد الله ** بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ، ثم قال : ذكّر الله رجلا يعلمها عند أحد إلاّ أعلمنى

---

(١) شمس الدين الذهبى تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٢.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى : جـ ٤ / ٨٣ .

* هو الأسود بن هلال المحاربى : قال ابن حجر : له إدراك ، روى عن معاذ بن جبل ، وعمر ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم .. توفى زمن الحجاج بعد الجماجم (سنة ٨٤ هـ) انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٣٤٢ .

** هو عبد الله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه .

به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها ، بهذا أُهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) (١)

السبب الثالث : أنه بعد مقتل عثمان بن عفان ، وقعت الفتنة الكبرى بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وقامت حروب ، وانقسم المسلمون شيعا فلم تسمح الظروف المضطربة بعملية جمع الحديث وتدوينه فى الكتب .

السبب الرابع : أن الممالك التى افتتحها المسلمون كانت لاتزال حديثة عهد بالإسلام وباللغة العربية لغة الفاتحين ، ولم يشأ الصحابة أن يشغلوا أذهان الناس بشىء سوى القرآن ، ولو قدّموا للناس كتابين ، فقالوا هذا قرآن وهذا سنّة ، إذن لوقع الالتباس .

ولذلك أنشد عمر بن الخطاب الناسَ أن يأتوه بما كتبوا من الحديث ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال : مثْناةٌ كمثناة أهل الكتاب ! (٢) .

السبب الخامس :

أن الحديث عن رسول الله ﷺ فى أيامهم القريبة العهد به صلى الله عليه وسلم لم يحتج إليه وذلك لكثرة الصحابة عليهم رضوان الله فى الزمن الأول ، واشتغالهم بالعبادة والأسفار فى

---

(١) ابن عبد البرجامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٦٥ .

(٢) انظر ، محمد بن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ / ١٤٠ .

الجهاد فى سبيل الله حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبى ﷺ شىء كثير .

روى ابن ماجه فى سننه بإسناده عن السائب بن يزيد (١) قال صحبت سعد بن مالك (٢) من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبى ﷺ بحديث واحد (٣) .

السبب السادس : كف الناس عن الإجتراء على التحديث حتى لايقعوا فى الزلل :

قال الإمام ابن حبان البستى * : « ... فعمد عمر إلى الثقات المتقنين الذين شهدوا الوحى والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبى ﷺ ، لئلا يجترىء من بعدهم ممن ليس فى الإسلام محله كمحلهم فيكثر الرواية فيزل فيها أو يقول متعمدا عليه - ﷺ ، لنوال الدنيا . وتبع عمر عليه علىّ بن أبى طالب رضوان

---

(١) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندى ، له ولابيه صحبة ، قال حج أبى مع النبى صلى الله عليه وسلم وأنا ابن سبع سنين - قيل أنه مات ما بين التسعين إلى المائة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، تهذيب التهذيب جـ ٣/٤٥١ .

(٢) هو سعد بن أبى وقّاص واسمه مالك بن أهيب الزهرى ، وهو أحد الستة أهل الشورى وكان أحد الفرسان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ ، وهو الذى كوّف الكوفة وفتح الله على يديه القادسية ومناقبه كثيرة جدا . ت سنة ٥١ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٣/٤٨٤ .

(٣) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه جـ ١٢/١ بتعليق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة دار الفكر.

* هو أبو حاتم محمد بن حبان البستى (ت ٣٥٤هـ) .

الله عليهما باستحلاف من يحدثه عن رسول الله ﷺ ، وإن كانوا ثقاة مأمونين ، ليعلم بهم توقى الكذب على رسول الله ﷺ ، فيرتدع من لادين له » (١) .

ولهذا هدد عمر أبا موسى الأشعرى فى حديث الاستئذان حين قال أبو موسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع » ، قال له عمر : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، قال أبو سعيد الخدرى : فجاءنا أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس ، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبرنا ، وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا:نعم كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره .) (٢)

وقد روى أن عمر قال له بعدها : « إنا لانتهمك ، ولكن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد » (٣)

وأعتقد أن هذه الأسباب الستة هى أهم الأسباب التى حالت دون كتابة الحديث مجموعاً فى كتاب واحد فى عصر كبار الصحابة ، فقد بالغوا فى التشدد والتثبت كما جهدوا ألا يحدثوا الناس بما يستغلق عليه

---

(١) أبو حاتم البستى : كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين – لمحمد بن حبان بن احمد التميمى البستى بتحقيق محمود ابراهيم زايد جـ ١ ص ٣٧ – الناشر : دار الوعى – حلب الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبى مجلد (١) صفحة (٧) .

(٣) كتاب المجروحين ، للبستى جـ ١ ص ٣٧ .

أفهامهم ، حتى لا يكون هناك خلاف أو سوء تأويل .

روى عن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود قال : « ما أنت بمحدث قوماً حديثا لاتبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة » (١) .

وكان أبو هريرة يقول : .... والذى نفسى بيده أن لو حدثتكم بكل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لرميتمونى بالقشع (يعنى بالمزابل) ثم ناظرتمونى) (٢) .

وعلى هذا النهج القويم سار كبار الصحابة حيث لم يحدثوا إلا بالمشهور من أخبار النبى وأحاديثه وقللوا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى لايفشو الحديث فيفتتن الناس به ويدخل فيه ماليس منه (٣) .

وفى عصر عمر بن الخطاب كان عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو ذر ربما أكثروا من الحديث فقال لهم عمر، ما هذا الحديث عن رسول الله ؟ ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات .

كثرة الرواية فى عصر صغار الصحابة وكبار التابعين :

وفى عصر أواخر الصحابة كثرت رواية الحديث ، وأَكْثَرَ صغارُ الصحابة من تعليم جيل التابعين القرآن والحديث والفقه ، وأكثروا من رواية الحديث ، حيث كان الوقت يتطلب إذاعة الحديث النبوى وتعليمه

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ٧ طبعة الحلبى .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٤ ق ٢ ص ٥٧ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٢ ق ٢ ص ١٠٠ .

لأجيال التابعين ، فأخذوه حفظا عنهم وكان عبد الله بن مسعود يقول :

عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب أصحابه ، عليكم بالعلم فإن أحدكم لايدرى متى يفتقر إليه » (١)

وكان لهم جميعا سمت كريم هو سمت العلماء العاملين فاجتمع لهم شرف العلم وشرف الصحبة ، يحكى أن ابن عباس رضى الله عنه كان يأتى إلى بيت زيد بن ثابت رضى الله عنه وعن الصحابة أجمعين ويقول العلم يؤتى ولا يأتى ؛ وكان إذا ركب زيد بن ثابت أخذ ابن عباس بركابه وهو يقول : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، فيأخذ زيد كفه ويقبلها ويقول : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ ، وقد تعلم منهم التابعون هذا الأدب الجم ، وهذا التقدير العالى للعلم والعلماء .

محاولات جمع الحديث مكتوبا فى القرن الأول

(الاجتهادات الفردية) :

وإذا قلنا إن السنّة لم تدون فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عصر الصحابة ، فإنما نعنى بذلك التدوين العام لها ، وإلاّ فإن هناك منهم من كان يكتب فى عصر النبوة كعبد الله بن عمرو بن العاص وقد سبق حديثه ، وكان علىّ بن أبى طالب يكتب أيضا ، فلقد روى أنه لما ثقل على النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه قال ياعلىّ .

---

(١) ابو الليث السمرقندى ؛ بستان العارفين فى الآداب الشرعية ص ١٦ . مكتبة فياض – المنصورة .

ائتنى بطبق أكتب فيه مالا تضل أمتى بعدى . قال : « فخشيت أن تسبقنى نفسه فقلت إنّى أحفظ ذراعا من الصحيفة » (١)

ويميل بعض المحدثين إلى أن هذه الصحيفة التى فى حديث علىّ هى الصحيفة التى دون فيها كتّاب رسول الله ﷺ – حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة (٢) .

محاولة أبى بكر الصديق :

إن أبا بكر الصديق كان قد حاول أن يجمع أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى كتاب ، وفى الخبر عن عائشة أنها قالت : « جمع أبى الحديث عن النبى ﷺ ، وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيرا ، قالت : فغمنى ، فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشىء بلغك ؟ فلما أصبح قال أى بنية هلمى الأحاديث التى عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها فقلت : لم أحرقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهى عندى فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثنى » (٣) .

محاولة عمر بن الخطاب :

وأراد [illegible] السنّة فاستفتى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فاشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : إنى كنت أريد أن

---

(١) محمد بن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى جـ ٢ ق ٢ ص ٣٧ .

(١) بكرى شيخ أمين : أدب الحديث النبوى ص ٣٦ .

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥ .

أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا » (١)

محاولة أبى هريرة جمع الحديث مكتوبا : -

وروى ابن عبد البر (فى « جامع بيان العلم » عن حسن بن عمرو ابن أمية الضمرى ، قال : « تحدثت عن أبى هريرة فأنكر . » (والغالب أن أبا هريرة كان حينئذ قد طال سنه وضعفت ذاكرته) « فقلت : إنّى قد سمعتُ مِنْكَ . فقال : إن كنتَ سمعتَه منّى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى إلى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد ذلك الحديث ، فقال : « قد أخبرتك إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى » (٢) . وفيه نص صريح أنه دون كتبا كثيرة من الحديث.

محاولة عبد الله بن مسعود :

روى معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال : أخرج إلىّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أن خط أبيه بيده » (٣) .

محاولة الصحابى الجليل ابن عباس (ت ٦٨) لجمع الحديث :

كان ابن عباس قد تنبه إلى شيء هام وهو جمع أحاديث الصحابة

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لإبى عمر يوسف ابن عبد البر القرطبى (٤٦٣ هـ) جـ ١ ص ٦٤ طبعة سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . دار الأرقم – القاهرة .

(٢) ابن عبد البر القرطبى ، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ / ٧٤ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ / ٧٣ .

الذين عاصرهم فى الحجاز ، وكان فى ريعان شبابه فكان يجمع الحديث حفظا وكتابة من أفواه من التقى بهم من الصحابة فكتب عنهم الكثير ، ودوّن فى صحفه ما وجده لديهم من الأحاديث والأخبار ، يروى أنه قال : كنت أسمع بالرجل عنده الحديث فآتيه فأجلس حتى يخرج فأسأله ولو شئت أن أستخرجه لفعلت » (١) .

وكان يجتهد فى مذاكرة العلم وحفظ الحديث ويقول : مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة (٢) .

قال ابن عباس : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار هلمّ نسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم اليوم كثير ، قال : فقال : واعجباً لك يابنْ عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك وفى الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟ قال ابن عباس : فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ ، عن الحديث فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائى على بابه تسفى الريح علىّ التراب فيقول لى : ياابن عم رسول الله ﷺ ، ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلىّ فآتيك ؟ فأقول : لا أنا أحق أن آتيك ! فأسأله عن الحديث ؛ فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى !(٣)

كما روى عن عبيد الله بن على عن جدته سلمى أنها قالت رأيت عبد

---

(١) ، (٢) الذهبى - تذكرة الحفاظ ١ /٤١ .

(٣) ابن سعد الطبقات الكبرى جـ ٢ ق ٢ / ١٢١ .

الله بن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبى رافع شيئاً من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما نجد فى بطون الكتب روايات تبين أن عبد الله بن عباس كان يطوف على صحابة رسول الله ﷺ - يجمع منهم الحديث غضاً كما سمعوه ورأوه من رسول الله - ﷺ- ومعه الألواح يكتب عليها (١) وأن تلميذه سعيد بن جبير كان يكتب عنه ما يمليه عليه ، وأنه كان يكثر الكتابة عنه حتى إذا نفد قرطاسه كتب على نعله وكفه (٢) .

وخلّف ابن عباس بعد وفاته حمل بعير من هذه الكتب التى كتبها ، قال موسى بن عقبة : « وضع كريب - مولى ابن عباس - عندنا عدل بعير من كتب ابن عباس » . (٣)

وكما كان سعيد بن المسيب يكتب عن ابن عباس كان يكتب أيضا عن ابن عمر ، قال : كنت أسأل ابن عمر فى صحيفة ، ولو علم بها كانت الفيصل بينى وبينه » (٤)

وعلى أية حال ، فقد كان هناك كتابة للحديث النبوى ، إلا أنها لم تكن منتشرة بين الناس ، بل كان اعتماد أكثر الناس على قوة حافظتهم ، وسيلان أذهانهم ، وسلامة استظهارهم . وكان الحفظ عندهم أهم من الصحيفة أو الكتاب ؛ فالحفظ أولاً ، وعلى قدر الحفظ يكون التفاوت

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ق ٢ ص ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق ؛ جـ ٦ ق ٢ ص ١٧٩ .

(٣) شذرات الذهب لابن العماد جـ ١ ص ١١٤ .

(٤) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى جـ ٦ ق ٢ ص ١٧٩ .

والتفاضل بين العلماء والحفاظ ، وعليه تتحدد درجة الراوى ومكانته العلمية . وقد ذكرنا آنفا أن من الصحابة من دونوا كتابة ما كانوا يعرفونه من حديث الرسول ﷺ . وحقق الأستاذ مصطفى الأعظمى أن صحابة الرسول الذين نسب اليهم بالصراحة تدوين الحديث كتابة لايقل عددهم عن خمسين » (١) .

***

تفاوت حظوظ الصحابة من الحديث النبوى :

وعلى الرغم من أن الصحابة كانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم قد أرخص للناس فى الكتابة بناء على ما جاء فى الحديث الذى رواه أنس ابن مالك حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتاب » (٢) إلاّ أنهم لم يحبذوا كتابة حديثه صلى الله عليه وسلم ، ليس مخالفة لأمره ، ولكن لاتقاء الفتنة ، ولكى لايعتمد الناس على كتبهم فيضعف حفظهم ، فيضيع بذلك علمهم بدينهم .

ومضى كثير من الصحابة على هذا النهج ؛ لايشجعون على كتابة الحديث ولكن يشجعون على حفظه ، لأنهم يرون أن حقيقةالعلم فى الحفظ ولأن الحفظ يستدعى المذاكرة ، وحياة العلم مذاكرته كما يقولون، والحفظ يستدعى السعى أيضا ومن السعى الرحلة فى طلب الحديث ، ويستدعى أيضا الجماعة لأن المذاكرة لاتكون إلاّ بالجماعة ،

---

(١) مقدمة محمد حميد الله لكتاب سيرة ابن اسحاق ص – ى – .

(٢) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ /٧٢ .

ولهذا استمروا على جمع الحديث حفظا ، نلحظ ذلك من تصرف زيد بن ثابت مثلا حين دخل على معاوية بن أبى سفيان فسأله معاوية عن حديث ، فأمر إنسانا أن يكتبه له فقال له زيد : أن رسول الله أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه . فمحاه » (١)

ومن هذا الموقف الذى وقفه زيد بن ثابت من معاوية يتبين لنا أن الصحابة لاتتساوى أقدارهم فى تحصيل العلم النبوى وأن درجاتهم تتفاوت فى فهمه وهذا ما سنبينه ونوضح الأمر فيه . فى السطور الآتية :

لقد كانت حظوظ الصحابة من معرفة الحديث النبوى ليست واحدة، كما أن حظوظهم فى مجال روايته ليست متساوية ولا حتى متقاربة ، ولكى نعرف أسباب التفاوت بينهم نذكر كلام محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧) فى ذلك وهو ما رواه عنه تلميذه محمد بن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى قال ؛ قال محمد بن عمرو الأسلمى * :

إنما قلت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، لأنهم هلكوا قبل أن يحتاج إليهم ، وإنما كثرت عن عمر ابن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب ، لأنهما وليا فسئلا وقضيا بين الناس ،

---

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله جـ ١ / ٧٢ .

* هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمى المشهور بلقب الواقدى المدنى القاضى ، أحد الأعلام كان عالما بالمغازى والسيرة والفتوح واختلاف الناس فى الحديث والأحكام .. وهو ممن طبق الأرض ذكره وكان جوادا كريما مشهورا بالسخاء . مات فى سنة ٢٠٧ هـ . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣٦٣/٩ .

وكل أصحاب رسول الله ، ﷺ ، كانوا أئمة يقتدى بهم ويحفظ عليهم ما كانوا يفعلون ويستفتون فيفتون ، وسمعوا أحاديث فأدوها فكان الأكابر من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، أقل حديثا عنه من غيرهم مثل أبى بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقّاص وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبيّ بن كعب وسعد بن عبادة وعبادة بن الصامت وأسيد بن الحضير ومعاذ بن جبل ونظرائهم ، فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثل ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، مثل جابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن العباس ورافع بن خديج وأنس بن مالك والبراء بن عازب ونظرائهم ، وكلّ هؤلاء كان يعد من فقهاء أصحاب رسول الله ، ﷺ ، وكانوا يلزمون رسول الله ، ﷺ ، مع غيرهم من نظرائهم ، وأحدث منهم مثل عقبة بن عامر الجهنى وزيد بن خالد الجهنى وعمران بن الحصين والنعمان بن بشير ومعاوية بن أبى سفيان وسهل بن سعد الساعدى وعبد الله بن يزيد الخطمى ومسلمة بن مخلد الزرقى وربيعة بن كعب الأسلمى ، وهند وأسماء ابنى حارثة الأسلميين، وكانا يخدمان رسول الله ﷺ ، ويلزمانه ؛ فكان أكثر الرواية والعلم من هؤلاء ونظرائهم من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، لأنهم بقوا وطالت أعمارهم واحتاج الناس اليهم ، ومضى كثير من أصحاب رسول الله ،ﷺ قبله وبعده بعلمه لم يؤثر عنه بشيء

ولم يُحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ، ﷺ .

شهد مع رسول الله ﷺ تبوكاً ، وهى آخر غزاة غزاها ، من

المسلمين ثلاثون ألف رجل ، وذلك سوى من قد أسلم وأقام فى بلاده وموضعه لم يغز ، فكانوا عندنا أكثر ممن غزا معه تبوكا ، فأحصينا منهم من أمكننا اسمه ونسبه وعُلِمَ أمْرُه فى المغازى والسرايا وما ذكر من موقف وقفه ، ومن استشهد منهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعده، ومن وفد على رسول الله ﷺ ثم رجع إلى بلاد قومه ، ومن روى عنه الحديث ممن قد عُرِفَ نسبُه وإسلامه ، ومن لم يعرف منهم إلا بالحديث الذى رواه عن رسول الله ﷺ ، ومنهم من قد تقدم موته قبل وفاة رسول الله ، ﷺ ، وله نسب وذكر ومشهد ؛ ومنهم من تأخر موته بعد وفاة رسول الله ؛ ﷺ ، وهم أكثر : فمنهم من حُفظ . عنه ما حدث به عن رسول الله ﷺ ، ومنهم من أفتى برأيه ، ومنهم من لم يحدث عن رسول الله ﷺ شيئا ، ولعله أكثر له صحبة ومجالسة وسماعا من الذى حدث عنه ، ولكنّا حملنا الأمر فى ذلك منهم على التوقى فى الحديث ، أو على أنه لم يحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ، ﷺ ، وعلى الاشتغال بالعبادة والأسفار فى الجهاد فى سبيل الله حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبى ، ﷺ ، شىء . وقد أحاطت المعرفة بصحبتهم رسول الله ، ﷺ ، ولقيهم اياه ، وليس كلهم كان يلزم النبى ، ﷺ ، منهم من أقام معه ولزمه وشهد معه المشاهد كلها ، ومنهم من قدم عليه فرآه ثم انصرف إلى بلاد قومه ، ومنهم من كان يقدم عليه الفينة بعد الفينة من منزله بالحجاز وغيره . وقد كتبنا من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، كل من انتهى إلينا اسمه فى المغازى من قدم على رسول الله ، ﷺ ، من العرب ومن رَوَى عنه منهم الحديث ، وبيّنّا من ذلك ما أمكن على ما بلغنا ورويناه ، وليس كل العلم وَعَيْنَا . ثم كان

التابعون بعد أصحاب رسول الله ، ﷺ ، من أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى ، ثم مضوا وخلف بعدهم طبقة أخرى ثم طبقات بعد إلى زماننا هذا ؛ وقد فصلنا ذلك وبيناه » (١) انتهى كلام ابن سعد .

وانثال فئات الناس يقصدون تحمل العلم من الصحابة فى مجالس العلم ، وكان الصحابة يوصون أبناءهم بالحرص على التعلم ، كما كان التابعون من بعدهم يوصون ابناءهم بذلك ، فهذا هشام بن عروة كان يقول : « كان أبى يقول : أى شىء تعلموا فإنكم اليوم صغار وتوشكون أن تكونوا كباراً ، وإنما تعلمنا صغاراً وأصبحنا كباراً وصرنا اليوم نساءل » (٢) .

***

ظاهرة حرق الكتب ومحوها عند الأوائل :

نلحظ فى كتب التاريخ والتراث أخباراً كثيرة تفضى بأن كثيراً من علماء المسلمين كانوا ينصحون بمحو أو بحرق كتبهم إذا جاء أحدهم الموت ، أو يحرقونها بأنفسهم قبل أن يموتوا ، وفى ذلك ما يثير الدهشة والعجب ! لأن الكتاب شىء ثمين وإنما يكون بعد معاناة ثم هو جزء من الذاكرة أو جزء من التاريخ !

« وقد مر بنا أن أبا بكر جمع أحاديث ثم حرقها قبل موته وذلك لأنه

---

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٢ / ١٢٦ - ١٢٨ .

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٢ / ١٣٥ .

شك أن يكون فيها شيء من غلط أو كذب يكون قد وقع فى حديثه فقال : « خشيت أن أموت وهى عندى فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثنى فأكون قد نقلت ذاك » (١) .

« وكان أبو بكر الصديق يقول : إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان » (٢) فكأنه كان يخشى على نفسه من الهلاك إن نقل كذبا عن غيره ممن ائتمنه ، وكان يخشى على إيمانه من الضياع بسبب الكذب الذى قد يكون من غيره فينسب إليه فى كتابه الذى يخلفه بعد مماته . وهذا فى الحقيقة يدلنا على مدى الورع من الوقوع فى ما حذر منه النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وهو القائل إن كذبا علىّ ليس ككذب على غير ى ، من يكذب علىّ بنى له بيت فى النار (٣) أو كما قال .

« كذلك وجدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلب من الناس أن يأتوه بما كتبوا من الحديث فلما اتوه بها أمر بتحريقها ثم قال مثناة كمثناة أهل الكتاب » (٤) .

فكأن عمر بن الخطاب قد خشى من أن يتكل الناس على هذه الكتب فيفعلوا مثل ما فعل أهل الكتاب من قبل وهم اليهود الذين كانوا يتكسبون بما فى صحفهم ، والمثناة ما ثنى من الكتاب ليصرفوا الناس عن كتاب الله تعالى .

---

(١) الذهبى ، تذكرة الحفاظ جـ ١ /٥ .

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ جـ ١ /٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) سبق هذا الحديث فى ص ٥٧ من هذا البحث .

« وكذلك روى أن عبد الله بن مسعود أتى بصحيفة فيها حديث فدعا بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال ذكر الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمنى بها ، والله لو أعلم انها بدير هند لبلغتها ، بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون » (١)

فكأن عبد الله بن مسعود كان يخشى على المسلمين من اتكالهم على مثل هذه الصحف والكتب فيهملون كتاب الله ويهملون الحفظ ، وفى الحفظ صيانة لهم ، وصيانة للدين الحنيف .

« وكذلك ما روى من أن أبا موسى الأشعرى حين علم أن غلامه كان يكتب حديثه فقال له : ائتنى بكل شىء كتبته ، فأتاه به فمحاه ثم قال له : احفظ كما حفظت » (٢)

وأخبار أخرى مثل هذه نجدها فى حرق ومحو الكتب وكلها تشير إلى غيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على حديث النبى صلى الله عليه وسلم من أن تشويه شائبة .

ثم نجد هذا الأمر امتد إلى جيل التابعين فنجد منهم من يعمد إلى محو كتبه والأخبار التى كتبها فى حياته فيمحوها أو يحرقها ، فهذا عروة بن الزبير (٣٢ – ٩٣ هـ) روى عنه أنه قال :–

« كتبت الحديث ثم محوته ، فوددت أنى فديته بمالى وولدى غأنى لم

---

(١) سبق هذا الخبر فى ص ٥٧ من هذا البحث .

(٢) سبق هذا الخبر فى ص ٥٦ من هذا البحث .

أمحه » (١)

« كذا روى هشام بن عروة قال : أحرق أبى يوم الحرة كتب فقه كانت له ، قال فكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندى أحب إلىّ من أن يكون لى مثل أهلى ومالى » (٢)

وروى عن عبيدة بن قيس انه قال :(« لا تخلدنّ علىّ كتاباً » ودعا بكتبه عند موته فمحاها وقال : أخشى أن يليها أحد بعدى فيضعونها فى غير موضعها ») (٣) .

** ** **

ومجمل القول :

أن الحديث كان يكتب فى عصر النبوة ، حيث صرح الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص فى كتابته لعلمه صلى الله عليه وسلم لأنه كان يتقن الكتابة فى حين استأذنه صلى الله عليه وسلم أبو سعيد الخدرى فى الكتابة فلم يأذن له ، وبينّا أن بعض الصحابة كانوا يكتبون على عهد رسول الله ﷺ ، منهم على بن أبى طالب – وعمرو بن حزم – وأنس بن مالك وغيرهم ، وكان هناك من السنّة المكتوبة رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك فى البلاد المجاورة لجزيرة العرب وبينّا كل

---

(١) الخطيب البغدادى ، تقييد العلم ص ٦٠ – بتحقيق د. يوسف العش – طبعة دمشق سنة ١٩٤٩ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٥ / ١٣٣ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى جـ ٦ / ٦٣ .

ذلك .

كما بينًا أنه صلى الله عليه وسلم قد أباح الكتابة للناس على عصره وذلك فى عام الفتح – فصار إذنا عاما لكل الناس بالكتابة عنه ﷺ ، ولكن على الرغم من هذا كان الصحابة يطلبون من الناس الحفظ أولا وقبل كل شىء وعلّموا غيرهم كيف يحفظون وقالوا لهم : احفظوا كما كنا نحفظ ، فأدوا بذلك إلى الدين خدمة جليلة وهى صيانة السنّة بالحفظ ، وإن كان هناك من يكتب فإن الكتاب إنما يساعده على حفظه لكنهم لم يكونوا يعتمدون على الكتاب بحال من الأحوال بل أنهم قادتهم غيرتهم على الحديث إلى حرق ومحو الكتب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا تمكينا للدين فى نفوس الناس ، وعلى هدى الصحابة سار التابعون وفهموا عن الصحابة أن الحفظ قبل الكتاب .

** **

ثالثا : كتابة الحديث النبوي
في عصر كبار وأواسط التابعين

(توريث علم الصحابة للتابعين من بعدهم وتفاوت حظوظهم منه :

تلقى التابعون العلم عن الصحابة فى سائر الأمصار الإسلامية ومنهم من كان يؤثر أخذ العلم عنهم حفظا ولا يكتب ومعظمهم على هذا - ومنهم من كان يكتب مع حفظه ، وكان لايزال أمر تحبيذ الحفظ على الكتاب ساريا ، وهو حفظ - كما سبق أن ذكرنا - لا يرقى إليه الشك ساعدهم عليه أنهم تلقوه صغارا عن الصحابة فصار منقوشا فى قلوبهم فكانوا يقرأونه على من بعدهم وكأنهم يقرأون من الكتب ، فهذا علقمة بن قيس النخعى الكوفى التابعى (ت ٧٣ هـ) يقول : ماحفظت وأنا شاب لكأنى أنظر إليه فى قرطاس) (١)

(وقد تفاوتت حظوظهم من العلم بحسب أخذهم من الصحابة قال الشعبى (ت ١٠٣ هـ) : كان الفقهاء بعد أصحاب رسول الله ﷺ بالكوفة فى أصحاب عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) وهؤلاء

---

(١) علقمة بن قيس النخعى ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين .

راجع : السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٢ ، ومحمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥٨/٦ .

علقمة وعبيدة (١) وشريح (٢) ومسروق (٣) ، وكان مسروق أعلم بالفتوى من شريح ، وشريح أعلم بالقضاء ، وكان عبيدة يوازيه) (٤) .

ونجد فى الآثار أن طلائع التابعين كانوا يتلقون العلم النبوى من الصحابة ، فى المساجد والكتاتيب حيث كانت حلقات العلم تعقد بعدالصلاة كل يوم للمتعطشين إلى العلم وذلك فى سائر البلاد الاسلامية ، وكان للصحابة سمت خاص وهيئة تحبب إلى أولئك الراغبين من الرعيل الأول من التابعين جمع العلم ومدارسته فقد روى عن عثمان بن عبيد الله - أحد التابعين - أنه قال :

(رأيت أبا أسيد وأبا هريرة وأبا قتادة وابن عمر يمرون بنا ونحن فى الكتّاب فنجد منهم ريح العبير ، وهو الخلوق (٥) ويصفرون به لحاهم) (٦) .

وهذا عبادة بن نسى الشامى الأردنى - من التابعين (ت ١١٨)

---

(١) هو عبيدة بن عمرو السلمانى المرادى ابو عمرو الكوفى اسلم قبل وفاة النبى ﷺ - ولم يلقه توفى سنة ٧٣ هجرية .

(٢) هو شريح بن هانى بن يزيد بن نهيك الكوفى ، ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره وهو من كبار اصحاب على بن ابى طالب . قتل بسجستان سنة ٧٨ هـ .

(٣) هو مسروق بن الأجدع الهمدانى الكوفى كان من اصحاب عبد الله بن مسعود الذين يعلمون الناس السنّة توفى ٦٣ هجرية وله ثلاث وستون سنة .

(٤) السيوطى : طبقات الحفاظ ص ١٣ .

(٥) الخلوق - نوع من الطيب .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ج ٣ ق ٢ ص ١٠٢ .

يقول : رأيت جماعة على رجل فى خلافة عبد الملك بن مروان وهو يحدثهم فقلت : من هذا ؟ فقالوا عقبة بن عامر الجهنى (الصحابى) (١) .

وكان أبو هريرة يحرص على بث العلم فى الناس ويعقد لهم مجالس يحضرونها ليسمعوا منه الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا ثابت بن الأحنف مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب يقول : كان مواليّ يبعثونى يوم الجمعة أخذا مكانا ، فكان أبو هريرة يجىء فيحدث الناس قبل الصلاة) (٢) .

(وفى الخبر عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع * قال :

رأيت أبا هريرة يصفر لحيته ونحن فى الكتاب) (٣) .

ونبغ من التابيعن قوم تعلموا من الصحابة علما غزيرا مثل سعيد بن المسيب الذى كان يقول : ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ وكل قضاء قضاه أبو بكر وكل قضاء قضاه عمر - وربما قال - وكل قضاء قضاه عثمان منى - وكان سعيد قد أخذ علمه عن زيد بن ثابت وجالس سعد بن أبى وقاص ، وابن عباس وابن عمر ودخل على أزواج النبى عائشة وأم سلمة وكان قد سمع من عثمان بن عفان وعلىّ

---

(١) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ٧ / ٢٤٣ .

(٢) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٢٧ .

* ترجمته فى كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ج ٦ /١٥٦ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٤ ق ٢ / ٥٩ .

وصهيب ومحمد بن مسلمة ، وجل روايته المسندة عن أبى هريرة ، وكان زوج ابنته - كما سمع من أصحاب عمر وعثمان - وكان يقال ابن المسيب راوية عمر لأنه أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته وبلغ مكانة عالية حتى أنه كان يفتى الناس وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء (١) .

وكان سعيد بن المسيب محبا للعلم وطلبته ، وكان إذا مرّ بالمكتب قال للصبيان : هؤلاء الناس بعدنا (٢) كأنه يشير إلى جيل تابعى التابعين .

وتدل الأخبار على أن الصحابة بذلوا جهودا كثيرة فى تعليم أبنائهم وغير ابنائهم وقدموا إليهم القرآن والحديث ومعهما الحكمة المكتسبة من خبرتهم فى حياتهم وسالف أيامهم يصوغونها فى قوالب لفظية بليغة تيسر عليهم فهم العلم واستيعاب معانيه . قال عكرمة مولى ابن عباس : (كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل يعلمنى القرآن ويعلمنى السنّة) *

ويروى أن بنى أنس بن مالك قالوا لأبيهم : يا أبانا ألا تحدثنا كما تحدث الغرباء ؟ ! قال : « أى بنى إنه من يُكْثِر يهْجر » . (٣)

وعن ثابت البنانى أنه قال : كنا عند أنس بن مالك وجماعة من

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ / ٨٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٥ / ١٤٠ - ١٤١ .

* ابن سعد ج ٢ / ١٣٣ ، وتهذيب التهذيب ج ١ / ٩٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ / ١٤ .

أصحابه فالتفت إلينا فقال : « والله لأنتم أحب إليّ من عدتكم من ولد أنس إلاّ أن يكونوا فى الخير مثلكم » . (١)

وكان أنس ينصح لبنيه فى تلقى العلم فيقول : « يابنى قيدوا العلم بالكتاب » (٢) .

وكان رضى الله عنه آخر من مات من الصحابة بالبصرة (ت ٩٢هـ) وهو ابن مائة وسبع سنين وقيل انه مات سنة ٩٣ هـ . وجعل طيلة حياته بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم يبث فى الناس علمه .

« وربما كان يحزن أحدهم إذا تخطاه طلبة العلم من التابعين وذهبوا إلى غيره من الصحابة ، وقد حدث ذلك لهشام بن عامر بن أمية الصحابى حين تركوه وذهبوا إلى نفر من الصحابة فيهم عمران حصين وغيره ، فقال هشام بن عامر: إنكم تجاوزونى إلى رهط من أصحاب رسول الله ﷺ ما كانوا بألزم لرسول الله ﷺ منى ولا أحفظ منى » (٣) .

وربما كان الصحابة يحضرون مجالس العلم ويستمعون لحديث التابعين تشجيعا لهم وملاحظة منهم لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ يدلنا على ذلك ما رواه عبد الملك بن عمير (٤) القرشى قال : رأيت عبد

---

(١) ، (٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ / ١٤ .

(٣) المرجع السابق ج ٧ / ١٧ .

(٤) هو عبد الملك بن عمير، أبو عمرو الكوفى المعروف بالقبطى راى عليًا وابا موسى الأشعرى وهو صالح الحديث روى اكثر منمائة حديث توفى سنة ١٣٦ م - تهذيب التهذيب ٦ /٤١٢ .

الرحمن بن أبى ليلى (١) فى حلقة فيها نفر من الصحابة فيهم البراء يسمعون لحديثه وينصتون له) (٢) .

وربما أيضا كان بعض التابعين يقف إماما ومن ورائه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو سفيان مولى عبد الله بن أحمد بن جحش - وهو تابعى يؤم بنى عبد الأشهل وفيهم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ - منهم محمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وقش (٣) .

قال أبو ظبيان : أدركت ما شاء الله من أصحاب النبى ﷺ يسألون علقمة - بن قيس النخعى - ويستفتونه (٤) .

وكان أبو هريرة أحفظ الصحابة وأحفظ من روى الحديث فى الدنيا، ولما أكثر أبو هريرة من رواية الحديث وإذاعته بين الناس لامه بعض الصحابة فقال لهم : إنكم لتقولن أكثر أبو هريرة عن النبى ﷺ ، والله الموعد ، ويقولون ماللمهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث ؟ وإن أصحابى من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم بالسوق ، وإن أصحابى من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم ، والقيام عليها ، وإنى كنت امرءاً مسكينا ، وكنت أكثر مجالسة رسول

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى التابعى ، ولد لست بقين من خلافة عمر ت سنة ٨٢ هـ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢٦١/٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ / ٢٢٦ .

(٤) ابن الجوزى ، صفة الصفوة ج ٢٧/٣ .

الله ﷺ أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ، وإن النبى ﷺ حدثنا يوما فقال : من يبسط ثوبه حتى أفرغ فيه من حديثى ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئا سمعه منى أبداً ؟ فبسطت ثوبى ، أو قال نمرتى ، فحدثنى ثم قبضته إلىّ ، فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه وأيّم الله لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكم بشىء أبداً . ثم تلا (١) ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (٢) .

وكان أبو هريرة يقول (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم) (٣) وقد روى عن أبى هريرة نحو من ثمانمائة رجال ، وكان يهمه أن يذيع علمه فى الناس ، وحدث أن جاء ذات مرة يسأل عن كعب (٤) وكعب فى القوم - فقال كعب : ما تريد منه ؟ فقال: أما إنى لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون أحفظ لحديث رسول الله ﷺ منى ، فقال كعب: أما إنك لم تجد طالب شىء إلاّ سيشبع منه يوماً من الدّهر إلاّ طالب علم أو طالب دنيا ، فقال أنت كعب ؟ فقال نعم ، فقال : لمثل هذا جئتك » (٥) .

---

(١) محمد بن سعد . الطبقات الكبرى ٥٦/٤ .

(٢) البقرة : آية ١٥٩ .

(٣) محمد بن سعد الطبقات الكبرى ٥٧/٤ .

(٤) كعب المدنى ، روى عن أبى هريرة فى ذكر الوسيلة اخرج الترمذى حديثه وليس بمعروف - راجع تهذيب التهذيب ٤٤١/٨ .

(٥) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٤ / ٥٧ .

ولذلك ربما نجد أحاديث لدى تلامذة أبى هريرة لانجدها عند الآخرين ، فالحسن البصرى أخذ عن أبى هريرة علماً غزيراً ، وحدث ذات مرة أنه قال : كان موسى نبى الله ، ﷺ ، لايغتسل إلا مستترا ، فقال له عبد الله بن بريدة : يا أبا سعيد ممن سمعت هذا ؟ قال الحسن: سمعته من أبى هريرة ، (١)

« وكان الحسن جامعا عالما رفيعا ، وقدم مكة فأجلسوه على سرير متواضع واجتمع الناس إليه فحدثهم ، وكان فيمن أتاه مجاهد وعطاء وطاوس وعمرو بن شعيب ، فقالوا : أو قال بعضهم : لم نر مثل هذا قط (٢) » .

« وقال يحيى بن سعيد القطان فى أحاديث سمرة التى يرويها الحسن البصرى عنه : سمعنا أنها من كتاب » (٣)

وروى عن حماد بن سلمة عن حميد (٤) أنه أخذ كتب الحسن البصرى فنسخها (٥) ثم ردها عليه .

لكن الحسن لما ثقل عليه المرض ودنت وفاته قال لابنه عبد الله بن الحسن اجمعها لى – أى كتبه – قال عبد الله : فجمعتها وما ندرى ما يصنع بها ، فأتيته بها فقال للخادم : استجرى التنور ، ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة (٦) أخذها بعض تلامذة الحسن وحفظها.

---

(١) ، (٢) ، (٣) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ / ١١٥ .

(٤) هو حميد بن أبى حميد الطويل البصرى روى عن أنس وثابت البنانى والحسن البصرى وغيرهم وروى عنه ابن أخته حماد بن سلمة مات سنة ١٤٣ هـ .

(٥) محمد بن سعد – الطبقات الكبرى ١١٦/٧ .

(٦) المصدرالسابق ٧/ ١٢٧ .

ولم يدخر التابعون وسعا فى حفظ ما ورثوه من علم الصحابة ، فإنهم كانوا بعد السماع يعقدون مجالس المذاكرة لتثبيت الحفظ ، وفى أثناء أدائهم لما حفظوه من سماعاتهم كانوا يَعْلَمُون من أحسنهم فى حفظ الحديث وأقدرهم على أدائه ، وفى الخبر عن عطاء بن أبى رباح أنه قال : كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا ، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه فكان أبو الزبير * أحفظنا للحديث (١) .

** ** **

من كان يكتب من التابعين فى القرن الأول :

وفى عصر هذه الطبقة من كبار وأواسط التابعين تجد من كان يكتب الحديث والعلم ، منهم :-

١ - عروة بن الزبير بن العوام (٣٢ - ٩٣ هـ)

(يروى عنه قوله : كتبت الحديث ثم محوته ، فوددت أنى فديته بمالى وولدى فإنى لم أمحه) (٢) قال ابن عيينة : أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة - القاسم بن محمد ، وعروة ، وعمرة بنت

---

* هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى مولاهم ابو الزبير المكى . روى عن العبادلة الأربعة وعن عائشة وجابر وأبى الطفيل وسعيد بن جبير وغيرهم . مات سنة ١٢٨ هـ .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥ / ٣٥٤ .

(٢) الخطيب البغدادى : تقييد العلم ص ٦٠ بتحقيق د . يوسف العش ، طبعة دمشق سنة ١٩٤٩ م .

عبد الرحمن (١) .

٢ - عبيدة بن عمرو السلمانى المرادى (ت ٧٣)

وكان قد أسلم قبل وفاة النبى بسنتين ولم يلقه ، وقد قال محمد بن سيرين (ت ١١٠) أدركت الكوفة وبها أربعة ممن يعد فى الفقه ، فمن بدأ بالحارث ثنى بعبيدة أو العكس ثم علقمة الثالث وشريح الرابع .

وروى أن عبيدة دعا بكتبه عند موته فمحاها وقال أخشى أن يليها أحد بعدى فيضعها فى غير موضعها) (٢) .

٣ - الحارث الأعور الكوفى (ت ٦٥) :

« ففى الخبر عنه أنه اشترى صحفا بدرهم ثم جاء بها على بن أبى طالب فكتب له علماً كثيراً » (٣)

٤ - كثير بن مرة الحضرمى :

الذى روى عن معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت وأبى الدرداء وعقبة بن عامر وأبى هريرة وغيرهم . وكان قد أدرك سبعين بدريا ، (أمره الخليفة عبد العزيز بن مروان أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديثهم إلأ حديث أبى هريرة فإنه عندنا) (٤) .

---

(١) السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٢٣ .

(٢) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٦ / ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٦ / ١١٦ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ ق ١ ص ١٥٧ .

٥ - سالم بن أبى الجعد :

(وممّن كان يكتب أيضا سالم بن أبى الجعد (ت ١٠١) الذى روى عن على بن أبى طالب وأبى برزة وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة وابن عمر وابن عباس وابن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وأنس وأبى أمامة وغيرهم ، وروى ابن سعد فى الطبقات الكبرى أن سفيان حدث عن منصور قال : كان سالم إذا حدّث حدّث فأكثر وكان ابراهيم - النخعى- إذا حدّث جزم فقلت لابراهيم ، فقال : إن سالما كان يكتب) (١) .

وكان سالم بن أبى الجعد ثقة كثير الحديث وتوفى سنة مائة وقيل سنة مائة وواحد وقيل قبل ذلك وله من العمر مائة وخمس عشرة سنة (٢) .

٦ - بشير بن نهيك :

وممن كان يكتب أيضا بشير بن نهيك السدوسى البصرى ، يروى عنه أنه قال : (كنت أكتب ما أسمع من أبى هريرة فلما أردت أن أفارقه أتيته بكتابى فقلت : هذا سمعته منك . قال : نعم) (٣) .

٧ - خالد بن معدان الحمصى (ت ١٠٣) :

روى الذهبى فى تذكرة الحفاظ أن خالد بن معدان الحمصى عالم أهل بلده فى زمانه كان يقول : لقيت سبعين صحابيا ، وعن بحير بن

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٥ / ٢٠٣ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ٣ / ٤٣٢ .

(٣) المرجع السابق ج ٥ /٢٢٦ .

سعد الحسولى الحمصى - تلميذ خالد بن معدان - أنه قال :

(ما رأيت أحداً ألزم للعلم منه وكان علمه فى مصحف له أزرار وعرى) (١)

فكان خالد بن معدان (ت ١٠٣) من التابعين الذين يحرصون على كتابة العلم ويجعلونه فى مصحف . كما كان يحدث الناس ببلده (حمص) فإذا عظمت حلقته قام خوف الشهرة (٢) وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة ، وقال الثورى : ما أقدم عليه أحدا (٣) .

وقد نقل عنه العلم ثور بن يزيد وصفوان بن عمرو ومحمد بن ابراهيم بن الحارث التيمى ، وفضيل بن فضالة ويحير بن سعد وعبدة ابنته وآخرون فكأنهم نقلوا هذا العلم المكتوب عنده . قال بقية بن الوليد (ت ١٩٧) : وكان الأوزاعى (ت ١٥٧) يعظم خالداً فقال لنا : أله عقب ؟ فقلنا له ابنة . فقال : إئتوها فسلوها عن هدى أبيها) . (٤)

٨ - سعيد بن جبير ، ابو عبد الله الكوفى (ت ٩٢) :

وفى أواخر القرن الأول نشأ قوم من التابعين ينقلون حديث النبى ﷺ كتابة ، وكان الصحابة يعلمونهم حديث النبى ﷺ حتى يبلغوه لمن بعدهم ويدربونهم على مقالته حتى يتأكدوا من سلامة أدائهم للحديث وحسن توصيله ، فنجد مثلا ابن عباس يطلب من تلميذه سعيد

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ج١ / ٩٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ١ / ١٢٦ .

(٤) ابن حجر ج ٣/ ١١٩ .

ابن جبير أن يحدّث فيقول له سعيد : أحدّث وأنت هاهنا ؟ فيقول له : أو ليس من نعمة الله عليك أن تتحدث وأنا شاهد فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك ؟! .

(وكان سعيد بن جبير يقول : ربما أتيت ابن عباس فكتبت فى صحيفتى حتى أملأها وكتبت فى نعلى حتى أملأها وكتبت فى كفى ، وربما أتيته فلم أكتب حديثا حتى أرجع ...) (١) وحكى بعضهم أنه دخل ذات مرة على ابن عباس وهو متكىء على مرفقة من حرير ، وسعيد بن جبير عند رجليه وهو يقول له : انظر كيف تحدث عنى فإنك قد حفظت عنى حديثا كثيرا .

٩- مجاهد بن جبر : (١)

كما أن مجاهد بن جبر كان يأتى ابن عباس ويسأله عن التفسير ومعه ألواحه فيقول ابن عباس اكتب ، حتى سأله مجاهد عن التفسير كله . *

« وقد كان يعرض لهم ما يستوجب السؤال ويتطلب الإيضاح فيسألون عما غمض عليهم معناه ، وكذا إذا اختلفوا فيما بينهم فى مسألة سارعوا إلى الصحابى يستفتونه ، قال سعيد بن جبير : كنا إذا اختلفنا بالكوفة فى شىء كتبته عندى حتى ألقى ابن عمر فأسأله عنه » (٢) .

---

(١) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ / ١٧٩ .

* تفسير الطبرى ج ١ / ٩٠ .

(٢) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ / ١٨٠ .

ويروى أن الخليفة عبد الملك بن مروان سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بهذا التفسير ، فوجده عطاء بن دينار الهذلى المصرى (ت ١٢٦) فى الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير (١) ، أى رواه عن سعيد بن جبير فيما بعد وهو لم يسمع منه ما فى كتابه .

١٠ - أبو قلابة الجرمى البصرى (ت ١٠٥) :

ومن الطبقة الوسطى من التابعين أيضا أبو قلابة عبد الله بن يزيد الجرمى (١٠٥ هـ)الذى روى عن سمرة بن جندب وثابت بن الضحاك وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة ، وكان أبو قلابة ممّن يكتبون الحديث ، وقال حين أتته الوفاة : ادفعوا كتبى إلى أيوب إن كان حيا ، وإلاّ فاحرقوها) (٢) .

قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ ؛ قال حماد : مات أبو قلابة فى الشام فأوصى بكتبه لأيوب السنجتيانى فجيىء بها فِي عدل راحلة ، وقال ابن علية : أخبرنا أيوب ، قال : أوصى لى أبو قلابة بكتبه فأتيت بها من الشام فأديت كراءها بضعة عشر درهما (٣) .

١١ - الحسن البصرى (ت ١١٠) :

ويأتى الحسن بن الحسن يسار البصرى شيخ أهل البصرة فى

---

(١) ابن حجر العسقلانى ؛ تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٧ / ١٣٥ .

(٣) الذهبى - تذكرة الحفاظ ج ١ / ٩٤ .

زمانه (ت ١١٠هـ) ومولى زيد بن ثابت على رأس الطبقة الوسطى من التابعين ؛ وقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وكان أنس بن مالك رضى الله عنه قد سئل عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنه قد سمع وسمعنا فحفظ ونسينا . (١)

وكان الحسن البصرى يكتب الحديث . وكان ابراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة فى زمانه معاصراً للحسن البصرى إلا أن ابراهيم كان لايرى الكتابة وكان يقول : إنه قل ما كتب انسان كتابا إلا اتكل عليه) (٢) .

كما كان فى مدينة البصرة فى حياة حسن البصرى عالم جليل هو جابر بن زيد الأزدى (ت ١٠٤) وهو رجل من أهل عمان ، كان يفتى أهل البصرة إذا غاب عنها الحسن البصرى فى الغزو ، وقد سجن جابر بن زيد ذات مرة فأرسلوا إليه يستفتونه فى الخنثى كيف يورث ؟ فقال : تسجنونى وتستفتونى !! ثم قال : انظروا من أيهما يبول فورثوه . وكان الناس يكتبون عنه فقيل له : إنهم يكتبون عنك ما يسمعون . فقال: إن لله يكتبون) (٣) .

١١ – همام بن منبه الصنعانى (ت ١٣٢) :

كتب همام بن منبه عن أبى هريرة صحيفة فيها سماعه منه ، قال الإمام الذهبى فى ترجمته لهمام بن منبه : صاحب تلك الصحيفة

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ص ٢٨ .

(٢) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ، ج ١٨٩/٦ .

(٣) المصدر السابق ج ٧ / ١٣١ .

الصحيحة التى كتبها عن أبى هريرة وهى نحو من مائة وأربعين حديثا ، حدث بها عنه معمر ، وقد حفظ ايضا عن معاوية وابن عباس وطائفة ، ووثقه يحيى بن معين وغيره، قال أحمد بن حنبل : كان يغزو وكان يشترى الكتب لأخيه ، فجالس أبا هريرة بالمدينة . وقال سفيان بن عيينة : كنت أتوقع قدوم همام من الحجاج عشر سنين . وقال الميمونى : سمعت أحمد بن حنبل يقول فى صحيفة همام : أدركه معمر أيام السودان ، فقرأ عليه همّام حتى إذا ملّ أخذ معمر فقرأ عليه الباقى .(١).

وهناك أخبار متناثرة فى الكتب تشير فى مجموعها إلى أن السنة قد كتبت ودونت فى صحف ، ونجد أن فى تداولها رواية بين من أتى بعد ذلك من الأجيال اللاحقة إنما كانوا يأخذونها شفاها من الرواة لكن فى ذات الوقت كانت لها أصول مكتوبة عند هؤلاء الرواة وهذه حقيقة لاجدال فيها .

« ونقرأ خبرا عن حجر بن عدى الكندى (٢) أن غلامه قال له : إنى رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ .

قال : ناولنى الصحيفة من الكوة . فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت علىّ بن أبى طالب يذكر أن الطهور نصف الإيمان » (٣).

---

(١) الذهبى ، سير اعلام النبلاء (٥ / ٣١١ - ٣١٢) ، وانظر ايضا ترجمة همّام بن منبه فى تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ / ٦٧ .

(٢) هو حجر بن عدى بن جبلة وكان من اصحاب علىّ بن أبى طالب شهد معه الجمل وصفين .

(٣) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ / ١٥١ .

الخلاصـــة :

رأينا فى الفصل الأول كيف أن النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى الناس فى بداية الأمر عن كتابة السنّة ، واستثنى منهم الصحابى عبد الله بن عمرو بن العاص الذى كان يكتب عنه فى صحيفة سماها الصادقة ، ثم رأينا كيف عاد فى آخر أيامه صلى الله عليه وسلم فأذن للناس فى الكتابة عنه وعلمنا أن سبب النهى كان من أجل أن يحكم الناس القرآن ويميزوا بينه وبين كلام النبى صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول - ﷺ - حينما رخص للناس فى الكتابة عنه كان من أجل أن يثبتوا الحفظ ، لأن بعضهم كان يشكو من سوء حفظه وقد اطمأن صلى الله عليه وسلم إلى أنهم يمكنهم التمييز بين القرآن والسنة .

أما فى عصر الصحابة فإننا وجدنا أن الخلفاء الراشدين أحجموا عن كتابة السنّة ، وذلك لأن فى أيامهم قد كثرت الفتوحات فهم لم يرغبوا فى أن يشغلوا أهل البلاد المفتوحة بالحديث ، فيقدموا لهم القرآن والحديث معا ، وإذا كانوا قد تشددوا فى رواية الحديث بادىء الأمر إلا أننا نجد منهم من أباح الكتابة ودعا إليها لاسيما فى عصر صغار الصحابة لأن الوقت احتاج إلى الكتابة لتثبيت العلم ، فكتب جابر صحيفته المشهورة وكتب أنس بن مالك ، وكتب أبو هريرة ؛ وغير أولئك ممّن ذكرنا ، وعلمنا من ذلك أيضا أنهم كانوا يكرهون كتابة العلم لئلا يتكل الناس على كتبهم فيتكاسلوا فى طلب العلم وأن هذه الكتب ربما يضاف إليها ما ليس منها فيختلط الناس ويضيع علمهم . كما وجدنا منهم من يمحو ما كتبه أو يحرقه لهذا السبب .

وقد تبين لنا أيضا أنّ هناك قدرا أخر من الحديث لم يبثه الصحابة فى الناس بل كتموه عنهم لأنه فوق مقدور أفهامهم ، وهذا القدر هوالذى عبر عنه أبو هريرة بقوله : (حفظت عن رسول الله وعاءين فأما احدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم). وهو الذى عبر عنه أيضا علىّ بن أبى طالب بقوله : (حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذّب الله ورسوله) .

وقد اجتهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فى تبليغ التابعين وتعليمهم القرآن والسنّة ، فتحمل عنهم التابعون العلم حفظا من الصدور ، ولم يسملوهم كتبا ، إنما كانوا يجتهدون فى توصيل العلم من القلب إلى القلب ، ولهذا معنى جليل فإن علمهم فى قلوبهم لايناله تلقين أو غش ، وإنما من كان منهم يكتب فكتابته لتثبيت حفظه لا لاتكاله على كتابه ، وقد اجتهد التابعون – جريا على سنّة الصحابة – فى حفظ العلم ، وبالإضافة إلى ذلك فإن منهم من كان يكتب لنفسه ، لتثبيت الحفظ عنده إذا احتاج الأمر ، وقد ذكرنا بعض من كان يكتب منهم إلى جانب حفظه مثل :

عروة بن الزبير (ت ٩٢) ، وعبيدة بن عمرو السلمانى (ت ٧٣) ، والحارث الأعور (ت ٦٥) ، وكثير بن مرة الحضرمى ، وسالم بن أبى الجعد (ت ١٠١) وخالد بن معدان الحمصى (ت ١٠٣) ، وسعيد بن جبير الوالبى (ت ٩٢) ، وأبى قلابة الجرمى البصرى (ت ١٠٥) ، والحسن البصرى (ت ١١٠) ووهب بن منبه صاحب الصحيفة عن أبى هريرة (ت ١٣٢) ، وغير أولئك ممن لم نعثر على أخبار مستقلة تفيد أنهم كانوا يكتبون الحديث .

على أننا نجد أن معظم هؤلاء كانوا يحرقون كتبهم خوفاً من أن يأتى أحد ممن بعدهم فيضيف إلى كتبهم ما ليس فيها ، فأرادوا أن يخلوا مسئوليتهم من ذلك ، فكان عبيدة السمانى يقول قبل موته لأصحابه : (لاتخلدن علىّ كتاباً) ثم أمر بكتبه عند موته فمحاها وقال : أخشى أن يليها أحد بعدى فيضعونها فى غيرموضعها) (١) .

وكذلك فعل الحسن البصرى لما ثقل عليه مرضه أحرق كتبه، وهذا يؤكد لنا أنهم ما كانوا ليعتمدوا على الكتاب مع قدرتهم عليه ، مخافة أن يعتمد الناس على الكتب فيضيع منه العلم النبوى ، كما أنهم كرهوا الكتاب لئلا يزيد فيه من يأتون بعدهم فينسبوا إلى صاحبه ما ليس منه، وكانوا يقولون دائما : حياة العلم مذاكرته ، وقد أثر عن علقمة بن قيس قوله : تذاكروا العلم فإن حياته ذكره (٢) ، كما قال ابن أبى ليلى أيضا : حياة الحديث مذاكرته) (٣) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ / ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ج ٦ / ٦٠

(٣) المرجع السابق ج ٦ / ٧٦ .

الفصل الثــاني

كتابة الحديث النبوي
فـى
القرن الثاني الهـجرى

وفيــه :

* دعوة عمر بن عبد العزيز لتدوين السنة .
* رفع الحرج عن الأمة فى كتابة الحديث النبوى .
* ابن شهاب الزهرى أول من كتب العلم ودونه .
* قيام الدولة العباسية وظهور البدع
* بداية ظهور التصنيف وذكر أوائل المصنفين .
* استعارة الصحف
* جمع كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وتدوينه .

جمع الحديث وكتابته في القرن الثاني
(عصر صغار التابعين وأتباع التابعين)

دعوة عمر بن عبد العزيز لتدوين السنّة :

فى مستهل القرن الثانى الهجرى ألقت الخلافة قيادها إلى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذ ى أصدر أمره إلى عماله فى الأمصار بجمع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مكتوبا فى الصحف .

(روى البخارى فى صحيحه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن حزم : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإنى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ وليفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لايعلم فإن العلم لايهلك حتى يكون سرا ، وكذلك كتب إلى عماله فى أمهات المدن الإسلامية) (١) .

ولكن عمر بن عبد العزير توفى قبل أن يبعث إليه أبو بكر بن حزم بما كتبه ، قال الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) : لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان ولأه عمر بن عبد العزيز وكتب إليه أن يكتب له من العلم

---

(١) صحيح البخارى - كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم - طبعة كتاب الشعب ج١/٣٦ - وانظر أيضا ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٢ ق ٢ ص ١٣٥ .

من عند عمرة بنت عبد الرحمن (١) . والقاسم بن محمد (٢) ولم يكن بالمدينة انصارى أمير غير أبى بكر بن حزم وكان قاضيا) (٣) ثم توفى أبو بكر بن حزم بعد ذلك سنة عشرين ومائة وبعد وفاته بمدة سأل بعضهم ابنه عبد الله بن أبى بكر بن حزم عن تلك الكتب فقال : ضاعت) (٤) .

رفع الحرج عن الأمة فى كتابة العلم :

كان لهذه الدعوة العمرية أثر عظيم فى رفع الحرج عن العلماء فى كتابة العلم وربما أتت ثمارها الطيبة فى هذا القرن ؛ وظلت إلى مدى عظيم من الزمان حتى ظهرت الكتب الستة الصحاح وما بعدها .

ذكر عن عامر بن شراحيل الشعبى (ت ١٠٤) أنه كان ينصح بكتابة العلم ، وكان يقول : اكتبوا ما سمعتم منى ولو فى الجدار ، وربما كان بعض صغار التابعين يسأل شيخه من التابعين لِمَ لايدعه يكتب عنه؟ فيجيبه بأنه يكره كتابة العلم خشية ألا تكال على الكتابة ، فقد روى الحسن بن عمرو عن فضيل بن عمرو الكوفى (ت ١١٠) قال : قلت

---

(١) هى عمرة بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية المدنية . كانت فى حجر عائشة رضى الله عنها وأبو بكر كان ابن أخيها . ت سنة ست ومائة . وكانت من أعلم الناس بحديث عائشة .

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وكان من خيار التابعين ومن أعلم الناس بحديث عائشة ت سنة ست ومائة وهو ابن سبعين سنة .

(٣) انظر بن حجر ؛ تهذيب التهذيب ج ١٢ / ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ج ١٢ / ٣٩ .

لإبراهيم - يعني النخعي - : إني أجيئك وقد جمعت مسائل فكأنما تخلسها الله مني ، وأراك تكره الكتاب ، فقال : إنه قل ما كتب إنسان كتاباً إلا اتكل عليه ، وقل ما طلب إنسان علماً إلا آتاه الله ما يكفيه) (١).

على أن الكتابة لها فضل عظيم في تسجيل العلم وصيانته وهي تكسب صاحبها الثقة حين تثبت ما يمكن أن يتفلت من الذاكرة ، وكان إبراهيم النخعي يعلم ذلك ، فإنه قد سأله بعض تلامذته وهو منصور بن المعتمر (ت ١٣٢) حين لاحظ أن سالم بن أبي الجعد (ت ١٠١) إذا حدثه حدّث فأكثر ، بينما إذا حدّثه ابراهيم حدّثه بأقل مما يحدثه سالم فقال : فقلت لإبراهيم ، فقال إن سالما كان يكتب) (٢) .

ولعل إبراهيم النخعي قد سمح لبعض طلبته أن يكتب بعد ذلك بين يديه ، ففي الخبر عن جامع بن شداد الكوفي (ت ١١٨) أنه قال : رأيت حماداً (هوابن أبي سليمان الكوفي ت ١٢٠) يكتب عن إبراهيم في ألواح ويقول : والله ما أريد به الدنيا) (٣) .

روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري المدني (ت ١٤٤) أنه قال :

(أدركت الناس يهابون الكتب ولو كنا نكتب لكتبنا من علم سعيد ابن المسيب ورأيه شيئا كثيراً) (٤) .

---

(١) محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ٦ / ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ج ٦ /٢٠٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٥ / ١٠٤ .

وفى مكة كان عمرو بن دينار المكى (ت ١٢٦) من حفاظ أهل مكة المكثرين لرواية الحديث وكان يكره الكتابة عنه ، وقد بلغه ذات مرة أن سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) كان يكتب عنه الحديث ، فاضطجع وبكى وقال : أحرج على من يكتب عنى ، قال سفيان : فما كتبت عنه شيئا كنا نحفظ) (١) .

وربما كتب أحدهم الأحاديث الطوال ، لامن أجل الكتابة ولكن من أجل الحفظ فإذا ما تحقق من حفظه محا ماكتبه ، قال خالد بن مهران (ت ١٤١) وكان كثير الحديث (ما كتبت شيئاً قط إلا حديثا طويلا فإذا حفظته محوته) (٢) .

وكان ابن سيرين (ت ١١٠) كذلك لايرى بأسا أن يكتب الحديث فإذا حفظه محاه (٣) .

***

ماذا نفهم من ذلك ؟

إن الذين رفضوا كتابة الحديث النبوى من التابعين لم يكونوا يُقبلون على الكتابة خوفا مما سمعوا من أحاديث النهى عن الكتابة المرفوعة منها والموقوفة ، من مثل حديث أبى موسى الأشعرى : أن بنى اسرائيل كتبوا كتابا فتبعوه وتركوا التوراة) (٤) .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٥ / ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٧ / ق ٢ ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٧ / ١٤١ .

(٤) الدارمى ، سنن الدارمى ج ١ ص ١٢٤ .

ومثل ما ورد عن عبد الله بن مسعود حين أتاه بعض أصحابه بكتاب فقال عبد الله : إن ما فى هذا الكتاب بدعة وفتنة وضلالة ، وإنما أهلك من كان قبلكم هذا وأشباه هذا ، إنهم كتبوها فاستلذتها ألسنتهم وأشربتها قلوبهم فأعزم على كل امرىء يعلم بمكان كتاب إلا دلّ عليه ، وأقسم لو أنها ذكرت له بدار الهندارية - يعنى مكانا بالكوفة بعيدا - إلا أتيته ولو مشيا) (١) .

ومثل قول ابن سيرين (ت ١١٠) : إياكم والكتب فإنما تاه من قبلكم ، أو قال : ضل من كان قبلكم بالكتب (٢) .

فمن كره الكتابة من الصحابة والتابعين كان دافعهم فى ذلك الخوف من أن يفتتن الناس بالكتب فينصرفوا عن القرآن .

كما نفهم من ذلك أيضا أنهم لم يرغبوا فى الكتاب خشية الاتكال عليه فيقل الحفظ ويموت العلم شيئا فشيئا ، حتى ينحصر فى الكتب ، والكتب لا تخلو من التصحيف ، والتصحيف يؤدى إلى سوء التأويل ، وسوء التأويل كفيل بالتضليل ، والتضليل يقود إلى الجهل ، ولذلك كانوا يحفظون علومهم ويؤدونها شفاها ، لكى يضمنوا حياة العلم وانتشاره ونقاوته ، فكانوا - فى أنفسهم - كتبا متحركة أينما يجلس أحدهم فى مجلس نشر علمه من حفظه فكأنه كتاب يُقرأ على السامعين، والسامعون يلاحظون نظراته ، وحركاته ، وسكناته ، فيستقر فى نفوسهم من ساعة أن يسمعوه ثم هم يسألونه إذا تعذر عليهم فهم لفظ

---

(١) الدارمى ، سنن الدارمى ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ٧ / ١٤١ .

أو معنى عبارة ، فقد روى عن عثمان الثقفى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه قال : قال رسول الله ﷺ - إن الله تبارك وتعالى يقبل التوبة من عبده قبل موته بسنة ، وإن الله يقبل التوبة عن عبده بشهر ، وإن الله يقبل التوبةعن عبده قبل موته بفواق ناقة ، فقيل له : ماالفواق ؟ قال : ما بين الحلبتين (١) .

(كما روى عن بشر بن كثير الأسدى أنه قال : حدثتنى امرأة مطرف بن عبد الله الشخير (ت ١٢٨) أن مطرفا تزوجها على ثلاثين ألفا وبغلة وقطيفة وقينة ، فقال بشر : فقلت لها : ما قينة ؟ قالت : ماشطة) (٢) .

وعلى الرغم من التشدد الذى تمسك به بعض التابعين فى الكتابة فى أول هذا القرن جريا على سنة من تشدد من الصحابة فى هذاالأمر ، إلا أننا نجد فريقا آخر حبذ الكتابة ورغّب فيها وحضّ عليها ، من أمثال الشعبى (ت ١٠٤) الذى كان يقول لطلبته : إذا سمعتم منى شيئا فاكتبوه ولو فى حائط (٣) ، والحسن بن يسار البصرى (ت ١١٠) الذى كان يحض على الكتابة بنيه وبنى أخيه ويقول لهم : « يا بنى وبنى أخى إنكم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو قال : يحفظه فليكتبه وليضعه فى بيته » (٤)

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ ق ٢ ص ٢٣ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ ص ١٠٥ .

(٣) ابن عبد البر القرطبى ؛ جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٣ .

(٤) الدارمى ، سنن الدارمى ؛ ج ١ / ص ١٢٠ .

ومثل عطاء بن أبى رباح (ت ١١٤) الذى كان يقول لغلمانه : « ياغلمان تعالوا اكتبوا ، فمن كانَ منكم لايحسن كتبنا له ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا » (١) ، كما كان نافع الفقيه مولى ابن عمر (ت ١١٧) يملى العلم على طلابه ، وطلابه يكتبون بين يديه (٢) .
وكان عمر بن عبد العزيز يكتب لنفسه الحديث ، ففى الخبر عن أبى قلابة (ت ١٠٥) أنه قال : خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس ، ثم خرج علينا الصلاة العصر وهو معه فقلت له يا أمير المؤمنين ما هذا الكتاب قال : حديث حدثنى به عون بن عبد الله فأعجبنى فكتبته) (٣) .

وكان أبان بن أبى عياش (ت ١٣٨) يكتب الحديث عن أنس بن مالك ، ففى الخبر عن سلم العلوى أنه قال : رأيت أباناً يكتب عن أنس بالليل) (٤)

وقيل لسفيان بن عيينة إنهم حكوا عنك أن زكرياء بن اسحاق المكى قال أخرج إلينا عطاءً صحيفة فقال سفيان : لا إنما أرانى صحيفة عنده ما هى بالكبيرة فقال هذه أعطانيها يعقوب بن عطاء (ابن ابى رباح) قال : هذه التى سمع أبى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥).

---

(١) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ ك ب جـ ٤ (نقلا عن د. محمد بن عجاج الخطيب – السنة قبل التدوين .
(٢) سنن الدارمى ، ج ١ ص ١٢٩ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٠ .
(٤) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ١ / ١٠٠ .
(٥) المرجع السابق ٣ / ٣٢٩ .

وكانت صحيفة جابر مشهورة منتشرة يتداولها الناس : فقد روى عن سلمان بن طرخان التيمى (ت ١٤٣) انه قال : أخذ فلان وفلان صحيفة جابر فقالوا : خذها فقلت : لا) (١) .

(وبدأ أمر الكتب ينتشر ويظهر بين الناس ، وهذا موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى المدنى مولى آل الزبير وهو من طبقة صغار التابعين (ت ١٤١) يقول : وضع عندنا كريب (هو ابن أبى مسلم مولى عبد الله ابن عباس) حمل بعير ، أو عدل بعير من كتب ابن عباس . قال : فكان على بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه : ابعث إلىّ بصحيفة كذا وكذا ؛ قال فينسخها فيبعث إليه بإحداهما) (٢) .

وكان موسى بن عقبة عنده كتاب عن الزهرى فكان ابن معين يقول : (كتاب موسى بن عقبة عن الزهرى من أصح هذه الكتب) (٣).

ابن شهاب الزهرى أول من دوّن العلم وكتبه :

وإذا توغلنا قليلًا فى هذا القرن الثانى وجدنا أنّ الكتابة بدأت تشيع بين الناس وتنتشر فى أوساط المحدثين ومجالس العلم ، وكان أول من دون العلم فأكثر هو ابن شهاب الزهرى (ت ١٢٤) ،(قال عن نفسه : ما صبر أحد على العلم صبرى ولا نشره أحد نشرى) (٤) .

---

(١) ابن سعد ج٧ ق ٢ / ١٨ .

(٢) المرجع السابق ج٧ ق ١ ص ٢١٦ .

(٣) ابن حجر العسقلانى ؛ تهذيب التهذيب ١٠ / ٣٦٢ .

(٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص١٠٨ – ص ١١٠ .

قال أبو الزناد (ت ١٣٢) : كنا نطوف مع الزهرى على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع) (١)

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٥) قد سأل الزهرى أن يملى على بعض ولده شيئا فأملى عليه أربعمائة حديث . وخرج الزهرى فقال : أين انتم يا أصحاب الحديث فحدثهم بتلك الأربعمائة حديث . ثم لقى هشاما بعد شهر أو نحوه فقال للزهرى : إن ذلك الكتاب ضاع ، فدعا بكاتب فأملاها عليه ، ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفا واحد) (٢) .

وربما بسبب هذه الحادثة توسع الزهرى فى إملاء الحديث وكتابته فكان يقول : كنا نكره الكتاب ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأيت ألا أمنعه مسلما) (٣) .

قال مالك ابن أنس (٩٧ - ١٧٩) : أول من دوّن العلم : ابن شهاب وقال عبد العزيز بن محمد الدراوردى : أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب) (٤) . وكان الزهرى يحسن الكلام فى جميع العلوم ومناحي المعرفة ، قال الليث بن سعد : ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر منه علما . ولو سمعت من ابن شهاب يحدث فى الترغيب ؛ قلت : لايحسن إلا هذا ، فإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب ؛ قلت : لايحسن إلا

---

(١) ، (٢) الذهبى ؛ تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٨ - ص ١١٠ .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، بعناية شكر الله بن نعمة الله قوجانى وتلخيصه مطبوع بمؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(٤) ابن عساكر : الزهرى ، ملخص بعناية شكر الله نعمة قوجانى ، ص ١٠٩

هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لايحسن إلاّ هذا ، قال : وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه ، ثم يتلوه بدعاءجامع يقول :

(اللهم إنى أسألك من كل خير أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة ، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة) (١) .

ويرجع سبب تفوق الزهرى فى جمع العلم إلى أنه رزق الحفظ والفهم كما أنه اجتهد فى الطلب أيام شبابه وأثبت ما جمعه من العلماء كتابة ولقد رأى ستة عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنهم (٢) .

قال صالح بن كيسان (ت ١٣٩) وكان مؤدب بنى عمر بن عبد العزيز : كنت أطلب العلم أنا والزهرى فقال : تعال نكتب السنن .

قال : فكتبنا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : تعال نكتب عن الصحابة، قال : فكتب ولم نكتب فأنجح وضيّعتُ) (٣) .

وذُكر الزهرى يوما عند عمرو بن دينار (فقيه أهل مكة ت ١٢٥) فقال عمرو : وأى شىء عند الزهرى ؟! أنا لقيت جابرا ولم يلقه ، ولقيت ابن عمر ولم يلقه، ولقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم الزهرى مكة فقيل لعمرو بن دينار : قد قدم الزهرى مكة ، فقال : احملونى إليه .

وكان عمرو قد أقعد ، فحمل إليه ، فلم يأت إلى أصحابه إلا بعد ليل

---

(١) ابن عساكر : الزهرى ، ملخص بعناية شكر الله نعمة قوجانى ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٦ .

(٣) المرجع السابق ٩ / ٤٤٨ .

فقالوا له : كيف رأيت الزهرى ؟

فقال : والله ما رأيت مثل هذا القرشى قط (١) .

وفى الأخبار أن عمرو بن دينار قال : جالست جابر بن عبد الله وابن عمر وابن عباس وابن الزبير فلم أر أحدا أسند للحديث من الزهرى (٢)

وقد أجمع علماء عصره على إمامته فى العلم ، فإنه جمع علم الحجاز وضم إليه علم الشام ، وساعدته رحلاته وتنقلاته بين بلاد الحجاز وبلاد الشام على جمع واستيعاب الحديث فى تلك البلاد التى تميزت برواية الحديث النبوى حتى عصره ؛ وقلما كان الزهرى يجد حديثا جديدا لم يكن حفظه ولهذا كان يقول : مكثت خمسا وثلاثين سنة أو ستا وثلاثين سنة أنقل أحاديث أهل الشام إلى أهل الحجاز ، وأحاديث أهل الحجاز إلى أهل الشام فما أجد أحدا يطرفنى حديثا لم أسمعه (٣) .

على أن الزهرى لم يكن يجمع كل الحديث النبوى ، لكنه كان على معرفة تامة بحديث الحجاز والشام ، وإلا فإن هناك أحاديث أخرى من طرق لاعلم له بها ، فقد حدث أن سأله نافع بن مالك ، عم الإمام مالك بن أنس عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طلب شيئا من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ، يطلب به شيئا من غرض الدنيا ، دخل النار ؟ فقال الزهرى : لا ما بلغنى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له نافع بن مالك ؛ كل حديث رسول الله بلغك ؟ !

قال الزهرى : لا .

---

(١) ابن عساكر ؛ تاريخ دمشق ، الزهرى ، ملخصا بتلخيص وعناية شكر الله نعمة قوجانى ، ص ١١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥ .

قال فنصفه ؟

قال : عسى ، قال : فهذا فى النصف الذى لم يبلغك (١) .

ويبدو أن الزهرى كان يتبسط فى مجلسه ويلين لطلاب الحديث ، وكان ربما لم يجد مثل ذلك عند بعض أساتذته من مشايخه ، فإنه قال : ما نشر أحد من الناس هذ العلم نشرى ، ولا بذله بذلى ، قد كان عبد الله بن عمر يجالس فلا يجترىء عليه أحد يسأله عن حديث ، إلا أن يأتيه إنسان فيسأله عن مسألة فيهيجه على الحديث أو يبتديه بالحديث ، وكنا نجالس سعيد بن المسيب ، فلا نسأله عن حديث ، يأتيه إنسان فيسأله فيهيجه ذلك ، فيحدث بالحديث ويبتدأ هو من عند نفسه فيحدث به (٢)

وحدث ذات مرة أن جاءه سفيان الثورى (ت ١٦١) أتاه ليسمع منه فتثاقل الزهرى عليه فقال له سفيان : أتحب لو أتيتَ أشياخنا فصنعوا بك مثل هذا ؟ .

فقال الزهرى : كما أنت . ودخل فأخرج إلى سفيان الثورى كتابا ، فقال : خذ هذا ، فاوره عنى – قال سفيان : فما رويت عنه حرفا (٣) .

وكان الزهرى إذا ذكر أهل العراق ضعّف علمهم ،حتى إذا لقى سليمان بن مهران الأعمش غيَّر رأيه فيهم ، فقد روى عن إسحاق بن راشد أنه قال للزهرى : إن بالكوفة مولى لبنى أسد يروى أربعة آلاف

---

(١) ابن عساكر : الزهرى ، ملخص بعناية شكر الله نعمة قوجانى ، ص ١٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، الزهرى ، ملخصا بتلخيص وعناية شكر الله نعمة قوجانى ، ص ١٥٢ .

حديث .

قال الزهرى : أربعة آلاف ؟ !

قال إسحاق : فجىء به فأتيته به ، قال : فجعل يقرأ وأعرف التغيير فيه وقال : والله ان هذا العلم ، ما كنت أرى أحدا يعلم هذا (١) . فكان الزهرى يذكره بخير بعد ذلك ، قال الأعمش (١٤٨) : قال لى رجل : جالست الزهرى فذكرتك له فقال : أما معك من حديثه شىء (٢) .

روى عن معمر بن راشد أنه قال : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزانته ، يقول : من علم الزهرى (٣) .

قال السيوطى : أول من دوّن الحديث : ابن شهاب الزهرى فى خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره - ذكره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى (٤) .

وأخرج أبو نعيم فى « الحلية » عن مالك بن أنس قال : أول من دوّن العلم ابن شهاب (٥) .

وكان الإمام مالك بن أنس لديه مما كتب الزهرى الشىء الكثير ، وقد دخلوا منزل الإمام مالك بعد موته فأخرجوا كتبه سبع صناديق من

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ج ٦ / ٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ج ٢ / ١٣٦ .

(٤) ، (٥) السيوطى ؛ الوسائل إلى معرفة الأوائل ، ص ١١٤ بتحقيق د. ابراهيم العدوى.

حديث ابن شهاب الزهرى ظهورها وبطونها ملآى (١) .

وفيما يبدو أن ابن شهاب الزهرى قد أكثر من كتابة الكتب وتصنيفها لأنه كان إذا أقبل على هذه الكتب لم يلتفت إلى شىء حتى قالت امرأته : والله إن هذه الكتب أشد علىّ من ثلاث ضرائر (٢) . وقال ابن تيمية : حفظ الزهرى الإسلام نحوا من سبعين سنة (٣) .

ولا شك أن هذه الكتب الكثيرة التى خلفها ابن شهاب الزهرى عند الوليد بن يزيد ، والكتب التى خلفها عند مالك بن أنس كانت تضم الحديث والفقه معاً مع أحاديث الصحابة والتابعين ، ولسوف نجد لهذا أثرا كبيرا فى الكتاب الذى صنفه تلميذه مالك بن أنس (٩٧ - ١٧٩) وهو الموطأ الذى يعد أول كتاب مرتب ظهر للناس فى الحديث النبوى وفى فتاوى الصحابة والتابعين .

وقد ظهر فى هذا القرن الثانى بعد وفاة ابن شهاب الزهرى من الأحداث السياسية والفكرية والاجتماعية ما أوجب تصنيف الكتب لحفظ السنّة من الضياع والاندثار .

قيام الدولة العباسية وظهور البدع :

ولا ينبغى لنا ونحن نتكلم عن حركة الجمع الكبرى وبداية التدوين أن نغفل الأحداث الجسيمة التى وقعت فى أثناء هذا القرن ، من تحول أمر الخلافة من الأمويين إلى العباسيين وظهور الفرق الإسلامية ممّا كان

---

(١) ابن فرحون - الديباج المذهب ص ٢٤

(٢) ، (٣) ابن العماد ، شذرات الذهب ج ١ / ١٦٢ ، ١٦٣ .

لها كبير الأثر على رواية الحديث النبوى حيث شاع وضع الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر الوضّاعون وتعددت أنواعهم ، واختلفت أغراضهم .

قال الذهبى فى التذكرة فى أثناء تعقيبه على الطبقة الثالثة من التابعين :

(وفى عصر هذه الطبقة تحولت دولة الإسلام من بنى أمية إلى بنى العباس فى عام اثنتين وثلاثين ومائة ، فجرى بسبب ذلك التحول سيول من الدماء وذهب تحت السيف عالم لا يحصيهم إلاّ الله بخراسان والعراق والجزيرة والشام وفعلت العساكر الخراسانية الذين هم المسودة كل قبيح فلا حول ولا قوة إلاّ بالله) (١) .

وقال أيضا : « .. وفى هذا الزمان ظهر بالبصرة عمرو بن عبيد العابد ، وواصل بن عطاء الغزال ، ودعوا الناس إلى الاعتزال والقول بالقدر ، وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ودعا إلى تعطيل الرب عز وجل وخلق القرآن ، وظهر بخراسان فى قبالته مقاتل بن سليمان المفسر ، وبالغ فى إثبات الصفات حتى جسّم وقام على هؤلاء علماء التابعين وأئمة السلف وحذروا من بدعهم ، وشرع الكبار فى تدوين السنّة وتأليف الفروع وتصنيف العربية ثم كثر ذلك فى أيام الرشيد ، وكثرت التصانيف ، وألفوا فى اللغات ، وأخذ حفظ العلماء ينقص ودونت الكتب ، واتكلوا عليها ، وإنما كان قبل ذلك علم الصحابة والتابعين فى

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ١٥٨ .

الصدور فهى كانتْ خَزائـن العلـم لهـم رضـى الله عنهم » (١) .

بداية ظهور التصنيف فى الحديث النبوى :

بـدأ ذلك فـى أول جـيل أتـباع التـابعين وهـم خلـف الأخـيـار وأعـلام الأمـصـار فـى دين الله عـز وجل ،نقل سـنن رسـول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وإتقانه ، والعلماء بالحلال والحرام والفقهاء فى أحكام الله عز وجل ونهيه (٢) .

قال السيوطى : أول من صنف - فى الحديث - ورتبه على الأبواب مالك **بالمدينة** وابن جريج **بمكة** والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبى عروبة أو حماد بن سلمة **بالبصرة** ، وسفيان الثورى **بالكوفة** ، والأوزاعى **بالشام** ، وهشيم **بواسط** ، ومعمر **باليمن** ، وجرير بن عبد الحميد **بالرى** ، وابن المبارك **بخراسان** (٣) .

قال الحافظ العراقى وابن حجر : وكان هؤلاء فى عصر واحد ولا يدرى أيهم أسبق ، وذلك سنة بضع وأربعين ومائة (٤).

ثم اتسعت بعد أولئك التصانيف وكثر أصحابها فى الأمصار .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ١٦٠ .

(٢) ابن أبى حاتم الرازى ، مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ .

(٣) ، (٤) السيوطى ، الوسائل إلى معرفة الأوائل ص ١١٤ .

أول من صنّف بالمدينة المنورة :

أما مالك بن أنس (ت ١٧٩) فكتابه يمثل أصح علم أهل المدينة وكان قدتعلم منّ الزهرى كيف يسند أحاديثه وكان يقول : أولّ من أسند الحديث ابن شهاب الزهرى) (١) .

قال الشافعى (ت ٢٠٤) : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وقال أيضا : ما فى الأرض كتاب من العلم أكثر صوابا من موطأ مالك (٢) .

وفى الخبر عن أبى صالح عن أبى هريرة – قيل له يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم – قال نعم – : يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة .

قال عبد الرزاق : كنا نرى أنه مالك بن أنس – يعنى قوله لاتجدوا عالما أعلم من عالم المدينة] (٣) .

وربما كان مالك قد تأثر بموقف أستاذه الزهرى من أحاديث أهل العراق فلم يسمع منهم ، وقد راجعه فى ذلك بعض أهل الكوفة فقال مالك لرجل منهم : لم يأخذ أولونا عن أوليكم ، فكذلك لا يأخذ أخرونا عن أخريكم (٤) .

ولما جاءه حماد بن زيد يشكو من عدم سماع أصحاب مالك له قال له

---

(١) ، (٢) ، (٣) ابن ابى حاتم الرازى ، الجرح والتعديل ١ / ١٢ .

(٤) الزواوى ، مناقب سيدنا الإمام مالك هامش ص ٧٥ مطبوع ضمن كتاب تزيين الممالك للسيوطى .

مالك : أنا أمرتهم بذلك ، فقال له ولِم ؟ قال : لأنكم أهل العراق تحبون أن تكتبوا عمن لاشهادة له عندنا ، وكذلك أنكم تفعلون فى بلدكم (١) .

وكان الإمام مالك قد وضع شروطا أربعة للأخذ عن الرواة احترازا منه للأحاديث الضعيفة فكان يقول لطلبته :

- لا تأخذ عن سفيه معلن بالسفه وإن كان أروى الناس .

- ولا تأخذ من كذاب يكذب فى أحاديث الناس إذا جرب ذلك عليه وإن كان لايتهم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه .

- ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لايعرف ما يحدث (٢)

وكان من مذهبه أنه إذا شك فى بعض الحديث تركه كله اتقاءاً ، وقد قال الشافعى (قيل لمالك بن أنس إن عند ابن عيينة عن الزهرى أشياء ليست عندك فقال مالك : وأنا كل ما سمعت من الحديث أحدث به ؟ ! أريد إذن أن أظلمهم) (٣) .

كما أنه لم يرو كل ما سمعه من أساتذة الزهرى وكان لديه من حديثه الكثير فقد وجدوا فى بيته بعد وفاته سبعة صناديق من حديث ابن شهاب الزهرى ظهورها وبطونها ملآى فجعل الناس يقرأون ويدعون

---

(١) الزواوى ، مناقب سيدنا الإمام مالك هامش ص ٥٦ مطبوع ضمن كتاب تزيين الممالك للسيوطى .

(٢) الخطيب البغدادى : الكفاية فى علم الرواية ص ١٨٩ .

(٣) ابن أبى حاتم الرازى : آداب الشافعى ومناقبه ص ٢٠٠ .

ويقولون : رحمك الله يا أبا عبد الله لقد جالسناك الدهر الطويل فما رأيناك ذاكرا لنا بشيء مما قرأناه (١) .

وللإمام مالك أحاديث شريفة مروية عنه ، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم لكنها لم يشتهر عنه منها ولا واظب على إسماعه وروايته غيرالموطأ ، مع حذفه منه وتلخيصه له شيئا بعد شيء ، وسائر تآليفه إنّما رواها عنه من كتب بها إليه ، أو سأله إياها . فمن أشهرها - رسالته فى القدرية - وهو من خيار الكتب الدالة على سعة علمه ، ومنها كتابه فى النجوم وحساب مدار الزمن ومنازل القمر - وهو كتاب جيد مفيد جداً قد اعتمد عليه الناس فى هذا الباب وجعلوه أصلا . ومن ذلك رسالته فى الأقضية كتب بها إلى بعض القضاة عشرة أجزاء ، .. وكتابه فى التفسير لغريب القرآن .. وقد نسب إليه أيضا كتاب يسمى كتاب السير من رواية ابن القاسم عنه .. ومنها رسالته إلى الليث بن سعد فى إجماع أهل المدينة رضى الله تعالى عنهم وهى مشهورة متداولة بين العلماء (٢) .

وقد ذكر السيوطى (ت ٩١١) أن أول من صنف تفسير القرآن بالإسناد مالك بن أنس على طريقة الموطأ ثم تبعه الأئمة الحفاظ (٣) .

وعلى ذلك فإن الموطأ الذى ألفه الإمام مالك بن أنس يعد أقدم وثيقة بين أيدى المسلمين ، وهى أصح ما كتب فى الحديث النبوى بالإسناد العالى ، ومنها ما يكون بين مالك والرسول ﷺ فيها راويان فقط .

---

(١) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٧ .
(٣) السيوطى : الوسائل إلى معرفة الأوائل ص ١١٢ .

أول من صنف بمكة المكرمة :

وأول من صنّف بمكة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكى (ت ١٥٠) وهو من تلامذة عطاء بن أبى رباح ، وسمع من أبيه ومجاهد ابن جبر، وعمرو بن شعيب ،ونافع وغيرهم ، وكان قد أدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم لأنه كان يتتبع الأشعار العربية والأنساب حتى قيل له : لو لزمت عطاء بن أبى رباح ، قال : فلزمته ثمانية عشر عاما ، قال ابن المدينى : لم يكن فى الأرض أعلم بعطاء بن أبى رباح من ابن جريج (١) .

قال أحمد بن حنبل : كان من أوعية العلم : وهو وابن أبى عروبة أول من صنّف الكتب (٢) .

وأستاذه عطاء بن أبى رباح كان قد سمع من عائشة أم المؤمنين وأبى هريرة وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وأم سلمة وطائفة ، فكأن ابن جريج سجّل أحاديث الصحابة الذين سمع منهم عطاء ، ولما قدم ابن عمر رضى الله عنه مكة اجتمع عليه أهل مكة فسألوه فقال : تجمعون لى المسائل وفيكم عطاء ؛ وكذلك قال ابن عباس : يا أهل مكة تجتمعون علىّ وعندكم عطاء ؟ (٣) .

وعلى ذلك فكتاب ابن جريج يجمع لنا علم عطاء بن أبى رباح، وعلم عطاء يضم الأحاديث التى رواها الصحابة الذين سمع منهم .

---

(١) الذهبى ؛ تذكرة الحفاظ ج ١ / ١٧٠ .
(٢) المصدر السابق ١ / ١٦٩ .
(٣) المصدر السابق ١ / ٩٨ .

أول من صنّف الحديث بالبصرة :

أما البصرة فبدأ فيها التصنف على يد كل من الربيع بن صبيح (ت ١٦٠) وسعيد بن أبى عروبة (ت ١٥٠) ، وحماد بن سلمة (ت ١٦٧) .

فالربيع بن صبيح البصرى روى عن الحسن وحميد الطويل وثابت البنانى ومجاهد بن جبر وغيرهم من جيل التابعين . وكان من العُبّاد ، وذكر الرامهرمزى أنه أول من صنّف بالبصرة (١) .

أما سعيد بن أبى عروبة البصرى فقد روى عن الحسن البصرى ، وابن سيرين وأيوب ، وقتادة بن دعامة السدوسى وخلق من التابعين وكان أعلم الناس بحديث قتادة ، قال أحمد بن حنبل : لم يكن له كتاب إنما كان يحفظ ذلك كله ، (٢) وقال ابن العماد فى الشذرات : شيخ البصرة وعالمها وأول من دوّن العلم بها (٣) .

وأما حماد بن سلمة بن دينار البصرى فقد سمع خاله حميد الطويل وابن أبى مليكة وثابتا البنانى وقتادة وسماك بن حرب وخلقا كثيرا من التابعين ، قال أحمد بن حنبل : حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت البنانى وأثبتهم فى حميد ، قال الذهبى : هو أول من صنف مع ابن أبى عروبة وكان بارعا فى العربية فقيها فصيحا مفوها (٤) .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ٣ / ٢٤٨ .

(٢) السيوطى : طبقات الحفاظ ص ٧٨ ، وتذكرة الحافظ للذهبى ، ج ١ / ١٧٧ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، ١ / ٢٣٩ .

(٤) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٠٢ .

وهؤلاء الثلاثة جمعوا حديث البصرة فى تصانيفهم . وأخذ عنهم خلق كثير . وفى الخبر أن عمرو بن عاصم (ت ٢١٣) من محدثى أهل البصرة قال : كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث ، وكذا قال ابن المدنى : كان عند يحيى بن ضريس عن حماد عشرة آلاف حديث (١) .

أول من صنّف بالكوفة :

وأول من صنّف فى الكوفة سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى (ت ١٩٧) الذى قال فيه شعبة وغيره : سفيان أمير المؤمنين فى الحديث . وقال فيه صالح جزرة : سفيان أحفظ وأكثر حديثا من مالك لكن مالكا ينتقى الرجال ، وسفيان أحفظ من شعبة يبلغ حديثه ثلاثين ألفا وحديث شعبة عشرة آلاف حديث (٢) .

كما كان سفيان الثورى أحفظ للإسناد وأسماء الرجال من شعبة وقال شعبة : ما حدثنى أحد عن شيخ إلا وإذا سألته- يعنى ذلك الشيخ - يأتى بخلاف ما حدث عنه ما خلا سفيان الثورى فإنه لم يحدثنى عن شيخ إلا وإذا سألته وجدته على ما قال سفيان (٣) .

وكان سفيان يحدث عن أبيه ، وزياد بن علاقة ، وحبيب بن أبى ثابت، وأيوب السختيانى ، وجعفر الصادق وخلق .

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج ١ / ٢٠٣ .

(٢) ابن أبى حاتم الرازى ، الجرح والتعديل ١ / ٦٦ .

(٣) المصدر السابق ١ / ١٦٧ .

قال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان .

إلا أننا نجد فى أخباره أنه أوصى أحد تلامذته وهو عمار بن سيف فى كتبه فقال : ما كان بحبر فاغسله وما كان بأنقاس فامحه .. فأخرج كتبا كثيرة فغسلت (١).

أول من صنّف بالشام :

صنّف بالشام إمام الشاميين عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى الفقيه (ت ١٥٧) وكان رأسا فى العلم والعمل ، ومع علمه كان بارعا فى الكتابة ، قال عن نفسه دفع إلىّ يحيى بن أبى كثير صحيفة فقال اروها عنى ، ودفع إلىّ الزهرى صحيفة وقال : اروها عنى (٢) ، وقال أبو زرعة الدمشقى : كانت صنعته الكتابة والترسل فرسائله تؤثر (٣) .

وعن ابن مهدى أنه قال : الأئمة فى الحديث أربعة : الأوزاعى ومالك والثورى وحماد بن زيد ، وقال أيضا : ما كان بالشام أعلم بالسنّة منه ، وقد روى الأوزاعى عن خلق كثير من التابعين مثل اسحاق بن عبد الله ابن أبى طلحة ، وعطاء بن أبى رباح ، وقتادة ، وابن سيرين ، ويحيى بن أبى كثير والزهرى ، وشعبة . لكنه لم يرو عن الحسن البصرى لأنه حين قصده وجده قد مات .

---

(١) ابن أبى حاتم الرازى ، الجرح والتعديل ص ١١٨ .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢٤١ .

(٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ / ١٧٨ .

وفى الخبر أن كتبه قد احترقت زمن الرجفة فما عرض لشيء منها حتى مات (١) .

أول من صنّف بواسط :

وكان أول من صنّف بواسط هشيم بن بشير بن القاسم السلمى الواسطى محدث بغداد (ت ١٨٣) روى عن أبيه وحميد الطويل وأيوب السختيانى وعمرو بن دينار وطبقتهم وكان عنده عشرون ألف حديث ، قال يحيى القطان : هو أحفظ من رأيت بعد سفيان وشعبة .

قال أبو إسحاق الحربى : كتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضى * وكان يناظر أبا شيبة فى الفقه .. وقال أيضا : يزعمون أنه ما رئى له إلاّ دفتر واحد (٢) .وروى عنه مالك بن أنس وشعبة والثورى وهم أكبر منه ، وجاء رجل من أهل العراق فذاكر مالكا بحديث فقال : وهل بالعراق أحد يحسن الحديث إلاّ ذاك الواسطى يعنى هشيما .

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ج ٦ / ٢٤٢ .

(٢) ابن الجوزى = صفة الصفوة ج ٣ / ١٦ وانظر ترجمته فى تذكرة الحافظ ١ / ٢٤٨ وصفات الحفاظ للسيوطى .

* هو عبد الرحمن بن اسحاق بن سعد الواسطى روى عن الشعبى ، وهو ليس بالقوى . ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ٦ / ١٣٦ .

وأول من صنّف باليمن :

وأول من صنّف باليمن : معمربن راشد الأزدى الحرانى (ت ١٥٣)، كان أول من ارتحل فى طلب الحديث إلى اليمن فلقى بها همام بن منبه صاحب أبى هريرة . وله الجامع المشهور فى السير أقدم من الموطأ(١) .

روى معمر بن راشد عن الزهرى وقتادة وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة ويحيى بن أبى كثير وطبقتهم . قال يحيى بن معين : هو أثبت الناس فى الزهرى . وقال الذهبى : كان أول من صنّف باليمن (٢) .

أول من صنّف بالرى :

وكان جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبى ، أبو عبد الله الرازى (ت ١٨٨) ؛ قد نشأ بالكوفة وروى عن الأعمش ، والثورى ، وعطاء بن السائب وطبقتهم وكان ثقة كثير العلم يرحل إليه (٣) .

قال ابن عمار الموصلى : هو حجة ، كانت كتبه صحاحا (٤) .

أول من صنّف بخراسان :

وأول من صنّف بخراسان عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى المروزى ؛ (ت ١٨١) .

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ١ / ٢٣٥ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ج ١ / ١٩١ .

(٣) السيوطى ؛ طبقات الحفاظ ص ١١٦ .

(٤) ابن حجر العسقلانى تهذيب التهذيب ج ٢ / ٧٥

قال الذهبى : الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن الحنظلى مولاهم المروزى التركى الأب الخوارزمى الأم التاجر السفار صاحب التصانيف النافعة والرحلات الشاسعة ولد سنة ثمانى عشرة ومائة أو بعدها بعام وأفنى عمره فى الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا ، سمع سليمان التيمى وعاصماً الأحول وحميد الطويل والربيع بن أنس وهشام بن عروة ...وأمما سواهم حتى كتب عمن هو أصغر منه ، دوّن العلم فى الأبواب والفقه وفى الغزو والزهد والرقائق وغير ذلك (١) .

قال ابن معين : كان ثقة متثبتا ، وكانت كتبه التى حدث بها نحوا من عشرين ألف حديث .

قال يحيى ابن أدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده فى كتب ابن المبارك أيست منه (٢) .

قال ابن المبارك عن نفسه : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم (٣) .

أول من صنّف بمصر :

وإذا كان هؤلاء الناس الذين ذكرهم السيوطى هم الذين أحرزوا قصب السبق فى التأليف فى البلاد التى ألفوا بها، فإننا نستطيع أن

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٧٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

نضيف أيضا إلى ما ذكره السيوطى أن أول من كان من المصنفين بمصر ، عبد الله بن وهب بن مسلم المصرى الفهرى مولاهم أبو محمد أحد الأعلام (ت ١٩٧ هـ) روى عن مالك بن أنس ، وابن جريج ، والسفيانين وخلق (١) .

لقد جمع ابن وهب بين الفقه والرواية والعبادة وله تصانيف كثيرة ، وذكر أنه حدث بمائة الف حديث . وقد صحب مالكا عشرين سنة وصنف الموطأ الكبير والصغير ، وكان مالك يكتب إليه فى المسائل ولم يكن يفعل هذا لغيره .

كتب إليه الخليفة فى قضاء مصر فاختبأ ولزم بيته فاطلع عليه بعضهم يوما فقال يا ابن وهب ألا تخرج فتقضى بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله ؟ فقال : أما علمت أن العلماء يحشرون مع الأنبياء والقضاة مع السلاطين ؟! وقرىء عليه كتاب الأهوال من جامعه فغشى عليه فحمل إلى داره فمات لحينه (٢) .

** ** **

استعارة الصحف :

كما أنهم كانوا يتبادلون الصحف والمصنفات أو يأخذونها من بعضهم على سبيل الاستعارة وقد يتأخر بعضهم فى ردها أو لا يردّها

---

(١) السيوطى : طبقات الحفاظ ، ص ١٢٦ .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ج ١ / ٣٤٨ .

إلى صاحبها ؛ ففى الخبر عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : قال شعبة : أخذ منى حفص بن سلمان كتابا فلم يرده علىّ ، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها (١) .

وكان عبد الأعلى بن عامر الثعلبى يحدث من كتاب لديه عن ابن الحنفية عن علىّ فيكثر ، قال ابو حاتم الرازى : يقال إنه رفع إليه صحيفة لرجل يقال له عامر بن هنى كان يروى عن ابن الحنفية (٢) . وقد ضعفوا حديثه .

وقال أحمد عن ابن مهدى : كل شىء روى عبد الأعلى عن ابن الحنفية إنما هو كتاب أخذه ولم يسمعه (٣) .

وفى الخبر أن هرز أخا الحسن بن يناق قال لرجل « إذا قدمت الكوفة فحرّج على ليث بن أبى سليم وقل له حتى يرد كتاب ابن حسن ابن مسلم فإنه أخذه منه » (٤) .

*** *** ***

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ، ج ٧ / ٢١ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ج ٦ / ٩٤ .
(٣) المصدر السابق نفسه .
(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ / ٣٥٢ .

جمع كل ما أثر عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين مدونا في الكتب في نهاية القرن الثانى

وكان بعد أولئك الذين ذكرناهم عدد جم من المصنفين في شرق البلاد وغربها ، وعلى هذا فقد شهدت نهاية القرن الثانى تدوين وجمع كل ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والتابعين ، ومن أشهر الكتب المؤلفة فى ذلك الوقت ، موطأ الإمام مالك (ت ١٧٩) ، ومسند الإمام الشافعى (ت ٢٠٤) والجامع للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١) ومصنف شعبة بن الحجاج بن الورد (ت ١٦٠) ومصنف سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) ومصنف الليث بن سعد (ت ١٧٥) ، ومصنفات الأوزاعى (ت ١٥٧) ، وكان جمع هؤلاء للحديث جمعا مختلطا بأقوال الصحابة وأفعالهم وفتاوى التابعين وأعمالهم .

هكذا قام علماء الجيل الأول والجيل الثانى من أتباع التابعين وهم طبقة كبار أتباع التابعين من مثل الإمام مالك والليث بن سعد وشعبة بن الحجاج وحماد بن سلمة وغيرهم والطبقة الوسطى منهم ؛ مثل هشيم ابن بشير والشافعى وسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصرى وجرير بن عبد الحميد الرازى وغيرهم بتسلم الحديث من التابعين غضا طريا كما تسلمه التابعون من قبلهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظا وكتابة ؛ وقد اجتهد أتباع التابعين واهتموا بكتابته

وتدوينه لتسليمه لمن بعدهم نقيا مبرءاً من كل عيب ، وإنهم على الرغم من وقوع البدع فى عصورهم إلاّ أنهم تحروا رشدا ، حموا السنّة بسياج متين من التشدد فى طلب الأسانيد والسؤال عن أحوال الرواة كما رأينا فى شروط الإمام مالك الأربعة التى تعتبر مصفاة محكمة لتنقية الأحاديث مماشابها من أوضار المبتدعة فى هذا القرن .

ونعود فنقول إن كتابة الحديث النبوى فى هذا العصر وهو القرن الثانى الهجرى ، عصر طبقة صغار التابعين وطبقة كبار أتباع التابعين والطبقة الوسطى أيضا من أتباع التابعين التى انتهى بها هذا القرن ، لم تغن الكتابة فيها عن الحفظ بل إن الحفظ قد زاد واتسع قدره لدى الحفاظ ، لأن العلم يزيد بزيادة الزمان ، وسلسلة الإسناد تطول مع الأيام ، وليس معنى أننا ذكرنا أوائل المصنفين والمشهورين منهم أن الناس كانوا يعتمدون على الكتب فقط ، بل على الكتب إلى جانب الحفظ الذى لم يتخلوا عنه قط بل استمر إلى قرون تالية تبلغ القرن العاشر حتى نهاية خاتمة الحفاظ المتقنين وهو الإمام جلال الدين السيوطى المتوفى فى سنة ٩١١ هجرية .

وهذا نعيم بن حماد قال : سمعت عبد الله بن المبارك (ت ١٨١) يقول : قال لى أبى : لئن وجدت كتبك حرقتها ، فقلت : وما علىّ ؟ هو فى صدرى (١) .

فلم يعبأ عبد الله بن المبارك بتهديد أبيه بحرق الكتب التى كان قد صنفها وأخبره بأنه لو حرقها فإن ذلك لايضره لأن العلم يحتفظ به فى

---

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج١ / ٢٧٧ .

صدره . وهكذا كان شأن الحفّاظ فى الأغلب الأعم أنهم كانوا يحفظون علومهم .

غير أننا سوف نجد أيضا أن بعضا منهم كانوا يتأثرون لضياع كتبهم أو تلفها ، وكان لكثرة لقاءات المحدثين يكتشفون ذلك ، لأنهم كانوا يعاودون لقاء المشايخ ويراجعون عليهم أحاديثهم فإن ظهرعليهم نسيان أو أصابتهم غفلة أعلنوا على الناس غفلتهم وحذروا الناس من تأثر حفظهم ، ولهذا سوف نجد فى بعض الأخبار عن الرواة والتحمل عنهم « أنه من أخذ عنه قبل ضياع كتبه فذلك صحيح وأنه من أخذ عنه بعد ضياع كتبه ففيه نظر » .

والشىء الذى يثير العجب ويدعو إلى الدهشة هو ذلك الإقبال المنقطع النظير فى تاريخ الأمم - على حفظ الحديث النبوى والعناية بأخبار النبى صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه عليهم جميعا رضوان الله تبارك وتعالى ، فمجالس العلم منتشرة فى جميع البلاد والحواضر الإسلامية فى المساجد وفى بيوتات العلماء ، والرحلة فى طلب الحديث لتدوين الآثار قد زادت زيادة ملحوظة فى أواخر هذا القرن، وصار حمل الكتب والدفاتر والتنقل بها بين البلدان من سمة علماء ذلك العصر ، وإن دائرة ذلك قد اتسعت مع إقبال القرن الثالث الهجرى الذى يوصف دائما بأنه كان العصر الذهبى للحديث النبوى حيث ازدهرت فيه مجالس العلم ، وكثرت فيه المناقشات والمناظرات وازدادت فيه الرحلات لجمع الحديث النبوى وتدوينه تدوينا عاما وتسجيله فى الكتب الصحاح.

ولا يفوتنا أنه قد وقع فى هذا القرن الثانى الهجرى بعض الأحداث السياسية حيث تحولت المملكة الإسلامية العظمى من الدولة الأموية إلى

الدولة العباسية ، وأن ذلك كان فى سنة مائة وأثنتين وثلاثين من الهجرة ، فأضافت إلى الفتنة التى وقعت فى القرن الذى قبله وهى فتنة الحرب بين معاوية بن أبى سفيان وعلىّ بن أبى طالب ، الكثير من الأمور الدخيلة على الإسلام والمسلمين مما جعل تيار الفتن يستشرى خطره ، وكان من أعظم أخطار تلك الفتن ظهور الوضع فى الحديث النبوى ، وهذا ما سوف نتناوله فى الفصل الثالث قبل الكلام عن تدوين الحديث فى القرن الثالث الهجرى .

** ** **

الفصـــل الثالـــث
ظهـــــور الوضـــــع
في
الحديـــــث النبـــوى

وفيه :

- تحذير رسول الله ﷺ قبل وفاته من الكذب عليه .
- تشدد الصحابة فى الرواية عنه بسبب ذلك .
- المطالبة بالإسناد .
- بداية ظهور الكذب على رسول الله ﷺ ووضع الحديث .
- أسباب الوضع .
- أنواع الوضاعين والكذابين
- القضاء على الوضع :
  * استعمال التاريخ .
  * ظهور الجرح والتعديل فى القرن الثانى وتعيين أحوال الرواة .
  * علماء الجرح والتعديل ونقد الحديث النبوى فى القرنين الثانى والثالث .
- البلاد التى تميزت فى نقد الحديث حتى نهاية القرن الثالث الهجرى

تحذير الرسول ﷺ من الكذب عليه :

كان النبى ﷺ قبل موته قد أخبر أصحابه بأنه سيكون فى آخر أمته أناس دجالون كذابون يحدثون الناس بما لم يسمعوا ، فحذر أصحابه منهم ومن الأخذ عنهم ؛ روى أبوهريرة عن النبى ﷺ قوله « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » (١).

كما روى عن عبدالله بن مسعود أنه قال : « إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه يحدث» (٢) .

وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال ؛ « إن فى البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان توشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا » (٣) .

تشدد الصحابة فى الرواية عنه ﷺ :

ولهذا كان الصحابة يتشددون فى الرواية عنه ﷺ وكان بعضهم يكره الرواية عنه ﷺ خشية الكذب عليه ، وكان بعض الصحابة إذا حدَّث حديثاً عن رسول الله ﷺ طلب دليلاً على صحته ، نجد ذلك فى حديث

---

(١) صحيح مسلم . باب الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم . جـ ١ . ص ٧ . طبعة عيسى البابى الحلبى .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

الجدة التى جاءت إلى أبى بكر الصديق لتطلب حقها فى مال ابن ابن مات ، قال لها أبوبكر ماعلمت لك فى كتاب الله حقا ، ولاسمعت من رسول الله ﷺ فيه شيئا ؛ فسأل فشهد المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أعطاها السدس . قال : ومن سمع ذلك معك ؟ فشهد محمد بن أبى مسلمة فأعطاها أبوبكر السدس (١) .

وكذلك فى قصة حديث الاستئذان حين طلب عمر بن الخطاب من أبى موسى الأشعرى البينة عندما أخبره بحديث النبى ﷺ « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » وذهب حتى شهد معه أبوسعيد الخدرى أمام عمر فقال عمر : إنى لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ ، مايدل على أنهم كانوا يتحرون الدقة فى الرواية عنه ﷺ (٢).

ورُوِى أن على بن أبى طالب كان يستحْلف من يحدثه بحديث عن رسول الله ﷺ (٣) .

وعلى هذا كان مسلك الصحابة تجاه رواية الحديث النبوى ، أنهم كانوا يخشون الوقوع فى الكذب فى الرواية عنه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال أنس بن مالك : إنه ليمنعنى أن أحدّثكم حديثا كثيرا أن رسول الله ﷺ قال : « من تعمد علىّ كذبا فليتبوأ مقعده من النار » (٤) .

ولقد روَى هذا الحديث أحد وستون نفسا من الصحابة وقد كانوا لأجله يتورعون عن الرواية .

---

(١) راجع : الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ج ٢/١ .

(٢) راجع : الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ج ٦/١ .

(٣) راجع : الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ج ١٠/١ .

(٤) راجع صحيح مسلم ، ج٦/١ .

ولَمَا وقعت الفتنة أيام على ومعاوية من بعد مقتل عثمان احتاطوا للأمر فلم يأخذوا إلا ماعلموا وعرفوا من أحاديث رسول الله ﷺ ، وتركوا مادون ذلك ، لذا نجد ابن عباس رضى الله عنهما يُعْرِضُ عن بُشَيْرٍ العدوى * لما جاءه يحدثه ويقول قال رسول الله ﷺ ؛ قال رسول الله ﷺ ، وابن عباس لايأذن لحديثه ولاينظر إليه فقال : يا ابن عباس مالى لا أراك تسمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتسمع!؟ فقال ابن عباس : « إنَّا كُنَّا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا مانعرف » (١) .

المطالبة بالإسناد وتشدد التابعين فيه :

وروى عن محمد بن سيرين أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد . فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » (٢) .

ويفهم من هذا الأثر أن المطالبة بالإسناد وقت إثر الفتنة التى كانت بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، حيث خرج على علىّ

---

* بُشَيْر (بالتصغير) بن كعب بن أبى الحميرى العدوى أبو أيوب - شهد اليرموك وذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من أهل البصرة . وقال ثقة . راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ق ١ / ١٦٢ ، تهذيب التهذيب ١/ ٤٧١ .

(١) صحيح مسلم ، ص ٨ ط - الحلبى .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٩ ط. الحلبى .

أيضا - الكفاية فى علم الرواية - للخطيب البغدادى (٤٦٣ هـ) ص ١٩٧ . تقديم المحدث حافظ التيجانى . الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢ .

رضى الله عنه طائفة سمُّوا بالخوارج ، كما ظهر فى عهده الشيعة الغلاة فى حقه مثل عبدالله بن سبأ ، وجماعة معه .

ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة، حيث اختلف عليه الخوارج والشيعة ؛ وصدق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم « يهلك فيه اثنان : محب غالٍ ومبغض قالٍ » (١) .

كما روى عن على بن أبى طالب أنه قال : الهلاك فى اثنين حب مفرط وبُغض مفرط . وقال أيضا : يخرج فى هذا الزمان أقوام ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا يقال لهم الروافض فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون (٢) .

بداية ظهور الوضع في الحديث النبوى :

كانت موقعة صفين السبب الأول فى ظهور الفرق الإسلامية ، حيث انقسم المسلمون بعدها إلى ثلاث فرق هى :

الخوارج والشيعة وأهل السنة ، فأما الخوارج فهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولم يرضوا بمبدأ التحكيم الذى عرضه عليه معاوية بن أبى سفيان ، وطلبوا من سيدنا على أن ينقض هذا الاتفاق مع أهل الشام وأن يندم ولكنه لم يقبل منهم ذلك حقنا لدماء المسلمين فانفصلوا عنه وذهبوا إلى حروراء تحت شعار أن « لاحكم

---

(١) الملل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبدالكريم ابن ابى بكر احمد الشهرستانى بتحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل ج ١ ص ٢٦ . نشر مؤسسة الحلبى . القاهرة .

(٢) ابوالليث نصر بن محمد السمرقندى ، كتاب بستان العارفين فى الآداب الشرعية ، ص ٨٥ ، مكتبة فياض ، المنصورة ، ضبطه وحققه عبدالفتاح حسين الزيات .

إلا لله » ومن هنا سموا الحرورية أو الخوارج وكان ذلك أول ظهور الفرق في الإسلام وقد تعددت الخوارج إلى نحو العشرين فرقة تتفاوت فيما بينها في التعاليم . ومن أشهر فرق الخوارج :

فرقة الأزارقة : وكان زعيمها نافع بن الأزرق ومذهبهم يقوم على تكفير جميع المسلمين ماعداهم .

فرقة الصفرية : وكان زعيمها زياد بن الأصفر وهم أشبه بفرقة الأزارقة .

فرقة النجدات : وكان زعيمها نجدة بن عامر ، والكذب عندهم أعظم من الزنا .

فرقة الأباضية : وكان زعيمها عبدالله بن أباض التميمي المتوفى سنة ٨٠ هـ في عهد عبدالملك بن مروان .

أما الشيعة فهم أتباع علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، تكاد تجمعهم هذه الطوائف :

الغالية ، والكيسانية والزيدية والإمامية .

فأما الغالية فهم الذين غالوا في حب علي حتى قالوا فيه قولا عظيما ويقولون بالحلول والتناسخ والتشبيه والرجعة .

وأما الكيسانية فهم ينسبون إلى كيسان رئيس جند المختار بن عبيد الثقفي الذي خرج وطلب دم الحسين ودعا الناس إلى محمد بن الحنفية ، ومنهم من يدعي أن محمد بن الحنفية حي بجبال رضوى ، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه

وأما الزيدية فهم القوم الذين يَنْسبُون إلى زيد بن علي زين العابدين

ابن الحسين ، وقد اختص الإمام زيد بن علي في عصره بشخصية علمية متميزة وقد بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبدالملك وكان زيد بن علي يُفَضّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبابكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور ، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه ، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم رفضتموني ، فيقال : أنهم سموا الرافضة لقول زيد لهم : « رفضتموني » ، وبقي في شرذمة من شيعته فقاتل يوسف بن عمر الثقفي أمير الكوفة آنذاك فقتل ودفن ليلا في سنة ١٢٢ هـ .

أما الإمامية فهم ينزلون الإمامة بعد علي زين العابدين إلى محمد الباقر لا زيد بن علي وأهم فرقها الإثنا عشرية والسبعية .

وأما أهل السنة ، فهم المعتدلون الذين يمثلون عامة أهل المذهب السني .

روى عن أبي اسحاق * السبيعي (ت ١٢٦ هـ) أنه قال :

« لما أحدثوا تلك الأشياء بعد علي رضي الله عنه قال رجل من أصحاب علي : قاتلهم الله أيّ علم أفسدوا » (١) .

---

* هو أبواسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله بن عبيد الهمداني الكوفي ، روى عن علي ، وجابر بن سمرة وزيد بن أرقم ، والبراء ، وأنس ، والأعمش ، ويشبه أبواسحاق السبيعي الزهري في كثرة الرواية واتساعه في الرجال . راجع : طبقات الحفاظ للسيوطي بتحقيق علي محمد عمر ط ١ ، ١٣٩٣/١٩٧٣ .

(١) صحيح مسلم ، ج ١ ص ٨ (باب في الضعفاء والكذابين ..) ط . الحلبي .

« فأشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض * والشيعة فى علم على رضى الله عنه وحديثه وتَقَوَّلُوه عليه من الأباطيل وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلفة ، وخلطوه بالحق فلم يتميز ماهو صحيح عنه مما اختلقوه . » (١)

وروى عن يحيى بن معين أنه لما سئل عن العلاء بن عبدالرحمن (وهو شيخ يروى عن على بن أبى طالب ، وهو ليس العلاء بن عبدالرحمن الحرقى المدنى المشهور) فقال : « أحسن أحواله عندى أنه قيل له عند موته ألا تستغفر الله؟ قال : لا أرجو أن يغفر الله لى ، فقد وضعت فى فضل على بن أبى طالب سبعين حديثا » (٢) .

وفى الخبر أنه : « قيل للحسن بن على إنّ أُناسا من شيعة أبى الحسن على ، عليه السلام يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة ، فقال : كَذَبُوا ليس هؤلاء من شيعته ، أولئك أعداؤه ، لو علمنا ذلك ماقسّمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءَه » (٣) .

قال ابن الجوزى فى كتاب الموضوعات ، فى باب « فضائل على عليه السلام » ؛ فضائله الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له

---

* سميت الرافضة : رافضه لرفضهم أبابكر وعمر ... وقالوا بتفضيل على رضى الله عنه على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله . راجع : البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ، عباس منصور السكسكى ص ٣٥٦ ، طبعة أولى ، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ؛ يحيى بن شرف النووى الشافعى (ت ٦٧٦) ج١ ، ص ٨٣ ، طبعة المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة .

(٢) انظر كتاب الموضوعات لابن الجوزى ج ١ / ٣٣٩ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦ .

مايضع ولايرفع .. فاعلم أن الرافضة ثلاثة أصناف

صِنْفٌ سمعوا شيئا من الحديث فوضعوا أحاديثه وزادوا ونقصوا

وصِنْفٌ لم يسمعو فتراهم يكذبون على جعفر الصادق ويقولون قال جعفر ، وقال فلان .

والصنف الثالث : عوام جهلة يقولون مايريدون .. (١) .

ولقد وضعت الرافضة كتابا فى الفقه وسموه مذهب الإمامية وذكروا فيه مايخرق إجماع المسلمين بلا دليل أصلا (٢)

ثم روى ابن الجوزى بإسناد له عن عبدالرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه * قال : قال الشعبى ** : يامالك لو أردت أن يعطونى رقابهم عبيدا أو أن يملأوا بيتى ذهبا على أن اكذب لهم على علىّ لفعلوا ، ولكن والله لاكذبت أبداً ، يامالك إنى قد درست الأهواء كلها فلم أر قوما أحمق من (الشيعة) لو كانوا من الدواب لكانوا حمرا ، أو من الطير كانوا رخما .. أحذركم الآراء المضلة وشرها الرافضة » (٣) .

---

(١) ، (٢) أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى القرشى (٥١٠ - ٥٩٧ هـ) كتاب الموضوعات ؛ بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان - الناشر محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، طبعة أولى ، سنة ١٩٦٦/١٣٨٦ ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

* هو مالك بن مغول بن عاصم البجلى الكوفى (ت ١٥٩ هـ) كان ثقة مأمونا كثير الحديث روى عن الشعبى ، وعبدالله بن بريدة ، ونافع وغيرهم . انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ٢٢/١٠ ، ٢٣ وشذرات الذهب ٢٤٧/١ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٢٤ .

** هو عامر بن شراحيل الشعبى ، علامة التابعين ولد لست سنين مضت من خلافة عمر وأدرك خمسمائة من الصحابة وتوفى سنة ١٠٢ هـ . انظر ترجمته فى طبقات الحفاظ للسيوطى بتحقيق على محمد عمر ، ص ٣٢

(٣) الموضوعات لابن الجوزى ج ١ ص ٢٢٩

وهذا الخبر يدل فى جلاء على أن فرقة الشيعة قد أحدثوا فى الدين من الآراء الفاسدة ما استوجب ذمهم .

فلا غرو إذا وجدنا الأسلاف من حملة العلم يأخذون حذرهم ويكونون من رواة الأحاديث بمرصد ، ويصبون جام غضبهم على كل ذى بدعة ، وعلى كل من انتمى إلى الفرق التى انشعبت بعد فتنة على رضى الله عنه فهذا عامر بن شراحيل الشعبى - علامة التابعين - يذم الشيعة ويسفّه أحلامهم ويقول : « لو كانت الشيعة من الطير كانوا رَخَماً ، ولو كانوا من الدواب كانوا حَميراً » (١) .

وكان الشعبى يدعو الشباب إلى نبذ أفكار كل الفرق من شيعة ومرجئة ، وقدرية ويحبب إليهم طريقة أهل السنة والجماعة فيقول : أَحِبَّ صالح المؤمنين ، وصالح بنى هاشم ، ولاتكن شيعيا (٢)وأَرْجِ مالم تعلم ، ولاتكن مرجئا (٣) ، واُعلم أن الحسنة من الله والسيئة من نفسك ،

---

(١) الطبقات الكبرى ، ج ٦ ق ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) سموا شيعة حين قالوا نحن من شيعة على - رضى الله عنه - إلا أن بعضهم قال فيه غير الحق ، وهم الغالية ، فجعله بعضهم إلها ، وجعله بعضهم نبيا ، وقد قتل على رضى الله عنه بعضهم ، وأحرق بعضا فى زمانه ، والغالية منهم تنكر يوم الحساب ، وهم تسع عشرة فرقة . انظر كتاب البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان لعباس بن منصور السكسكى (٦٨٣ هـ) طبعة دار التراث العربى ، ط. أولى ، سنة ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠م .

(٣) المرجئة : سموا مرجئة لقولهم بالإرجاء ، وأصل الإرجاء : التأخير . وذلك أنهم قالوا : إن الإيمان الاعتقاد بالقلب فحسب وإن تأخر الإقرار باللسان ، إلا أنهم وافقوا الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالإمامة . انظر المصدر السابق ص ١٧ .
قال الشهرستانى : والمرجئة أربعة أصناف مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة . انظر الملل والنحل : للشهرستانى ج ١ ، ص ١٣٩ .

ولاتكن قـدريا (١) ، وأَحْبِبْ من رأيتـه يعـمـل بالخـيـر وإن كـان أَخْرَمَ سِنْديا » (٢) .

أسباب الوضـع :

ولقد أدت الصـراعـات المذهـبـيـة ، والصـراعـات السـيـاسـيـة ، ودخـول العناصـر غـير العربيـة ممن أظهروا الإسـلام وأبطنوا الكفـر ، إلى لجوء كل فـريق إلى استنبـاط الأدلة ، والتـمـاس الأحـاديث المؤيدة لدعـواه . فكانوا إذا أعوزهـم الدليل اختلقوا الأحاديث ليشدُّوا بهـا أزر دعواهم ، وليضـعـفوا بها دعاوى خصومهم .

روى أبوحـاتم البـسـتـى بإسناد له عن أبى بكر بن عـيـاش (٣) قـال : حدثنا عـاصـم (٤) قال : قال لى رجل : هل لك فى رجل من الفقـهاء ، قلت : نعم ، فانطلقت معـه فأُدْخِلْتُ على شيخ كبيـر قد بُهِرَ (٥) بكسـر الكلام وحوله جمـاعة كأن على رؤوسهم الطير ، فجلسـت مـعهم فـقال الشـيخ : أشـهد أن « آلى بن أبى تالب » و « الهسن والهسين » و « المهتار مبثوتون » قبل يوم القيامة فيملأون الأرض « أدلا » كما ملئت جورا .

---

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ق٢ ص ١٧٣ ، والسيوطى، طبقات الحفاظ ص٣٢

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٦ ق ٢ ، ص ١٧٣ .

(٣) أبوبكر بن عـيـاش بن سـالم الأسـدى الكوفى ، اسـمـه هو كنيته وكان من العبـاد الحفـاظ المتقنين ، مات هو وهارون الرشيد فى شهـر واحد سنة ١٩٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٣٥/١٢ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٤) هو عـاصم بن بهدلة الكوفى من نظراء الأعـمش (ت ١٢٨ هـ) . انظر تهـذيب التهـذيب ٣٨/٥ ، ٣٩ .

(٥) بُهِرَ : انقطع نفسه من الإعياء والمعنى هنا أتلى بكسر اللام .

قال : قلت : كم يمكثون فى ذلك العدل سنة ؟! قال : « وإيش شنة ، وإيش مائة شنة ، وإيش ألف شنة » ثم قال لهم : أتشهدون ؟ قالوا : نشهد أنك صادق فقال لى : أتشهد ؟ فقلت : أشهد أنك كاذب » (١) .

ولقد وجد اليهود وغيرهم ممن دخل الإسلام نفاقا ممن لهم خبرة سابقة بالدين رواجا لدى العرب لقصصهم ، وتشوقا لمعرفة بعض الأمور التى تتوق إليها النفوس البشرية كمعرفة بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وتاريخ بنى اسرائيل وأنبيائهم وماجرى بينهم ولهم من حوادث ووقائع سيما وقد ورد ذكرهم فى القرآن فى مواضع كثيرة ، وكان اليهود فى بادىء الأمر يجيبونهم بما يعرفونه من ذلك ، ثم مالبث أن نمت رواياتهم فى عصر التابعين نموا مزعجا بسبب دخول الكثيرين من أهل الكتاب فى الإسلام ، هذا مع ميل القوم الشديد لسماع ما فى كتبهم من أعاجيب (فجاء ماروى عنهم فى التفاسير مليئا بقصص كلها سخافة ونكارة كالذى نراه فى كتب التفسير منسوبا إلى قتادة السدوسى (٢) ، ومجاهد ابن جبر (٢) رضى الله عنهما) (٤) وساعد على رواج ذلك القُصّاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة فى المساجد وغيرها .. (واليهود قوم ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، فمن السهل

---

(١) ابن أبى حاتم البستى ، كتاب المجروحين ج ١ ، ص ٨٣ .

(٢) هو قتادة بن دعامه بن قتادة ، أبوالخطاب السدوسى البصرى ولد أكمه . كان من علماء الناس بالفقه والقرآن مات بواسط سنة ١١٧ هـ .

(٣) هو مجاهد بن جبر المكى أبوالحجاج كان مولده سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر ومات سنة أربع ومائة قال ابن سعد كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث .

(٤) الاسرائيليات فى التفسير والحديث لمحمد السيد حسين الذهبى ص ٣٦ . ط مجمع البحوث الإسلامية ، الكتاب ٣٧ .

عليهم أن يحبكوا القصة فى خبث ومهارة حبكا تاما ، ثم يذيعوها بين أوساط العامة ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة فإذا بها وقد شاعت وانتشرت ، وتلقفها نفر من الناس منسوبة إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله منها ومن قائليها ومروجيها برىء) (١) .

فعقيدة السبئية مثلا من صنع عبدالله بن سبأ (٢) ، كان يقول فى على : إنه نبى ثم غلا فيه وأوصله إلى إله . وقد أحرق على رضى الله عنه منهم جماعة ؛ وزعم ابن سبأ بعد مقتل على أنه لم يقتل وإنما المقتول شيطان على صورة على ، وأن عليا إنما صعد إلى السماء كصعود عيسى ، وقال إنه سينزل إلى الأرض وينتقم من أعدائه ، وتبعه قوم قالوا بمقالته وغالوا فيها .. وقالوا : إن عليا هو الذى يجىء فى السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه (٣) .

ومحمد بن السائب الكلبى صاحب التفسير تأثر بعقيدة السبئية ، روى عنه أنه قال « كان جبريل يوحى إلى النبى ﷺ ، فقام النبى لحاجته وجلس علىّ فأوحى إلى علىّ » (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) جاء فى كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦ هامش مانصه :

« عبدالله بن سبأ الذى تنسب إليه السبئية ، كان يهوديا ، وأمه أمة سوداء واظهر الإسلام وطاف ببلاد المسلمين ، وكان يقصد أن يفتنهم عن دينهم ويوقع بينهم ، بدأ بالحجاز ثم ذهب إلى البصرة وإلى الكوفة ورحل إلى دمشق ايام عثمان واثار الفتنة ضد عثمان » .

(٣) انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخرالدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ومعه كتاب المرشد الأمين تأليف طه عبدالرؤوف ، ومصطفى الهوارى - ص ٨٦ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٧٩ .

كما كان اليهود من وراء محنة خلق القرآن التى استشرى خطرها بين المسلمين من عهد المأمون (ت ٢١٧ هـ) إلى عهد الخليفة المتوكل (ت٢٤٧هـ) فمن الذين تولوا كبرها بشر المريسى ، وكان فقيها متكلما، وإليه تنسب فرقة المريسية ، وكان يقرأ من اليهودية فى التوراة مايلبس به على المسلمين فى القرآن ، كما كان يتفقه على مذهب أبى حنيفة النعمان ، ويذهب فى الصفات مذهب جهم بن صفوان (١) غير أنه يخالفه بقوله : الإيمان تصديق وقول بلا عمل ، ويوافق المعتزلة فى قولهم : إن الله تعالى يخلق أفعال العباد .

وكان داعية للقول بخلق القرآن ، وذلك أن المعتزلة لما وحدوا الله وصفاته وقالوا : إن الله قديم لا أول له ، رأو أنه من المستحيل أن يكون القرآن قديما كقدم الله لا أول له أيضا فانتهوا إلى أن القرآن وكل الكتب المنزلة على الأنبياء كالتوراة والانجيل والزبور كلام يخلقه الله فيصل إلى الرسول عن طريق ملك من الملائكة أو نوع من الوحى .

وجماعة المسلمين ترفض هذه المسائل التى أثارتها علوم الفلسفة والمنطق وعلماء الكلام وترفض تشقيق الكلام فيما لاطائل وراءه ، ولقد

---

(١) هو جهم بن صفوان السمرقندى (ت ١٢٤ هـ) : رأس الجهمية كان فى زمن صغار التابعين ومن آرائه أن الله تعالى ليس هو شيئا وأن علم الله تعالى محدث أحدثه لنفسه.

- انظر كتاب البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان لعباس منصور السكسكى ص ١٧ ، ١٨.

- انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى : ج ١ ص ٨٦ .

- انظر كتاب نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ٤٥٨ - د. على سامى النشار ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١ ، دار المعارف بمصر .

تصدوا للرد على هذه المسائل ببراهين من جنس براهين المتفلسفين حتى قضوا عليها بالحجة والبرهان . ولقد تصدى الخليفة المأمون للدفاع عن هذه المسألة واعتقاده فى صحتها وقيامه فى هذه البدعة قيام متعبد بها وأجابه عليها أكثر العلماء على سبيل الإكراه إلا أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ) ومحمد بن نوح (٢١٨ هـ) .

ولما مات المأمون عهد إلى أخيه المعتصم فامتحن الإمام أحمد وَضُرِبَ بين يديه بالسياط .. حتى غشى ثم أطلقه وندم على ضربه .. » (*) .

ولقد ناظر بشراً المريسى جماعة من العلماء « فقطعوه فى المناظرة فلم يرجع عن مذهبه ، عنادا بعد أن اتضح له الحق معهم ، فهجره جماعة من أصحابه ومات مهجورا » (١) ، وَحَكَمَ بِكُفْرِه طائفة من الأئمة . « ولما مات فى سنة ثمانى عشرة ومائتين لم يشيعه أحد من العلماء » (٢) .

وقد راح ضحية هذه الفتنة وهى فتنة القول بخلق القرآن خلق كثير، وعذِّب فيها كثير من الناس . حيث استمرت من سنة ٢١٨ هـ إلى سنة ٢٣٤ هـ حتى قضى عليها الخليفة المتوكل وأعاد الأمور إلى نصابها ، قال الإمام السيوطى فى شأن الخليفة المتوكل : « فأظهر الميل إلى السنة ، ونصر أهلها ورفع المحنة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وذلك فى سنة أربع وثلاثين ، واستقدم المحدِّثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية ...... وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا فى الثناء عليه والتعظيم له حتى قال قائلهم : الخلفاء

* شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الأصفهانى ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(١) البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان : عباس منصور السكسكى ص ١٩ .

(٢) شذرات الذهب ، لابن العماد الأصفهانى ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

ثلاثة : أبوبكر الصديق رضى الله عنه فى قتل أهل الردة ، وعمر بن عبدالعزيز فى رد المظالم ، والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم » (١)

ولم يعدم أعداء الإسلام طريقهم إلى افساد الدين على أهله فوجدوا منافذ فسيحة فى الجدل ، فوضعوا الكثير من الأحاديث حسداً من عند أنفسهم ، ليزعزعوا بها عقائد المسلمين وليضعفوا ثقتهم بالسنة النبوية على مر الأجيال وطفق الخلفاء من بنى العباس يطهرون المجتمع منهم كما شرع رجال الحديث يُطَهِّرون السنة من أوضارهم .

روى السيوطى فى التدريب عن العقيلى بسنده إلى حماد بن زيد قال: وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حديث ، منهم عبدالكريم بن أبى العرجاء الذى قتل وصلب زمن المهدى . قال ابن عدى : لما أخذ ليضرب عنقه قال : وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام » (٢) .

وروى السيوطى أيضا : (قال الحاكم : وكمحمد بن سعيد الشامى المصلوب فى الزندقة ، فروى عن حميد عن أنس مرفوعاً : « أنا خاتم النبيين لانبى بعدى إلا أن يشاء الله ») وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة (٣)

وروى ابن أبى حاتم أن محمد بن سعيد الشامى هذا قتله أبوجعفر فى الزندقة وأنه كان يقول : إذا كان الكلام حسناً لم أر بأسا أن أجعل له إسناداً» (٤) .

---

(١) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين للسيوطى ص ٢٣٠ .

(٢) تدريب الراوى ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

(٤) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .

ومن الزنادقة بَيان البَّتَّان كان قد ظهر بالعراق بعد المئة وادعى لعنه الله - إلاهية على - وزعم مزاعم فاسدة منها زعمه بأنه يعرف الإسم الأعظم وأنه يهزم به العساكر ولما نما خبره إلى خالد بن عبدالله القسرى قتله وصلبه وأحرقه بالنار ، قال ابن قتيبة الدَّينَورى : وكان يقول : إلىَّ أشار الله إذ يقول : هذا بيانٌ للناس ،وهو أول من قال بخلق القرآن (١). وقد كثر الاختلاق ووضع الأحاديث فى بيئة العراق لاسيما الكوفة التى كان العرب يسمونها دار الضرب حيث كان يوضع بها الحديث كما تسك النقود (٢) .

ونستطيع أن نحصر أسباب الوضع فى الحديث عند جملة من كتب فى هذا الموضوع فى خمسة أسباب هى :

١ - الخصومة السياسية :

فالخصومة بين على وأبى بكر وبين على ومعاوية ، وبين عبدالله ابن الزبير وعبدالملك بن مروان ، ثم بين الأمويين والعباسيين ، كل هذه كانت سببا لوضع كثير من الأحاديث ، قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : «واعلم أن أصل الكذب فى حديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفة فى صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم » (٣) .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٥ ، ص ١٥٤ ، طبع مدينة ليدن ، عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ، ج ٥ من المجلد الثانى ، ص ١٤٨ س ٥ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٢) راجع كتاب خطوات التفسير البيانى . د . محمد رجب البيومى ص ١٠ .

(٣) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ج ٢١٢/١ .

وتلمح أحاديث كثيرة لاتكاد تشك وأنت تقرؤها أنها وضعت لتأيد الأمويين أو العباسيين أو الحط منهم ..... ويتصل بهذا النحو أحاديث وضعها الواضعون فى تفضيل القبائل العربية ذلك أن هذه القبائل كانت تتنازع الرياسة والفخر والشرف فوجدوا فى الأحاديث بابا يدخلون منه إلى المفاخرة . كالذى وجدوه فى الشعر ، نكم من الأحاديث وضعت فى فضل قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار والأشعريين (١).

كذلك وضع أعداء العرب من الفرس أحاديث تدل على حقدهم المستتر ضد جماعة العرب الفاتحين ، وروجوا لها عسى أن تشيع فتضعف نفوس المسلمين ، ومن ذلك ما رواه عمر بن موسى بن وجيه عن القاسم عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله عز وجل إذا غضب أنزل الوحى بالعربية وإذا رضى أنزل الوحى بالفارسية » (٢) فهذا حديث ظاهر الوضع ، وفى إسناده عمر بن موسى وهو فى عداد من يضع الحديث .

٢ ـ الزندقة :

الزنادقة قوم كانوا يُظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والإلحاد ، وقصدوا إلى إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها فى قلوب العوام ، كعبدالكريم ابن أبى العرجاء وكان خال معن بن زائدة ، وربيب حماد بن سلمة ، وكان يَدُسُّ الحديث فى كتب حماد ، فلما أُخِذَ ابن أبى العرجاء ليقتل قال : « والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال

---

(١) احمد امين ، فجر الإسلام ، ج١/٢١٢ .

(٢) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ، ١١١/١ .

وأحل الحرام ، ولقد فَطّرتكم في يوم صومكم وصَوّمتكم في يوم فطركم » (١) .

ورُوِى عن حماد بن زيد عن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدى يقول : « أقر عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث فهى تجول فى أيدى الناس » (٢) .

كما رُوِىَ عن حماد بن زيد أيضا أنه كان يقول : « وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر ألف حديث » (٣) .

وفى الاخبار أن هارون الرشيد أخذ زنديقا فأراد أن يقتله فقال الزنديق : « أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟! فقال له الرشيد : أين أنت ياعدو الله من أبى اسحاق الفزارى وابن المبارك ينخلانها نخلاً حرفا حرفا » (٤) .

٣ - الفرق الدينية :

حيث كان من هذه الفرق من يضع الحديث نصرة لمذهبه ، ففى الخبر عن ابن لهيعة أنه قال : « سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع وهو يقول إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا » (٥)

---

(١) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ٣٧/١ .

(٢) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ٣٨/١ .

(٣) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ٣٨/١ .

(٤) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، ج ١٥٢/١ .

(٥) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعا ت ٣٩/١ .

وعن حماد بن سلمة قال: « حدثني شيخ لهم - يعني الرافضة - قال: « كنا إذا اجتمعنا استحسنا شيئا جعلناه حديثا » (١) .

وروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : «يكون في آخر الزمان قوم يتزيون بالروافض يرفضون الإسلام ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون » (٢) .

وقالوا : من شتم هؤلاء - يعني الصحابة - فهو كافر ، ومن أبغضهم فهو رافضي . ويقال إن هارون الرشيد - رحمه الله - قتلهم بهذا الحديث . وقد قال عامر الشعبي : الرافضي مسلم الزنادقة ، فما رأيت رافضا إلا ورأيته زنديقا » (٣) .

ومن الفرق قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب ليحثوا الناس بزعمهم على الخير فقد جوَّزَت فرقة الكرامية - وهم قوم من المبتدعة نسبوا إلى محمد بن كرام السجستاني المتكلم - الوَضْعَ في الترغيب والترهيب ترغيبا للناس في الطاعة وترهيبا لهم عن المعصية ، واستدلوا بما روى في بعض طُرُقِ الحديث (من كذب على متعمدا ليضل به الناس » وحمل بعضهم (من كذب على) أي قال إنه شاعر أو مجنون ، وقال بعضهم : إنما نكذب له لا عليه (٤) .

وروى ابن الجوزي بسنده عن الحاكم أبي عبدالله النيسابوري عن محمد بن القاسم الطالكاني - وكان من رؤساء المرجئة - ممن يضع

---

(١) ابن الجوزي ، كتاب الموضوعات ٣٩/١ .

(٢) أبوالليث السمرقندي ، بستان العارفين ، ص ٨٥ .

(٣) أبوالليث السمرقندي ، بستان العارفين ، ص ٨٦ .

(٤) السيوطي : تدريب الراوي ، ج ٢٨٧١ .

الحديث على مذهبهم - ، أن المختار قال لرجل من أصحاب الحديث : ضع لى حديثا عن النبى ﷺ أنى كائن بعده خليفة ، وطالب له بترة ولده ، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم فقال الرجل : أما عن النبى ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة وأحطك من الثمن ماشئت ، قال : عن النبى ﷺ أوكد ، قال : والعذاب أشد » (١) .

وروى عن الطالكانى أيضا أنه قال : حدثنا سفيان الثورى عن أبى هارون عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « من زعم أن الإيمان يزيد وينقص فزيادته نفاق ، ونقصانه كفر ، فإن تابوا وإلا فاضربوا أعناقهم بالسيف أولئك أعداء الرحمن فارقوا دين الله وانتحلوا الكفر وخاصموا فى الله ، طهر الله الأرض منهم ، ألا فلا صلاة لهم ألا فلا صوم لهم ، ألا فلا زكاة لهم ، ألا ولا حج لهم ، ألا ولا دين لهم ، هم براء من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ برىء منهم » (٢) .

قال أبوحاتم : روى أهل خراسان عن محمد بن القاسم أشياء لايحل ذكرها فى الكتب (٣) .

وقيل للمأمون بن أحمد الهروى * : ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان ، فقال : حدثنا أحمد بن عبدالله حدثنا عبدالله بن معدان الأزدى عن أنس مرفوعا : « يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس ، أضر

---

(١) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات ، ص ٣٩ .

(٢) ، (٣) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات ، ج١/ ١٢٣ .

* مأمون بن أحمد السلمى الهروى : كان رجلا من الدجاجلة ، ظاهر أحواله مذهب الكرامية وباطنها مالايوقف على حقيقته ، قال أبوحاتم البستى : إنما ذكرته لأن الأحداث بخراسان قد كتبوا عنه ليعرف كذبه فى الحديث وتعمده فى الافك على اهل العلم . كتاب المجروحين ٣ / ٤٥ .

على أمتى من إبليس ، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبوحنيفة هو سراج أمتى هو سراج أمتى » (١) .

وهذا الحديث يفوح برائحة الوقيعة بين الشافعية والحنفية فى خراسان وكان له ولغيره من الأحاديث التى تشبهه كبير الأثر فى نشوب الحروب بين الشافعية والحنفية وغيرهم وإثارة القلاقل فيما بينهم ، ولقد اتفق لياقوت الحموى أن مرّ على مدينة الرى فرآها وهى خراب فسأل رجلا من عقلائها عن سبب خرابها فقال : « أما السبب فضعيف ولكن الله إذا أراد أمراً بلغه .. كان أهل المدينة ثلاث طوائف : شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر وشيعة وهم السواد الأعظم ... فوقعت العصبية بين السنة والشيعة ، وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف .. فلما أفنوهم ، وقعت العصبية بين الشافعية والحنفية ووقعت بينهم حروب كان الظفر فى جميعها للشافعية وكان أهل الرستاق وهم حنفية يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك ويساعدون أهل نحلتهم فلم يغنهم ذلك شيئا حتى أفنوهم » (٢) .

٤ - أصحاب الأغراض الشخصية :

فمنهم من قصد بالوضع التقرب إلى السلطان كغياث بن إبراهيم فإنه أدخل على المهدى وكان المهدى يحب الحمام إذا قدامه حمام فقيل له : حدِّثْ أمير المؤمنين فقال : حدثنا فلان عن فلان أن النبى ﷺ قال : «لاسبق إلاّ فى نَصْل أو خُفٍّ أو حافر أو جناح » فأمر له المهدى ببدرة ،

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ، ج ٢٧٧/١ - ٢٧٨ ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى ، طبعة ليبزج ، ج ٨٩٤/٤ .

فلما قام قال : أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ثم أمر بذبح الحمام (١) .

ومن أمثلة ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي قال : «كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكُتاب يبكى ، فقال : مالَك ؟! قال: ضربني المعلم ، قال : لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا ، معلمو صبيانكم شرارُكم أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين » (٢) .

ومنهم قوم وضعوا أحاديث ليطلبُوا ويسمع منهم ، قال أبوعبدالله الحاكم : « منهم إبراهيم بن اليسع وهو ابن أبى حبة كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركّب أحاديث هذا على ذاك لتستغرب تلك الأحاديث بتلك الأسانيد » (٣) .

٥ - قصد الخير مع الجهل بالدين :

ومن أمثلة ماوضع يراد به الخير للناس مارواه الحاكم بسنده إلى أبى عمار المروزى أنه قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم من أين ذلك ؟! عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟! فقال : « إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة » (٤) .

---

(١) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات ، ٤٢/١ .

(٢) السيوطى : تدريب الراوى ، ٢٧٧/١ .

(٣) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات ، ٤٣/١ .

(٤) السيوطى ، تدريب الراوى ، ٢٨٢/١ .

ومن ذلك أيضا أحاديث وضعوها بقصد الترغيب والترهيب ليحثوا الناس على الخير يزجروهم عن الشر وكأن الشريعة ناقصة فأرادوا أن يتموها . ونجد من ذلك أحاديث في فضائل السور ومنها ماروى عن أبيّ ابن كعب . قال : قال لى رسول الله ﷺ « يا أبيُّ من قرأ فاتحة الكتاب أعطى من الأجر .. فذكر سورة سورة وثواب تاليها إلى آخر القرآن » (١) وهو حديث موضوع لايناسب كلام الرسول ﷺ ففى اسناد هذا الحديث بديع بن حبان وهو منكر الحديث وعلى بن زيد بن جدعان وهو أيضا ليس بشيء .

وقد روى فى فضائل السور أيضا ميسرة بن عبدربه ، قال عبدالرحمن بن مهدى : « قلت لميسرة من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا قال : وضعته أرغب الناس فيه » (٢) .

وفى الخبر عن محمود بن غيلان أنه قال سمعت مؤملاً يقول : حدثنى شيخ بفضائل سور القرآن الذى يروى عن أبيّ بن كعب فقلت للشيخ :

- من حدثك ؟

فقال : حدثنى رجل بالمدائن وهو حي .

فصرت إليه فقلت : من حدثك ؟

فقال : حدثنى شيخ بواسط وهو حي .

فصرت إليه فقال : حدثنى شيخ بالبصرة .

فصرت إليه ، قال حدثنى شيخ بعبادان فصرت إليه فأخذ بيدى

---

(١) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ، ج ٢٣٩/١ .

(٢) ابن الجوزى ، كتاب الموضوعات ، ج ٢٤١/١ .

فأدخلنى بيتا فإذا فيه قوم من المتصوفة ومعهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ حدثنى ، فقلت : ياشيخ من حدثك ؟! فقال : لم يحدثنى أحد ، ولكنا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا وجوههم إلى القرآن » (١)

٦ - القُصّاص :

أول من قَصَّ عبيد بن عمير بن قتادة الليثى على عهد عمر بن الخطاب ، وهو من كبار التابعين وكان ابن عمر يجلس إليه ويقول : لله در ابن قتادة ماذا يأتى به !! قال العوام بن حوشب أنه رأى ابن عمر فى حلقة عبيد بن عمير يبكى (٢) ويروى « أنه دخل على عائشة فقالت : من هذا ؟ فقال : أنا عبيد بن عمير ، قالت : قاص أهل مكة قال : نعم ، قالت : خفِّف فإن الذكر ثقيل » (٣) . وكان يروى عن الصحابة عمر وعلى وأبىّ بن كعب وأبى موسى الأشعرى وأبى هريرة وغيرهم . وكان من الثقات من كبار التابعين .

أما القصاصون من بعده فقد ظهر منهم فريق اتخذها مهنة يرتزق منها ؛ ومنهم أدعياء العلم الذين أفسدوا الدين على الناس بجهلهم وكذبهم، وذاع أمرهم فى القرن الثالث الهجرى ذيوعا مخيفا فى التكسب والارتزاق فوضعوا الأحاديث رغبة منهم فى استمالة قلوب العامة إليهم والارتزاق ، ولعل من أطرف ماروى فى شأنهم ماحكاه أبوحاتم البستى

---

(١) ابن الجوزى : كتاب الموضوعات ، ج ١/ ٢٤١ .

(٢) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، ج٧/٧١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥/٣٤١ ، ٣٤٢ .

بإسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى ، وما حكاه أيضا ابن الجوزى بإسناده إلى إبراهيم بن عبدالواحد الطبرى قال : سمعت جعفر بن محمد الطيالسى يقول : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قصاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا عبدالرزاق قال : أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله ، يخلق من كل كلمة منها طير منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان . وأخذ فى قصة نحو عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ، ويحيى إلى أحمد ، فقال : أنت حدثت بهذا ، فقال : والله ماسمعت به قط الا الساعة . قال : فسكتوا جميعا حتى فرغ من قصصه وأخذ قطاعه ، ثم مد ينظر بقيتها ، فقال له يحيى بن معين بيده أن تعال ، فجاء متوهما لنوالٍ غيره ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . قال : أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ، ماسمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ ، فإن كان لابد والكذب فعلى غيرنا ، فقال له : أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم ، قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ماعلمته إلأ الساعة . فقال له يحيى وكيف علمت أنى أحمق ؟ قال : كأن ليس فى الدنيا يحيى وأحمد غيركما . كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا . قال : فوضع أحمد بن حنبل كمه على وجهه . وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما » (١) .

---

(١) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٨٥ .

٧ ـ المدلسـون :

ومنهم قوم استجازوا وضع الأسانيد لكل كلام حسن ، فقد روى ابن الجوزى بإسناد له عن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس إذا كان كلام حسن أن تضع له إسناداً » (١).

عن الدارقطنى عن أبى حاتم البستى أنه قال : دخلت بأجروان ـ مدينة بين الرقة وحران ـ فحضرت الجامع ، فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال : حدثنا أبوخليفة قال حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قضى لمسلم حاجته فعل الله به كذا وكذا » فلما فرغ من دعوته قلت : رأيت أبا خليفة قال : لا . قلت : كيف تروى عنه ولم تره فقال : إن المناقشة معنا من قلة المروءة انا أحفظ هذا الإسناد الواحد وكلما سمعت حديثا ضممته إلى هذا الإسناد(٢) .

أنواع الوضاعين والكذابين فى الحديث :

واستورى الشيطان زناد الفتنة ، وهاجت حمى وضع الأحاديث لفترة طويلة من الزمان ، واجترأ الناس على اختلاق الأحاديث ونسبوها إلى النبى الكريم ، وهو ماكان قد حذر منه من قبل .

ولقد عدد أبوحاتم البستى (٣٥٤ هـ) أنواع الوضاعين والكذابين المجروحين فبلغوا عشرين نوعا . نذكرهم ها هنا باختصار .

---

(١) ابن الجوزى ، الموضوعات ، ١/ ٤٢ .

(٢) ابن الجوزى ، الموضوعات ، ١/ ٤٧ .

وأمـا النوع الأول : فـهم الزنـادقـة ـ أعـداء الدين ـ الذيـن كـانوا يتشبهـون بأهل العلم ، ويضـعون الأحـاديث على العلماء فـيسـمع الثقات منهم أحاديث يؤدونها إلى من بعدهم .

لكـن العلمـــاء كـــانوا يحـــذرون الـناس مـنهم ... روى عـن إبراهـيم النخعى(١) أنه قال : إياكم والمغيرة بن سعيد ، وأبا عبدالرحيم (٢) فإنهما كذابان .

قال ابن نميـر (٣) مغيرة بن سـعيد هذا كان سـاحرا مشعـوذا ، وأما بيان (٤) فكان زنديقا ، قتلهما خالد بن عبدالله القسرى وأحرقهما بالنار.

وروى الليث بن سـعـد : قدم علينا شـيخ من الاسكنـدرية يروى عن نافع ،ـ ونافع يومئذ حى ـ قال فأتيناه فكتبنا عنه فنداقين عن نافع ، فلما خرج الشـيخ أرسلنا الفُنداقين (٥) إلى نافع فـما عرف منهـا حديثـا واحدا . فقال أصحابه : ينبغى أن يكون هذا من الشياطين الذين حبسوا .

النوع الثانى : من استـفزه الشـيطان حتى كان يضـع الحديث على الشيوخ الثقات فى الحث على الخير ، وذكر الفضائل والزجر عن المعاصى

---

(١) هو إبراهيم بن يـزيد بن قـيس النخـعى فـقـيه أهل الكوفة ومـفـتـيهـا هو والشـعـبى فى زمانـهمـا (ت ٩٦ هـ) . انظر طبقـات الحفـاظ للسيـوطى ص ٢٩ بتحـقيق علـى محمد عمر.

(٢) أبوعبدالرحيم كوفى زنديق ، ميزان الاعتدال للذهبى ، ١٦٠ ، ٤/٥٤٧ .

(٣) مـحمـد بن عبـدالله بن نمير الهـمدانى كـان من الحـفاظ المتـقنين وأهل الورع فى الدين . انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ، ص ١٩٢ .

(٤) بيان بن سمـعان الهندى من بنى تميم زنديق ظهر بالعراق بعد المائة وقـال بإلهية على . الميزان ١/٣٥٧ .

(٥) الفنداق : بضم الفاء صـحيفة الحسـاب . انظر القاموس ، باب القاف فصل الفاء .

متوهمين أن ذلك الفعل مما يؤجرون عليه .

ومثال ذلك ما أثر عن محمد بن عيسى الطباع (١) قال سمعت ابن مهدى (٢) يقول لميسرة بن عبدربه من أين جئت بهذه الأحاديث ؟ من قرأ كذا فله كذا ، قال : وضعتها أرغب الناس فيها .

النوع الثالث : ومنهم من كان يضع الحديث على الثقات استحلالا وجرأة على رسول الله ﷺ كأبى البخترى وهب بن وهب القاضى وسليمان بن عمرو النخعى والحسين بن علوان واسحاق بن نجيح الملطى وذويهم .

ومثاله مارواه محمد بن إدريس * ، كان أبونعيم ** يوما جالسا ، ورجل فى ناحية المجلس يقول : حدثنا أبونعيم قال ابن جريج : فنظر إليه أبونعيم وقال كذب الدجال ماسمعت من ابن جريج شيئا (٣) .

النوع الرابع : ومنهم من كان يضع الحديث عند الحوادث ، كغياث بن إبراهيم النخعى حيث أدخل على المهدى وقدامه حمام يلعب به فقيل لإبراهيم حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبى ﷺ قال:

---

(١) محمد بن عيسى بن نجيح البغدادى أبوجعفر الطباع كان متفقها (ت ٢٢٤ هـ) انظر ترجمته فى طبقات الحفاظ للسيوطى بتحقيق على محمد عمر ، ص ١٧٠- ١٧١ .

(٢) هو عبدالرحمن بن مهدى البصرى الحافظ إمام ثقة توفى (١٩٨م) بالبصرة ، انظر ترجمته فى طبقات الحفاظ للسيوطى بتحقيق على محمد عمر ، ص ١٣٩ .

* هو محمد بن إدريس بن المنذر ابوحاتم الرازى : أحد الأئمة الثقات (ت ٢٧٧ هـ) .

** هو الفضل بن دكين واسمه عمرو بن حماد الملائى أحد الأعلام (ت ٢١٨ هـ) . طبقات الحفاظ للسيوطى ، ص ١٥٩ ، بتحقيق على محمد عمر .

(٣) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

« لاسبق إلا فى نصل أو خف أو حافر أو جناح » (١) .

النوع الخامس : ومنهم من كتب وغلب عليه الصلاح والعبادة وغفل عن الحفظ والتمييز ، فإذا حدث رفع المرسل ، وأسند الموقوف ، وقلب الأسانيد (٢) .

وروى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : لم نجد الصالحين أكذب منهم فى الحديث .

النوع السادس : ومنهم جماعة ثقات اختلطوا فى أواخر أعمارهم حتى لم يكونوا يعقلون مايحدثون (٣) .

النوع السابع : ومنهم من كان يجيب عن كل شىء يسئل سواء كان ذلك من حديثه أو من غير حديثه (٤)

النوع الثامن : ومنهم من كان يكذب ولايعلم أنه يكذب إذ العلم لم يكن من صناعته .

روى عن يزيد بن هارون ، قال كان بواسط رجل يروى عن أنس بن مالك أحرفا ، ثم قيل إنه أخرج كتابا عن أنس فأتيناه فقلنا له : هل عندك سوى تلك الأحرف ؟ فقال نعم عندى كتاب عن أنس ، فقلنا : أخرجه إلينا، فأخرجه إلينا فنظرنا فيه ، فإذا هى أحاديث شريك بن عبدالله النخعى (ت١٩٧ هـ) ، فجعل يقول : حدثنا أنس بن مالك . فقلنا له : هذه

---

(١) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٢) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج١ ، ص ٦٧ .

(٣) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٤) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج١ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

أحاديث شريك فقال : صدقتم . حدثنا أنس بن مالك (ت ٩١ هـ) عن شريك، قال: فأفسد علينا تلك الأحرف التى سمعناها منه وقمنا عنه(١).

النوع التاسع : منهم من كان يحدث عن شيوخ لم يرهم بكتب صحاح فالكتب فى نفسها صحيحة إلا أن سماعه من أولئك الشيوخ لم يكن ولا رآهم (٢) .

النوع العاشر : ومنهم من كان يقلب الأخبار ، ويسوى الأسانيد(٣) .

النوع الحادى عشر : ومنهم جماعة رأوا شيوخا سمعوا منهم ، ثم ذكروا عنهم بعد موتهم بأحاديث لم يسمعوها منهم فحفظوها (٤).

النوع الثانى عشر : ومنهم من كتب الحديث ورحل فيه الا أن كتبه قد ذهبت ، فلما احتج إليه صار يحدث من كتب الناس من غير أن يحفظها كلها أو يكون له سماع فيها كابن لهيعة وذويه (٥)

النوع الثالث عشر : ومنهم من كثر خطؤه وفحش ، وكاد ان يقلب صوابه (٦) .

النوع الرابع عشر : ومنهم من امتحن بابن سوء أو وراق سوء ، كانوا يضعون له الحديث (٧) .

---

(١) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٠ ، ٧١ .
(٢) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧١ .
(٣) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٣ .
(٤) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٤ .
(٥) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج١ ، ص ٧٥ .
(٦) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٦ .
(٧) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٧ .

النوع الخامس عشر : ومنهم من أدخل عليه شيء من الحديث وهو لايدرى فلما تبين له لم يرجع عنه (١) .

النوع السادس عشر : ومنهم من سبق لسانه ، حتى حدث بالشيء الذى أخطأ فيه وهو لايعلم ، ثم تبين له وعلم فلم يرجع عنه وتمادى فى رواياته ذلك الخطأ بعد علمه (٢) .

النوع السابع عشر : ومنهم المعلن بالفسق (٣) .

النوع الثامن عشر : ومنهم المدلس عمن لم يره كالحجاج بن أرطأة وذويه ، كانوا يحدثون عمن لم يروه (٤) .

النوع التاسع عشر : ومنهم المبتدع إذا كان داعية يدعو الناس إلى بدعته حتى صار اماما يقتدى به فى بدعته ويرجع إليه فى ضلالته (٥) .

النوع العشرون : ومنهم القصاص والسؤّال الذين كانوا يضعون الحديث فى قصصهم ويروونها عن الثقات .

---

(١) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٨ .
(٢) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٨ .
(٣) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٧٩ .
(٤) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٨٠ .
(٥) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ، ج ١ ، ص ٨١ .

القضاء على ظاهرة الوضع

استعمال التاريخ :

تعقب علماء المسلمين من أهل الحديث روايات الوضاعين ففندوها ، واستخدموا لذلك سلاحا من أمضى الأسلحة وهو الإسناد ، فالإسناد يستلزم التاريخ ، والتاريخ يكشف عن مدى صحة الخبر أو بطلانه ، ولذلك كانوا يقولون « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » .

رُوِىَ عن حسان بن زيد قال : لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، يقال للشيخ : سنة كم ولدت ؟ فإذا أقر بمولده مع معرفتنا بوفاة الذى انتمى إليه عرفنا صدقه من كذبه (١) .

ولم يكونوا يتساهلون فى تحديد زمان ومكان لقاء الراوى بشيخه الذى يروى عنه ، كما كانوا يطلبون من الراوى أن يصف لهم الذى سمع منه حتى يتحققوا من صدق الخبر ، فبإضافة التاريخ إلى الوصف ينحسم أمر الصدق أو الكذب ، وهذا يبدو واضحاً فى سؤال سهيل بن ذكوان المكى وكنيته أبوالسندى فى روايته عن عائشة أم المؤمنين حين قالوا له : صف لنا عائشة فقال : كانت سوداء فقيل له إن النبى ﷺ يقول لها : ياحميراء ، فعلموا من وصفه كذبه (٢) ، وكان يقول إنه لقيها بواسط ، وهكذا يكون الكذب ! فموت عائشة كان قبل أن يخط الحجاج بن يوسف الثقفى مدينة واسط بدهر (٣) .

---

(١) السخاوى ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ٩ .

(٢) أبوحاتم البستى ، كتاب المجروحين ، ج١ ، ص ٣٤٩ .

(٣) السخاوى : الاعلان بالتوبيخ ، ص ٩ .

ونجد من الأخبار فى ذلك أيضا أن إسماعيل بن عياش بن سليم الحمصى (ت ١٨١هـ) وهو أعلم الناس بحديث أهل الشام ، سأل رجلاً كان يدّعى الرواية عن خالد بن معدان (ت ١٠٦ هـ) فقيه أهل الشام فى زمانه : أى سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال الرجل : « سنة ثلاث عشرة ومائة فقال إسماعيل للرجل : أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين !! » (١) .

ظهور الجرح والتعديل :

ولما كانت بيئة العراق مهد الخلاف الذى شهد الفتنة الكبرى بين على ومعاوية وشهد منشأ الفرق من شيعة وخوارج فإن الوضع والكذب إنما ظهر أيضا فى هذه البيئة ونما وترعرع بين أرجائها ، ولذلك لم يكن الإمام الزهرى ليأخذ عن علمائها ، وكذلك فعل تلميذه الإمام مالك بن أنس من بعده حين قال لأحد علماء أهل العراق : « لم يأخذ أولونا عن أوليكم كذلك لا يأخذ آخرونا عن آخريكم » .

وقدم الإمام مالك للناس موطأه الذى يمثل حديث أهل الحجاز وفقههم ووصفه الشافعى بأنه أصح كتاب على الأرض فى زمانه ، ووصف الشافعى أيضا حديث أهل الحجاز فقال : « إذا خرج الحديث من أرض الحجاز فقد ضعف نخاعه » يشير بذلك إلى أن الحديث الصحيح هو الذى يرويه أهل مدينة النبى ﷺ وأهل مكة .

إلا أن الذى يرجع إليه الفضل فى ضبط أحاديث أهل العراق ، وتحقيقها وتصحيحها هو الإمام العلم شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى

---

(١)

الذى قال فيه الشافعى : « لولا شعبة ماعرف الحديث بالعراق » (١) .

ولسوف نلاحظ أن رواية الحديث النبوى من بعد شعبة بن الحجاج قد صاحبها تيار علمى جديد ، صار من ألزم مايكون عند تحمل الحديث وأدائه فى ذلك العصر ومابعده من عصور ألا وهو مايتعلق بحال الراوى وأخباره من دواعى التوثيق والحسن ، أو التضعيف والنكارة وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بالجرح والتعديل . وربما وقع خلاف شديد بين العلماء فمن مؤيد له ومعارض له ، إلا أن ذلك قد سار فى الناس وأقبلوا على السؤال عن حال الراوى من وجوه شتى حتى يطمئنوا لسلامة حديثه وفى ذلك تفصيل عريض ليس هذا مجاله .

علماء الجرح والتعديل ونقد الحديث النبوى من الحفاظ :

وقد اشتهر فى النصف الأول من القرن الثانى اثنان فى نقد الحديث ومعرفة رجال الأسانيد هما عمرو بن عبدالله بن عبيد الهمدانى الكوفى ، أبواسحاق السبيعى (ت ١٢٦ هـ) وهو من صغار التابعين وقد أدرك خلقا كثيرا من الصحابة (٢) وأسند عن ثلاثة وعشرين منهم . وكان يشبه الزهرى فى كثرة الرواية واتساعه فى الرجال . والثانى سليمان بن مهران الأعمش الكوفى (ت ١٤٨ هـ) وقد أدرك جماعة من الصحابة وعاصرهم، وكان محدث أهل الكوفة فى زمانه ، قال ابن المدينى : حفظ العلم على أمة محمد ص بالكوفة أبواسحاق السبيعى ، والأعمش (٣). وقد ضعّف الأعمش جماعة ووثق آخرين .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٨٣ .
(٢) ابن الجوزى ، صفة الصفوة ، ج ٣/١٠٥ .
(٣) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٦٧ .

ثم جاء من بعدهما شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى أبو بسطام الواسطى (ت ١٦٠ هـ) وهو تلميذهما ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين وصار علماً يقتدى به ، وتبعه عليه بعده أهل العراق ، كما وصفه سفيان الثورى بقوله : « شعبة أمير المؤمنين فى الحديث » (١) وكان متثبتاً لايكاد يروى إلاَّ عن ثقة . ولما كان آخر عصر التابعين هو حدود خمسين ومائة تكلم فى شأن الرواة جماعة من علماء الحديث ونقاده من بعد شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) فعدلوا بعضهم وجرحوا بعضهم ، ليميزوا بين الروايات الصحيحة والروايات الضعيفة أو المنكرة . وقد أعدوا لذلك ألفاظاً تفيد درجات الصحة ودرجات الضعف . وعُرف هذا الفن فيما بعد بعلم الجرح والتعديل حيث بدأ فى أروقة المحدثين بالعراق لكى يضبطوا عن طريقه منهج القبول أو الرد لما يروى من الأحاديث ، فإذا غَلَبَ على رجال السند الضعف كان ضعيفاً وإذا غلب عليهم التوثيق كان صحيحاً ، وأعدوا لذلك ألفاظاً تعين على فهم وتقدير درجة الحديث من الصحة أو الضعف . ولم يكن كل الرواة على درجة واحدة فى تعيين درجة صحة الحديث ، بل النقاد وحدهم هم الذين استطاعوا ذلك ، وليس كل راوٍ ناقداً فالراوى ناقل لكن الناقد خبير ، ولاينبؤك مثل خبير .

وممن كان فى هذا * :

معمر بن راشد (١٥٣) وهشام الدستوائى (١٥٤) والأوزاعى (١٥٦) وسفيان الثورى (١٦١) وابن الماجشون (١٢٣) وحماد بن سلمة

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٦٧ .

* مستخلص من تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى .

(١٦٧) والليث بن سعد (١٧٥)

وبعد هؤلاء طبقة منهم :

ابن المبارك (١٨١) وهشيم بن بشير (١٨٨) وأبواسحاق الفزارى (١٨٥) والمعافى بن عمران الموصلى (١٨٥) وبشر بن المفضل (١٨٦) وسفيان بن عيينة (١٩٧) .

وقد كان فى زمانهم طبقة أخرى منهم :

ابن علية (١٩٣) وابن وهب (١٩٧) ووكيع بن الجراح (١٩٧) .

وقد انتدب فى ذلك الزمان لنقد الرجال الحافظان الحجتان يحيى بن سعيد القطان (١٨٩) وعبدالرحمن بن مهدى (١٩٨) . وكان للناس بهما وثوق (١) فصار من وثقاه مقبولا ومن جرحاه مجروحا ، ومن اختلفا فيه - ذلك قليل - رجع الناس فيه إلى ماترجح عندهم .

ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع إليهم فى ذلك منهم :

يزيد بن هارون (٢٠٦) وأبوداود الطيالسى (٢٠٤) وعبدالرزاق بن همام (٢١١) وأبوعاصم الضحاك النبيل ابن مخلد (٢١٢) ، وعمرو بن على الفلاس (٢١١) .

ثم صنفت الكتب فى الجرح والتعديل والعلل ، وبينت فيها أحوال الرواة ، وكان رؤساء الجرح والتعديل فى ذلك الوقت جماعة منهم يحيى بن معين (٢٣٣) وقد اختلفت آراؤه وعبارته فى بعض الرجال كما تختلف آراء الفقيه النحرير وعبارته فى بعض المسائل التى لاتكاد تخلص من أشكال . ومن طبقته أحمد بن حنبل (٢٤١) وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم بما بدا له ، ولم يخرج بهم عن

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ، ج ١١ ، ص ٢١٧ ، ترجمة رقم ٣٥٨ .

دائرة الاعتدال وقد تكلم فى هذا الأمر محمد بن سعد (٢٣٠) كاتب الواقدى فى طبقاته ، وكلامه جيد معقول ، وأبوخيثمة زهير بن حرب (٢٣٤) وله فى ذلك كلام كثير ، وعلى بن المدينى (٢٣٤) وله التصانيف الكثيرة فى العلل والرجال ، ومحمد بن عبدالله بن نمير (٢٣٤) الذى قال فيه أحمد : « هو درة العراق » ، وأبوبكر بن أبى شيبة (٢٣٥) صاحب المسند وكان آية فى الحفظ ، وعبيد الله بن عمر القواريرى (٢٣٥) ، واسحاق بن راهويه (٢٣٧) إمام خراسان ، وأبوجعفر محمد بن عمار الموصلى (٢٤٢) الحافظ وله كلام جيد فى الجرح والتعديل ، وأحمد بن صالح (٢٤٨) حافظ مصر وكان قليل المثل ، وهارون بن عبدالله الحمال (٢٤٣) وعمرو بن على بن بحر الفلاس (ت ٢٤٩) وكان أوثق من على ابن المدينى . وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل .

ثم خلفتهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم : إسحاق الكوسج (٢٥١) والبخارى (٢٥٦) والعجلى (٢٦١) ثم أبوحاتم الرازى (ت ٢٧٧) وأبوزرعة الرازى (٢٦١) وأحمد بن أبى خيثمة صاحب التاريخ الكبير الذى أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل وابن معين (ت ٢٧٩) ، وإبراهيم بن اسحاق الحربى (٢٨٥) ، وعبدالله بن أحمد (٢٩٠) ، وأبوبكر البزاز (٢٩٢) ، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبه (٢٩٧) ، وأحمد بن شعيب بن على النسائى (ت٣٠٣) وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، قال الذهبى : هو أحفظ من مسلم بن الحجاج (١) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٣٠٣ .



البلاد التى تميزت بنقد الحديث فى ذلك الزمان :

هذا ، وقد حفل القرن الثالث الهجرى بالأئمة نقاد الحديث الذين استطاعوا أن يطهروا السنة مما شابها من أوضار الوضاعين والكذابين والمدلسين ، فنبهوا على كل حديث به علة أو كان به ضعف . وكان قد تميز قوم فى كل بلد من بلاد الأمة الإسلامية فى ذلك الزمان وعرفوا بالنقد وغزارة العلم فى فنون الحديث وإليهم ترجع العهدة فى تصحيح الأحاديث فى بلادهم ففى بيئة العراق تميزت بغداد والبصرة والكوفة ، **أما بغداد** فكان الإمام أحمد بن حنبل شمس سماء المحدثين فيها ومن كبار الأئمة الحفاظ حماة الدين وأعضاد الملة ومن أحبار هذه الأمة (ت٢٤١) قال أبوعبيد القاسم بن سلام : « انتهى علم الحديث إلى أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى ويحيى بن معين ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وكان أحمد أفقههم فيه ، وكان على أعلمهم به ، وكان يحيى أجمعهم له وكان أبوبكر أحفظهم له » (١) . وكانت بغداد فى هذا القرن أحفل ماتكون بالناس وبالعلماء وبالتجار أهل الثراء ومحبى العلم والعلماء ، وما من محدث يريد أن يعلم ذكره وأن يعرفه الناس إلا ولابد له من زيارة بغداد للقاء يحيى بن معين وأحمد بن حنبل لأجل أن يكون معتمدا فى سجل المحدثين . وكان كل منهما يقوم بامتحان المحدثين وإعطاء كل محدث درجته من القوة أو الضعف ، قال عبيد الله القواريرى (ت ٢٣٥) : قال لى يحيى القطان : « ماقدم علينا مثل هذين الرجلين ، أحمد بن حنبل ويحيى بن معين » (٢) ، وكان القطان من سادات أهل زمانه وهو الذى

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨٧ .

(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨٥ .

مهد لأهل العراق رسم الحديث (ت ١٩٨) (١) .

وأما البصرة ؛ فكان زين أعلامها الإمام العلم على بن عبدالله بن المدينى (ت ٢٣٤) قال أبوحاتم : « كان علماً فى معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد - بن حنبل - لايسميه تبجيلا له إنما كان يكنيه » (٢) وابن المدينى كان أستاذ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والبخارى فى علم علل الحديث النبوى .

وأما الكوفة : فكان بها فى زمانهم أبوبكر بن أبى شيبة عبدالله ابن محمد بن إبراهيم العبسى الكوفى (ت ٢٣٥) ؛ قال أبوعبيد القاسم بن سلام : « ربانيو الحديث أربعة ، فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل ، وأحسنهم سياقا للحديث وأداء له على بن المدينى ، وأحسنهم وضعا لكتاب ابن أبى شيبة ، وأعلمهم بصحيح الحديث من سقيمه يحيى ابن معين » (٣) .

كما تميزت مدينة « الرى » بإقليم الجبال بنقد الحديث أيضا لوجود العالمين الجليلين أبى حاتم الرازى وأبى زرعة الرازى اللذين طبقت شهرتهما الآفاق فى نقد الحديث النبوى وتمييز الحديث الصحيح من الحديث الضعيف والموضوع وكانا من نظراء الإمام البخارى الذى كان يعتلى عرش التحديث ببلاد ماوراء النهر ، كما نشأ تحت ظل رعاية أبى حاتم وأبى زرعة العالم الجليل ابن أبى حاتم الذى جمع علم أبيه وأبى زرعة وعلم البخارى فى كتاب « الجرح والتعديل » الذى يعتبر أقدم وثيقة بين

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٢٥ .

(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨٤ .

(٣) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨٥ .

أيدينا جامعة لأسماء الرواة حتى عصره مع إثبات درجة التوثيق أو التضعيف لكل راو من الرواة ، ويرجع الفضل الكبير لكل هؤلاء الأئمة فى تطهير خراسان من الأحاديث الموضوعة وتمكين العلم الصحيح بها ، ومما يروى فى ذلك عن عبدالله بن محمد بن وهب الحافظ العلامة الجوّال (ت ٣٠٨) قوله : حضرت أبا زرعة وخراسانى يلقى عليه الموضوعات ، وأبوزرعة يقول : باطل ، والرجل يضحك ويقول : كل مالا يحفظه يقول باطل ، فقلت : ياهذا مامذهبك؟ فقال : حنفى ، قلت : ما أسند أبوحنيفة عن حماد؟ فوقف . قلت يا أبا زرعة : ماتحفظ لأبى حنيفة عن حماد؟ فسرد أحاديث . فقلت للعلج ألا تستحى ؟ تقصد إمام المسلمين بالموضوعات وأنت لاتحفظ حديثا لإمامك ؟ فأعجب ذلك أبازرعة وقبّلنى » (١) .

وفى إقليم خراسان فى نيسابور نجد إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٧) أستاذ البخارى ، ثم الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٦١) . قال أحمد ابن سلمة : رأيت أبازرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما (٢) .

وفى سجستان كان أبوداود السجستانى سليمان بن الأشعث الأزدى (ت ٢٧٥) حافظها وناقدها ، قال إبراهيم الحربى « ألين الحديث لأبى داود كما ألين لداود الحديد » (٣) .

وفى بلاد ماوراء النهر فى بخارى نجد محمد بن إسماعيل البخارى

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢١٧ .
(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٦٠ .
(٣) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٦٢ .

(ت ٢٥٦) قطب زمانه ودرة المحدثين النقاد الذى جمع علم على بن المدينى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وما وصله من علوم الطبقة التى فوقه من كبار تبع الأتباع حتى كان الغاية فى بلوغ الصحيح من الأحاديث وصار كتابه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

وفى سمرقند الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندى الدارمى ؛ (ت ٢٥٥) إمام أهل زمانه ، قال بندار محدث الكوفة : حفاظ الدنيا أربعة ؛ أبوزرعة بالرى ، ومسلم بنيسابور ، والدارمى بسمرقند ، والبخارى ببخارى (١)

وفى مدينة الترمذ نجد الإمام الترمذى أبا عيسى يعتلى عرش التحديث ببلاد ماوراء النهر بعد وفاة أستاذه محمد بن إسماعيل البخارى.

وفى مصر نجد النسائى وكان من الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين الناقدين .

هكذا تصدى الأئمة من علماء المسلمين لتمحيص الحديث النبوى ولقد ذكرنا منهم طائفة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى لنبين مدى تعقبهم لكل دخيل وأنهم كانوا بالمرصاد لكل من تسول له نفسه الدس على السنة أو الكذب على رسول الله ﷺ حتى ميزوا السنة الصحيحة من الدخيل عليها .

لقد كان الوضع فى حد ذاته بلاءاً محموداً من الله ليظهر به فضل

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٤٩ .

هذه الأمة على سائر الأمم لأنها استطاعت أن تحافظ على كل ما أثر عن النبى ﷺ وتجله وترفع من شأنه وتدافع عنه ضد المبطلين ، وهو أمر لم تسعد به أمة مثل أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومع نهاية القرن الثالث الهجرى نكون قد وصلنا إلى تدوين جميع ما أثر من حديث رسول الله ﷺ، فى الكتب مع تمييز الصحيح والتنبيه على الضعيف والمنكر أمّا الأحاديث الموضوعة فقد طرحوها جميعها باستخدام سلاح الإسناد وينقد متن الحديث وربما توجد أفراد قلائل منها لكنها لاترقى إلى حد الخبر المقبول فهى مصنفة فى الخبر المردود ، وقد ارتضت الأمة مما أُلّف من تلك المصنفات فى كتب الحديث الصحيحين باعتبارهما أصح كتابين فى الوجود بعد كتاب الله تعالى ، ثم السنن الأربعة بالإضافة إلى الموطأ ومسند أحمد بن حنبل إلا القليل مما عليه اختلاف فيه .

وهناك العديد من الكتب الصحيحة الأخرى لكن ماذكرناه هو المشهور ، فضلاً عن كون أغلب مافى تلك الكتب مذكوراً فى الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد .

ومانكرناه يعد غيضاً من فيض فى ملحمة الكتابة والجمع والدراسة واجتهاد أئمة المسلمين فى مجال توثيق الحديث النبوى .

***

الفصـــل الرابـــع
كتابـــة الحديـــث النبـــوي
فى القـرن الثالـث الهجـرى

وفيه :

- ذيوع مجالس التحديث وعلو منزلة أهل الحديث .
- إقبال منقطع النظير فى تدوين الحديث النبوى .
- بعض أعلام المصنفين فى القرن الثالث .
  * من طبقة كبار تبع أتباع التابعين .
  * من الطبقة الوسطى من تبع الأتباع .
  * من الطبقة الصغرى من تبع الأتباع .
- الأخذ بمبدأ الحفظ مع الكتاب .

أولا ـ الذاكرة :

- التفاوت فى رتب الحفظ .
- صورة امتحان .

ثانيا ـ الكتاب :

- الأسباب التى شجعت على ظهور الكتب وكثرة التصنيف :
  * تصريح النبى ﷺ فى آخر أيامه بكتابة أحاديثه .
  * الأمر السلطانى الذى أصدره الخليفة عمر بن عبدالعزيز .
  * وجود كبار الحفاظ الذين يراجعون الكتب .
  * وضوح منهج الكتابة .
  * دخول الأعاجم فى الإسلام .
  * غيرة العرب على التراث النبوى .
  * نمو صناعة الورق .
  * ارتقاء فن الكتابة .
- نقد الحديث النبوى وظهور الكتب الستة .
- الانتهاء من الجمع والتدوين .
- تاريخ الاعتراف بالكتب الستة .

ذيوع مجالس التحديث والإملاء وعلو منزلة أهل الحديث :

يمثل القرن الثالث الهجرى عصر طبقة صغار أتباع التابعين وطبقة كبار تبع أتباع التابعين فمن بعدهم ، أولئك الذين ورثوا العلم النبوى حفظا وكتابة عن التابعين وتابعيهم ، مع اعتبار أنهم كانوا يرون هذه المرة أن الكتابة لاغنى عنها لمن أراد تحصيل العلم ، وليس معنى ذلك أنهم أهملوا الحفظ بل أن علماء هذه الفترة قد كثروا كثرة عظيمة وانتشروا فى البلاد المفتوحة واجتهدوا فى تحصيل الحديث النبوى حفظا من الطبقة السابقة طبقة أتباع التابعين واجتهدوا فى تدوين حفظهم فى الكتب والمصنفات ، كما تعلموا منهم أنه لكى يكون الحفظ قويا نقيا فإنه يتحتم تطهير مسالكه وتنظيف مستقره وهو القلب فاعتنوا بتطهير قلوبهم وتزكية نفوسهم لاستقبال كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه فى صدورهم وضربوا فى ذلك الأمثلة العليا وساروا على هدى من قبلهم وقد تعلموا منهم الحكمة ومنها قول الشعبى علامة التابعين : « إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك والعقل ، فإن كان عاقلاً بلا نسك قيل : لاينالـه ، وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل : هذا أمر لاينالـه إلا العقلاء»(١) .

فالنسك والزهد والتقوى عوامل تطهير القلب ، ولهذا نجد الأكابر من علماء هذه الفترة أخذوا أنفسهم بألوان من العبادات والاجتهادات حتى يطهروا قلوبهم من كل شىء عدا ذكر الله وقول رسوله ﷺ ، كما علموا أن الزهرى كان يقول : « إنى لأمر بالبقيع ، فأسدُّ أذنى مخافة أن يدخل فيها شىء من الخنا فوالله مادخل أذنى شىء قط فنسيته» (٢) .

---

(١) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) ابن عبدالبر القرطبى ، جامع بان العلم وفضله ، ج ٦٩/١ .

وعلى هدى التابعين وأتباع التابعين سار جيل تبع الأتباع فطهروا نفوسهم لحفظ العلم ، يُروى عن أبى زرعة الرازى (ت ٢٦٤) قال : ماسمعت أذناى شيئا من العلم إلاّ وعاه قلبى ، وإنى كنت أمشى فى سوق بغداد فاسمع من العزف صوت المغنيات فأضع أصبعى فى أذنى مخافة أن يعيه قلبى » (١) . إلى هذا الحد كانت منافذ الحفظ والعلم وهى السمع والبصر والفؤاد نظيفة جاهزة لاستقبال المعلومات لنقشها فى القلب فلا تضيع ولاتهتز !! .

وتدل الروايات الكثيرة المذكورة فى بطون الأسفار فى شأن اجتهادات الحفاظ فى العبادة على أن هؤلاء القوم كأنهم لم يخلقوا إلاّ لحفظ سنة رسول الله ﷺ وصيانتها من التحريف أو الضياع .

ويعجب المرء كثيرا حين يطلع على الأخبار والمنقولات فى شأن الحفاظ المبرزين من سلفنا الصالح الذين جعلوا حفظهم للحديث والعمل به شغلهم الشاغل حتى جرى فى نفوسهم مجرى الدم فى الجسد . وضربوا فى ذلك أروع الأمثلة . وبلغ علماء الحديث من نفوس الناس المنزلة العليا حتى أن بعض الخلفاء من بنى العباس كانوا يتمنون أن لو كانوا من أهل الحديث لما كانوا يرونه من حفاوة صادقة من الجماهير فى كل مكان يذهب إليه المحدثون ، ولمكانتهم السامية فى نفوس الناس واطمئنان قلوبهم بالعبادة والنُّسك .

روى محمد بن سلام الجمحى قال : قيل للمنصور هل بقى من لذات الدنيا شىء لم تنله ؟ قال : بقيت خصلة ، أن أقعد فى مصطبة وحولى أصحاب الحديث ، فيقول المستملى : من ذَكَرْتَ رحمك الله؟ ،

---

(١) الخطيب البغدادى ، تاريخ الخطيب ، ج ٣٣١/١٠ .

قال: فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر فقال : لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم ، المتشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم بردُ الآفاق ، ونقلة الحديث » (١) .

وعن النضر بن شميل قال ؛ سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول ما أشتهى من لذات الدنيا إلا أن يجتمع أصحاب الحديث عندى ويجىء المستملى فيقول : من ذكرت أصلحك الله » (٢) .

كذلك كان هارون الرشيد ـ والد المأمون ـ يتمناها لنفسه . فقد روى عن يحيى بن أكثم أنه قال : قال لى الرشيد : ما أنبل المراتب ؟ ، قلت ما أنت فيه يا أمير المومنين . قال : فتعرف أجل منى ؟ قلت : لا . قال : لكنى أعرفه ، رجل يقول فى حلقة حدثنا فلان عن فلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : يا أمير المؤمنين . هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى عهد المسلمين ؟! قال : نعم ، وَيْلَكَ هذا خير منى لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لايموت أبداً نحن نموت ونفنى والعلماء باقون مابقى الدهر .

ولما قدم هارون الرشيد الرقة أشرفت أم ولد لهارون من قصر من خشب فرأت الغبرةَ قد ارتفعت والمقال قد تقطع وانجفل الناس فقالت : «ماهذا ؟ قالوا : عالِم من خراسان يُقال له عبدالله بن المبارك فقالت هذا والله الملك لاملك هارون الذى لايحمده الناس إلا بالسوط والخشب »(٣) .

---

(١) أدب الاملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ١٩ ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ط الأولى ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م .

(٢) أدب الاملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ١٩ .

(٣) أدب الاملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ٢٢ وانظر أيضا تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١٥٦/١٠ .

ورُوى أيضا عن يحيى بن أكثم القاضى أنه قال : قال لى المأمون يوما « يايحيى إنى أريد أن أحدّث ، فقلت : ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين ؟! فقال : ضعوا لى منبرا بالحلبة فصعد وحدّث فأول حديث حدثناه عن هُشيم عن أبى الجهم عنِ الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار» ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا ثم نزل . فقال : يايحيى كيف مجلسنا ؟ قلت : أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاصة والعامة . فقال : يايحيى وحياتك مارأيت لكم حلاوة إنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر - يعنى أصحاب الحديث » (١) .

إقبال منقطع النظير فى تدوين الحديث النبوى :

لم ينقل لنا التاريخ من أنباء الأمم ولاوصف لنا التاريخ مظهرا من مظاهر توقير العلم والعلماء كما وصف المجالس العلمية فى مساجد الحواضر الإسلامية مدى ثلاثة أو أربعة قرون من الزمان وعلى رقعة عريضة من الأرض لأعظم دولة حكمت وبسطت الأمن والأمان لرعاياها كالأمة الإسلامية .

ومن يطالع التاريخ الإسلامى بعد البعثة المحمدية إلى القرن الرابع الهجرى يلفت انتباهه تلك المجامع العلمية المنشطة سواء فى الشرق من الدولة الإسلامية الكبرى أم فى الغرب منها فى شتى العلوم ، ولسوف يلفت انتباهه أيضا أن أكبر هذه المجامع كانت لأهل الحديث النبوى وحفاظه .

---

(١) أدب الاملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ٢١ ، ٢٢ .

يُروى عن عمر بن حفص قال : « وجه الخليفة المعتصم ممن يحرز مجلس العالِم عاصم بن على بن عاصم (ت ٢٢١) فى رحبة النخل التى فى جامع الرصافة ، .... وكان عاصم بن على يجلس على سطح المسقطات وينتشر الناس فى الرحبة وماليها فيعظم الجمع جدا حتى سمعته يوما يقول ثنا الليث به سعد ويستعاد فأعاد أربع عشرة مرة والناس لايسمعون ، قال : فكان هارون المستملى يركب نخلة معوجة ويستملى عليها فبلغ المعتصم كثرة الجمع فأمر بحرزهم فوجه بقطاعى الغنم فحزروا المجلس عشرين ومائة ألف » (١) .

ورُوى عن محمد بن أحمد بن خالد أنه قال : « لم يكن بالبصرة مجلس أكثر من مجلس عمرو بن مرزوق (٢) كان فيه عشرة آلاف رجل؛ قال ابن عدى وقد كنا نشهد مجلس الفريابى وفيه عشرة آلاف أو أكثر » (٣) .

ورُوى عن أبى الفضل الزهرى قال : « لما سمعت من جعفر الفريابى(٤) رحمه الله كان فى مجلسه من أصحاب المحابر من يكتب حدود عشرة آلاف إنسان مابقى منهم غيرى سوى من كان لايكتب»(٥).

---

(١) السمعانى ، أدب الإملاء ، ص ١٦ + ١٧ ، الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ٢٤٨/١٢ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ٤٨/٢ .

(٢) هو عمرو بن مرزوق الباهلى البصرى ؛ كان ثقة من العباد كثير الحديث . انظر تهذيب التهذيب ٩٩/٨ ، ١٠٠، ١٠١ .

(٣) أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ١٧ .

(٤) هو جعفر بن محمد بن الحسن التركى الفريابى قاضى الدينور ، وصاحب التصانيف ، وكان من أوعية العلم .. طوف شرقا وغربا (ت ٣٠١ هـ) .

(٥) أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ١٧ ، وروى السمعانى أيضا بسنده عن عمر ابن محمد بن على الزيات أنه قال : لما ورد أبوبكر جعفر بن محمد الفريابى إلى بغداد استقبل بالطيّارات والزبازب ووعد له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه =

ولما دخل محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦) مدينة البصرة نادى مناد يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخارى ، فقاموا فى ظلبه .. فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم إلى ذلك فقام المنادى ثانيا فنادى فى جامع البصرة قد قدم أبوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فقد أجاب بأن يجلس غدا فى موضع كذا . فلما كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفا .. » (١).

كذلك فإن محمد بن اسماعيل البخارى كان يجله أهل العراق ، ويرفعون من قدره ، رُوى أنه فى قدمته الأخيرة تلقاه الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره فقيل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم له فقال : « فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة » (٢) .

وكتب له أهل بغداد :

المسلمون بخير مابقيت لهم ... وليس بعدك خَيْرٌ حين تُفتقد (٣).

ورُوى عن أبى على صالح بن محمد البغدادى أنه قال : كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملى له ، ويجتمع فى مجلسه أكثر من عشرين ألفا (٤) .

= فاجتمع الناس فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين ألفا وكان المستملون ثلثمائة وستة عشر ، ص ١٧ ، ص ١٨ ـ وقارن كذلك الذهبى فى التذكرة ٦٩٢/٢ .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ج ٢ ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٣) تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٤) أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ، ص ١٧ .

أما قاضى مكة أبو أيوب سليمان بن حرب الأزدى الواشحى (ت٢٢٤) فقد حضر مجلسه ببغداد الخليفة المأمون من وراء ستر ، وقد حزر عدد الذين حضروا بأربعين ألفا » (١) .

وإلى جانب حلقات الحديث كان هناك أيضا حلقات اللغة والتفسير القرآنى والفقه ، ومن أمتع المجالس التى كانت تجمع بين كل ذلك مجلس الفراء يحيى بن زياد بن زكريا الكوفى (ت ٢٠٧) وهو أجل أصحاب الكسائى ، « كان نسيج وحده فى النحو وبحرا فى اللغة ، وفى الفقه عارفا باختلاف القوم ، وفى الطب خبيرا ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا ، وحين صنف الفراء للمأمون كتاب المعانى اجتمع لإملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضياً » (٢) .

وجمهرة عظيمة من العلماء والفقهاء وأولى الحفظ من حملة الحديث النبوى يضيق المقام عن ذكرهم ؛ وَسِعتْهم كتب التراجم والمصنفات العديدة فى التواريخ والبلدان وغيرها ، بحيث يخيل للإنسان كما لو كان الناس ليس لديهم من عمل إلا تحصيل العلوم التى تخدم الدين ، وعمت الثقافة الإسلامية بقاع الأرض الممتدة من مشارف الصين فى الشرق الأقصى إلى بلاد المغرب ، وخرجت القوافل من بلاد ماوراء النهر وخوارزم وخراسان وبلاد الجبال سعيا فى طلب العلم ومن بلاد اليمن والبحرين وإفريقية ومعظم البلاد التى فتحها المسلمون لامتاع الأسماع بما قال الله وماقال الرسول قاصدين بلاد الحجاز حيث الحرمين الشريفين ، والعراق حيث الكوفة والبصرة وبغداد وسامرا ، وقل بلد من

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ، ج ٢ ، ص ١٩ .

البلاد أو مدينة من المدن أو قرية من القرى إلاَّ وقد أصابها وابل من ذلك العلم الجليل وإن لم يكن وابل فطل .

وتميزت مدن بعينها تفرقت فى الأقطار ازدهرت بها رواية الحديث زمنا بحيث صارت مقصدا لطلاب الحديث ورواته لما حفلت به من علماء الحديث وفقهائه . مثل مدينة بغداد والبصرة والكوفة ، وواسط وسامرا بالعراق ، ودمشق وبيت المقدس وحمص بالشام ، ثم مصر ، ثم الأندلس والقيروان باقليم المغرب ، ثم الدنيور وهمذان والرى وأصبهان ونيسابور وبلخ ومرو وقزوين بخراسان ، وترمذ وبخارى وسمرقند ببلاد ماوراء النهر .

بعض أعلام المصنفين فى القرن الثالث :

يوصف هذا القرن بأنه العصر الذهبى لتدوين ونقد الحديث النبوى حيث اتجهت فيه همم العلماء إلى تمييز الحديث النبوى المرفوع عن أخبار الصحابة والتابعين وفتاواهم وأقوالهم ، كما تعرض بعض فقهاء الحديث إلى تمييز الحديث الصحيح المرفوع من غيره المشكوك فى صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ ، وتعرضوا للأسانيد وكشفوا عن ضعفها وعللها ، ونقدوا المتون وبينوا الشاذ منها والمنكر فكان هذا العصر عصر التمييز العام لكل ماله علاقة بالحديث النبوى .

ولقد حفل هذا القرن بالمدققين والجامعين والمؤلفين ، ونما فيه علم الحديث نموا ملحوظا ساعد على تطهير السنة مما شابها من أوضار المدلسين والكذابين ، وتعددت فيه التصانيف والتأليف .

وقد ازدان هذا العصر أيضاً بكثير من حملة الشريعة والأدب ، منهم

يحيى بن أكثم ، وأبومحمد اليزيدى والحسن بن زياد وأبوداود الطيالسى وأبوعُبيد القاسم بن سلام ، وابن الأعرابى ، والنضر بن شميل وأبوعمرو الشيبانى ، ومحمد بن عمر الواقدى ، وأبوعبيدة ، والفراء ، والأخفش ، والأصمعى ، والشافعى وابن سعد ، وابن حنبل ، والجاحظ ، والقواريرى وقتيبة ، وسعدويه والواسطى ، وابن الجعد ، وابن عُلَيَّة الأكبر، وأبونصر التمار ، وأبومَعْمَر القطيعى ، وأبوالعوام البزاز ، وابن شجاع ، وبشر المريسى ، وبشر بن الوليد وسجَّادة ، ومحمد بن نوح وأبوهارون بن البكاء وأبوالهذيل محمد بن الهذيل ، وأبوزكريا المرى ، ومحمد بن مبشر .. إلى مئات غيرهم ، كانوا فخر الدولة وعنوان نبوغ الأمة . أما الشعراء والكتاب فكانوا طبقة عالية كثيرة العدد كالحصى ، جيدة المنحى والأسلوب ، تغلب الرقة والجزالة على أهل هاتين الصناعتين تأثروا كلهم بالحضارة الجديدة ، حتى غدا الشعر المدنى البديع ظاهر الاختلاف عن الشعر الجاهلى ، بعيداً عن وصف الأطلال والدمن والركاب، وطلب الثأر والمفاخرات الفارغة . هذا وكان الجمهور يشارك الأدباء فى فهم الشعر ، وقَدَرَ الخطب والرسائل قدرها ، فلم يكن الشعراء فى واد والأمة فى آخر، بل كان الشاعر أو الكاتب ، إذا قَرَضَ شعرا أو حبَّر خطابا ، تناقلته الأيدى فى الحال ، وتعاوره الرواة فيفشو فى الأمصار ، وهذا ماكان يزيد فى طلاوة أدب الأديب وشعر الشاعر وخطبة الخطيب ويحثه على تجويد مقاله (١) .

ومن مظاهر الرقى العلمى الذى تميز به هذا القرن تلك المناظرات

---

(١) عصر المأمون ، أحمد فريد رفاعى ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

العلمية التى كانت تجرى بين العلماء ، ومنها ماكان يتم بين يدى الخليفة المأمون الذى كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفة فيسمع من كلٍّ رأيه وحجته ثم يفصل فى أوجه الخلاف على ضوء هذه الحجج .

جمع المأمون يوما بين العتابى * وأبى قرة النصرانى فقال لهما تناظرا وأوجزا ، فقال العتابى لأبى قرة : أسأل أم تسأل ؟ فقال : سلنى . قال : « ماتقول فى المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتابى: إن (مِنْ) تجىء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزُّء ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة فهل عندك خامسة ؟ قال : لا ، ولكنى لو قلت واحدة من هذه ماكنت تقول فيها ؟ فقال : إن قلت إنه كالبعض من الكل جزأته والبارى لايتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعا إلى مالا نهاية ، وهذا لايجوز على البارى عز وجل ، وإن قلت : إنه على سبيل الاستحالة أوجبت فسادا والبارى لايستحيل ولاينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت إنه كالخلق من الخالق كان قولا حقا ، وهو الحق الذى لاشك فيه » (١) .

ومن طريف مايروى فى هذا الشأن أن رجلا من الشعراء سأل رجلاً من المتكلمين بين يدى المأمون فقال : ماسنُّك؟ قال : عَظْمٌ ، قال لم أرد هذا، ولكن كم تعد؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأزيد . قال لم أرد هذا

---

* هو كلثوم بن عمرو العتابى الشاعر صحب طاهر بن الحسين القائد أيام الخليفة المأمون انظر ترجمته فى معجم الأدباء ٢٦/١٧ .

(١) ابن عبدالبر : بهجة المجالس وأنس المجالس ١٠٦/١

ولكن كم أتى عليك؟ قال : لو أتى على شىء لأهلكنى فضحك المأمون. فقيل له كيف السؤال عن هذا؟ فقال : أن تقول : كم مضى من عمرك ؟

ولقد ألفت كتب كثيرة فى شتى نواحى المعرفة فى هذه الفترة كما ترجمت كتب فى الفلسفة والطب وعلم النجوم ؛ وصنفت الكتب فى جمع الحديث النبوى وبرز فى هذا الشأن عدد جم من الجامعين والمصنفين فى رواية الحديث .

فمن طبقة كبار تبع أتباع التابعين (أوائل القرن الثالث) :

١ ـ سعيد بن منصور بن شعبة الخراسانى (ت ٢٢٧) صاحب كتاب «السنن والزهد» وكان من أهل الصدق والفضل ممن جمع وصنف(١).

٢ ـ أبوعبيد القاسم بن سلام البغدادى (ت ٢٢٤) الذى فسر غريب الحديث وكتابه مشهور (٢) .

٣ ـ الدولابى ، محمد بن الصباح البغدادى (ت ٢٢٧) ، صاحب كتاب السنن (٣) .

٤ ـ نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعى (ت ٢٢٨) وكان أول من جمع المسند ، وقد حبِس بسبب محنة خلق القرآن وقد أوصى أن يدفن فى قيوده (٤) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٧٩

(٢) " " " ، ص ١٨٠

(٣) " " " . ص ١٩٢

(٤) " " " . ص ٨١

٥ - مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدى (ت ٢٢٨) ،صنف المسند(١).

٦ - محمد بن سلام بن الفرج البيكندى (ت ٢٢٥) وكان من كبار المحدثين وله مصنفات فى كل باب من أبواب العلم (٢) .

٧ - على بن عبدالله بن جعفر المدينى السعدى البصرى (ت٢٣٤) وكان علما فى معرفة الرجال والعلل ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، وحفاظ الإسلام (٣) .

٨ - يحيى بن معين بن عون الغطفانى مولاهم البغدادى (ت ٢٣٣) ، أحد الأعلام ؛ وكان يقول : لو لم يكتب المحدثين من ثلاثين وجهاً ماعلقناه (٤) .

٩ - أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى (ت ٢٤١) وهو الإمام الشهير صاحب « المسند » و « الزهد » وغير ذلك ، وكان من كبار الحفاظ الأئمة ، ومن أحبار هذه الأمة (٥) .

قال أبوعبيد القاسم بن سلام : « ربانيو الحديث أربعة : فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل ، وأحسنهم سياقا للحديث وأداءً له على بن المدينى وأحسنهم وضعا لكتاب ابن أبى شيبة ، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين » (٦) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨١ .

(٢) " " " ، ص ١٨٢ .

(٣) " " " ، ص ١٨٤ .

(٤) " " " ، ص ١٨٥ .

(٥) " " " ، ص ١٨٦ .

(٦) " " " ، ص ١٨٥ .

وقـال أيضـا : « انـتـهى عـلـم الـحـديث إلـى أحـمـد بن حنبـل وعلى بن المدينى ، ويـحـيى بن مـعين وأبى بكر بن أبـى شـيـبـة ، وكـان أحـمـد أفـقـهـم فيه وكان عـلى أعلمهم به ، وكـان يحـيى أجـمـعهم له ، وكـان أبوبكر أحفظهم له » (١) .

١٠ ـ ابن راهويه ، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى (ت ٢٣٨) ، أحد أئمـة المسلمين وعلمـاء الدين ، اجـتـمع له الحـديث والفـقـه والحـفظ والصـدق والورع والزهد ، رحل إلى العراق والحجاز واليمن والشـام ثم عاد إلى خراسان (٢) .

قـال اسـحـاق بن راهويه عن نـفسـه : « مـاسـمـعت شـيـئا إلا حـفظتـه ، ولاحـفظت شـيـئـا فنسـيـتـه وكـأنى أنظر إلى سـبـعين ألف حـديث فى كتبى ، وقال : أعـرف مكان مائة ألف حديث كأنى انظر إليها وأحفظ سـبـعين ألف حـديث عن ظهـر قلبى ، وأحـفـظ أربعـة آلاف أحـاديث مزورة فقيل له : مامعنى حـفظ المزورة ؟ قال : إذا قرىء منها حديث فى الأحاديث الصحيحة فلّيته منها فليا » (٣) .

١١ ـ عثمان بن أبى شيبة محمد بن إبراهيم العبسى ، أبوالحسن الكوفى (ت ٢٣٩) أحد الحفاظ الأعلام ، صنف « المسند » والتفسير (٤) .

١٢ ـ مـحـمـد بن يحـيى بن أبى عـمـر العـدنى ، نزيل مـكة صـاحب المسند (ت٢٤٣) (٥) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٨٧ .
(٢) " " " ، ص ١٨٨ .
(٣) " " " ، ص ١٨٩ .
(٤) " " " ، ص ١٩٣ .
(٥) " " " ، ص ٢١٨ .

١٣ ـ إسحاق بن بهلول بن حسان التنوخى الناقد الإمام أبويعقوب الانبارى (ت ٢٥٢) ألف المسند الكبير ، وحدث بخمسين ألف حديثا من حفظه فلم يخطىء فى واحد منها (١) .

١٤ ـ الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام القرشى ، أبوبكر المدنى (ت ٢٥٦) ألف كتاب «السنن» وكتاب أخبار المدينة وكان ثبتا عالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدمين وما أثر عن الماضين (٢) .

قال الذهبى بعد ذكر أسماء الطبقة الثامنة من العلماء الذين ذكرهم من المصنفين والحفاظ من طبقة كبار تبع الأتباع : فهولاء الذين سموا فى هذه الطبقة هم نقاوة الحفاظ ، ولعل قد أهملنا طائفة من نظرائهم فإن المحل الواحد فى هذا الوقت كان يجتمع فيه أكثر من عشرة آلاف محبرة يكتبون الآثار النبوية ، ويعتنون بهذا الشأن ، وبينهم نحو من مائتى إمام قد برزوا وتأهلوا للفتيا » (٣) .

ومن العلماء المصنفين من الطبقة الوسطى من تبع الأتباع (أواسط القرن الثالث) :

١ ـ عبد بن حميد الكِسّى وقيل إسمه عبدالحميد (ت ٢٤٩) ، وكان صنف المسند والتفسير (٤) .

٢ ـ عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى السمرقندى

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٢٦ .
(٢) " " " ، ص ٢٣١ ، تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ .
(٣) " " " ، ص ٢٣٢ .
(٤) " " " ، ص ٢٣٥ .

(ت ٢٥٥) وكان منْ الحفاظ المتقنين ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدّث وأظهر السنة فى بلده ودعا إليها ، وذب عن حريمها ، وقمع من خالفها (١) .

٣ - البخارى ، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى (ت ٢٥٦) قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتّاب ولى عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتّاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلىّ وغيره فلما طعنت فى ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك وعرفت كلام هؤلاء وأقاويلهم ثم خرجت مع أمى وأخى أحمد إلى مكة فأقمنا بها إلى طلب الحديث . فلما طعنت فى ثمانى عشرة ، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ وقل اسم فى التاريخ إلاّ وله عندى قصة إلاّ أنى كرهت تطويل الكتاب .

وللبخارى من المؤلفات « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » و «الأدب المفرد» و «القراءة خلف الإمام » (٢) .

٤ - أبومسعود أحمد بن الفرات بن خالد الضبى الرازى (ت ٢٥٨) قال : كتبت عن ألف وسبعمائة وخمسين شيخا ، أدخلت فى مصنفى ثلاثمائة وعشرة وكتبت ألف ألف حديث وخمسمائة ألف حديث ، فأخذت من ذلك ثلاثمائة ألف حديث فى التفسير والأحكام والفوائد(٣) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٣٥ .

(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٤٨ ؛ وابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٤٧/٩ ؛ وابن العماد فى شذرات الذهب ١٣٤/٢ ؛ وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، ٤٥٥/١ .

(٣) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٣٩ .

٥ـ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبوالحسن النيسابررى (ت٢٦١) ، صاحب الصحيح ، وله مؤلفات أخرى ، وكان يقول : «صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة»(١).

٦ ـ أبوداود السجستانى ، داود بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدى (٢٧٥) ، صاحب كتاب السنن ، وكتاب « الناسخ والمنسوخ » و «القدر» و « المراسيل » وغير ذلك ، قال إبراهيم الحربى : أُلين لأبى داود الحديث كما ألين لداود الحديد . وقال زكريا الساجى : « كتاب الله أصل الإسلام ، وكتاب السنن لأبى داود عهد الإسلام » (٢) .

٧ ـ أحمد بن رستم الأصبهانى (ت ٢٧٢) ، صنف المسند .

٨ ـ أبومسلم الكجى إبراهيم بن عبدالله بن مسلم بن ماعز بن كج البصرى (ت ٢٩٢) صاحب كتاب السنن . قيل إنه لما حضر بغداد أملى فى رحبة غسان فكان فى مجلسه سبعة مستملين كل واحد يبلغ الآخر ، وكتب الناس عنه قياما ، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة ، فبلغ ذلك نيفا وأربعين ألف محبرة سوى النظارة(٣).

٩ ـ عثمان بن سعيد بن خالد الدارمى السجستانى (ت ٢٨٠) ، له مسند كبير ورزق حسن التصنيف (٤) .

١٠ ـ على بن عبدالعزيز بن المرزبان بن شابور ، أبوالحسن البغوى (ت

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٦١ .

(٢) " " " ، ص ٢٦٢ .

(٣) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٣ ؛ والبغدادى ، تاريخ بغداد ، ١٢/٦ .

(٤) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٤ ؛ وشذرات الذهب ، ١٧٦/٢ .

٢٨٦) شيخ الحرم ، صنف المسند (١) .

١١ - إسماعيل القاضي ، أبو إسحاق بن اسحاق البغدادي (ت ٢٨٢) صاحب التصانيف وشيخ المالكية بالعراق وعالمهم شرح مذهب مالك واحتج له ، وصنف « المسند » و « أحكام القرآن » و « القراءات » وغير ذلك(٢) .

قال الذهبي في نهاية هذه الطبقة الوسطى من تبع أتباع التابعين : «ولقد كان في هذا العصر وماقاربه من أئمة الحديث النبوي في الدنيا خلق كثير غير ماذكرنا ، وأكثرهم في تاريخي الكبير » (٣) .

أما الطبقة الصغرى من تبع الأتباع (أواخر القرن الثالث) فمن أعلام المصنفين :

١٢ - بقي بن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦) صاحب التفسير الجليل والمسند الكبير وكان اماما عالما قدوة مجتهدا عديم النظير في زمانه ، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل وجاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي (٤) .

١٣ - أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي (ت ٢٧٩) صاحب كتاب « الجامع الصحيح » وكتاب « العلل » ، وكان أحد الأئمة الذين يقتدي بهم في علم الحديث ، وكان يضرب به المثل في الحفظ (٥) .

---

(١) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٤ .

(٢) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٥ ؛ تاريخ بغداد ، ٢٨٤/٦ .

(٣) السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٦ .

(٤) " " " ، ص ٢٧٧ .

(٥) " " " ، ص ٢٧٨ .

١٤ ـ ابن ماجه القزوينى ، أبوعبدالله محمد بن يزيد الربعى (ت ٢٨٣) صاحب كتاب السنن ، وكتاب التفسير سمع بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر وغيرها (١) .

١٥ ـ البزار ، أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصرى (ت ٢٩٢) صاحب كتاب المسند الكبير ، وكتاب « المعلل » (٢) .

١٦ ـ مُطَيَّن ؛ أبوجعفر محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرى الكوفى (ت ٢٩٧) صنف « المسند وله « تاريخ » صغير (٣) .

١٧ ـ العنبرى ؛ أبوإسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطوسى (ت قبل ٢٩٠) له « المسند » فى مائتى جزء وبضعة عشر جزءاً (٤) .

١٨ ـ الحسين بن محمد بن زياد العبدى ، أبوعلى النيسابورى المعروف بالقبانى (ت ٢٨٩) صنف « المسند » و « الأبواب » و « التاريخ » و « الكنى » ودونت عنه (٥) .

١٩ ـ الهسنجانى ، أبواسحاق إبراهيم بن يوسف الرازى صنف « مسندا » أكثر من مائة جزء (ت ٣٠١) (٦) .

٢٠ ـ النسائى ، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب الخراسانى (ت ٣٠٢) أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعرفهم بالسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال . له من الكتب « السنن الكبرى » و « الصغرى » و « مسند

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٧٨ .

(٢) " " " ، ص ٢٨٥ .

(٣) " " " ، ص ٢٨٨ .

(٤) " " " ، ص ٢٩٥ .

(٥) " " " ، ص ٢٩٦ .

(٦) " " " ، ص ٣٠٠ .

على » و « مسند مالك » وغير ذلك .

وغير أولئك كثير ممن ذكرتهم كتب الرجال والتراجم .

الأخذ بمبدأ الحفظ مع الكتاب :

ولقد اعتمد علماء هذه الفترة فى عمليات تسجيل العلم وتخزين المعلومات واسترجاعها على شيئين هما : الذاكرة ، والكتاب . وفيما يلى تفصيل الأمر فيهما :

أولا - الذاكرة (حفظ الصدور) :

ورث علماء هذه الطبقة وهى طبقة « تبع أتباع التابعين » من أمثال : الفضل بن دكين ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى والبخارى وغيرهم ، عمن سبقهم العلم النبوى منذ عصر النبوة ، وعلوم الصحابة والتابعين ، فقد تلقوه عن طبقة أتباع التابعين وعلموا منه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه كيف يحفظون ، وكان كلامه ﷺ له صفة خاصة بحيث إذا سمعه منه صحابته استوعبوه وحفظوه ، فعن عائشة رضى الله تبارك وتعالى عنها أنها قالت : « ماكان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ، لكنه كان يتكلم بكلام بينه فَصْلٌ ، يحفظه من جلس إليه » .

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقَلَ عنه وكان إذا وجد بعضهم من نفسه ثقلا فى الحفظ فإنه كان يلجأ إلى رسول الله ﷺ ويشكو إليه صعوبة الحفظ ليجد له سبيلا إلى تهوينه عليه ، وقد شكا إليه ابن عمه على ابن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تفلت هذا القرآن من صدرى فما أجدنى أقدر عليه فنصحه رسول

الله ﷺ بأشياء ثم علمه دعاء الحفظ وهو كما رواه ابن عباس : [اللهم بديع السموات والأرض ؛ ياذا الجلال والإكرام والعزة لاترام ، أسألك يا الله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى ، اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لاترام ؛ أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تغسل به بدنى فإنه لايعيننى على الحق غيرك ولا يؤتيه إلاّ أنت ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم] يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تُجَبْ بإذن الله والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنا قط » . قال ابن عباس : « فوالله مالبث علىٌ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى كنت فيما خلا لا آخذ أربع آيات أو نَحْوَهُنَّ فإذا قرأتهن على نفسى تفلتن وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينىّ ، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً . فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك : مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » (١) .

وروى عن ابن عباس أنه قال : « ردوا الحديث واستذكروه فإنه إن لم تذكروه ذهب ولايقولن رحل لحديث قد حدثه : قد حدثته مرة فإنه من كان سمعه يزداد به علما ويسمع من لم يسمع » (٢) .

ولمثل هذه الأخبار التى تلقاها علماء هذه الطبقة ، أكبروا من شأن

---

(١) الترمذى ، الجامع الصحيح ، ج ٥٦٣/٥ الحديث رقم ٣٥٧٠ .

(٢) الدارمى ، سنن الدارمىّ ، ج ١١٧/١ .

الحفظ وصاروا يتبارون فى ميدان حفظ السنة ، فكانوا يكتبون العلم ويحفظونه ، لكن كتابتهم للحديث النبوى لم تمنعهم قط من حفظه ، فهم كانوا يتذاكرونه فيما بينهم ويؤدونه حفظا من ذاكرتهم ولايتكلون على الكتابة .

حفظ الحفاظ :

وماروى فى قدر حفظ الحفاظ ، قول أحمد بن حنبل : « انتقيت المسند من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف حديث » (١) .

وقال أبوزرعة الرازى (ت ٢٦٤هـ) : « كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث . فقيل له ومايدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الأبواب»(٢) .

وقال يحيى بن معين : « كتبت بيدى ألف ألف حديث (٣) .

وسئل أبوزرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتى ألف حديث هل يحنث؟ قال . لا . ثم قال : « أحفظ مائة ألف حديث كما يحفظ الإنسان سورة قل هو الله أحد » (٤) .

وكان أحمد بن حنبل يقول : « ماجاوز الجسر أحفظ من أبى زرعة قد حفظ ستمائة ألف » (٥) .

---

(١) السيوطى ، تدريب الراوى ، ج ٤٩/١ .

(٢) ابن الجوزى ، الحث على حفظ العلم ، ص ٤٢ ، ٤٣ ، ط أولى ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٧م .
وكذا تدريب الراوى ، ٤٩/١ ، ٥٠ .

(٣) و (٤) السيوطى ، تدريب الراوى ، ٥٠/١ .

(٥) ابن الجوزى ، الحث على حفظ العلم ، ص ٦٣ .

وقال يزيد بن هارون (ت ٢٠٦) : « أحفظ خمسة وعشرين ألف حديث باسناده ولافخر » (١) .

ولعل من أهم فوائد الحفظ أن العلم يكون منقوشا فى الصدور فلا يضيع ، وإنما يجدد هذا الحفظ ويجلوه حضور مجالس العلم والمذاكرة ، وكما قلنا إن الحفظ عندهم كان أولا ، ثم يأتى الكتاب فى المرحلة الثانية فإذا ضاع الكتاب لم يخش من ضياع العلم لأنه منقوش فى الصدور ولهذا لم يكونوا يعتمدون على الكتاب وحده .

يروى أن ابن أبى عاصم الشيبانى (ت ٢٨٧) - وكان من حفاظ الحديث - ذهبت كتبه فى فتنة الزنج التى حدثت سنة ٢٥٥ هـ وراح ضحيتها كثير من الناس ، فأعاد من حفظه خمسين ألف حديث (٢) .

التفاوت فى رُتَب الحفاظ :

وكان الحفاظ يتفاوتون فيما بينهم فى قدر الحفظ ، فمن زاد حفظه وظهرت نباهته واشتهرت وجاهته ، علت رتبته وارتفعت مكانته ، فمنهم المحدث ومنهم الحافظ ، ومنهم الشيخ ، ومنهم الحجة ، ومنهم الثبت ، ومنهم الإمام ، وأعلى هذه الدرجات ، درجة الإمارة ، حيث يطلقون لقب أمير المؤمنين فى الحديث لمن كثر حفظه واشتهر ورعه وعرف ضبطه وعدالته . ولقد نال شرف الإمارة من أهل الحديث عدد من الأئمة الثقات ، من مثل مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجاج ، وابن عيينة ، والثورى وحماد بن زيد والأوزاعى ومن بعدهم كوكيع بن الجراح ، ويحيى بن

---

(١) السيوطى ، تدريب الراوى ، ص ٥٢ .

(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٢٨١ .

سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدى وابن المبارك ومن بعدهم كعلى بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ومن بعدهم كالبخارى وأبى زرعة وأبى حاتم الرازى.

ولاينال الراوى المرتبة التى يستحقها إلا عن امتحان لما يحفظ ، يمتحنه من هو أفقه منه وأحفظ ، وهذه المرتبة تسرى مع الركبان (القوافل والبريد) إلى سائر مراكز التحديث ، ليعلم أهل الحديث فى كل بلد أن قد نال فلان رتبة كذا ، وكان المحدثون يسألون مشايخهم عن الرواة ومدى توثيقهم لهم حتى يعلموا درجتهم من العلم ، وكثيرا ماكان الفقهاء يفرقون بين محدث ومحدث ليبينوا مواطن القوة أو نواحى الضعف أو درجات الأفضلية عند المقارنة بين راويين أو أكثر من الأقران ولنأخذ لذلك مثالا المقارنة بين الفضل بن دكين ووكيع بن الجراح وكلاهما متعاصران وفى طبقة واحدة ، قال صالح بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى : وكيع وعبدالرحمن بن مهدى ويزيد بن هارون أين يقع أبونعيم (الفضل بن دكين) من هؤلاء؟ قال على الصف ، إلاّ أنه أكيس ، يتحرى الصدق ، قلت : فأبونعيم (الفضل بن دكين) أثبت أو وكيع ؟ قال : أبونعيم أقل خطأ ، قلت فأيما أحب إليك أبونعيم أو ابن مهدى؟ قال : مافيهما إلاّ ثبت إلاّ أن عبدالرحمن (ابن مهدى) كان له فهم . وقال رجل لأحمد بن حنبل أى شىء عند أبى نعيم من الحديث ووكيع أكثر رواية ؟ فقال : هو على قلة روايته أثبت من وكيع (١) .

كذلك سأل الفضل بن زياد أحمد بن حنبل عن أبى نعيم الفضل بن دكين فقال : أبونعيم يقظان فى الحديث وقام فى الأمر يعنى نجح فى

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، ٢٧٢/٨ .

الامتحان (١) .

وقال يعقوب بن شيبة : « أبونعيم ثقة ثبت صدوق » (٢) .

صورة امتحان :

وقال أحمد بن منصور الرمادى خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى (ابن معين) إلى عبدالرزاق أخدمهما ، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل أريد أن أختبر أبا نعيم . فقال له أحمد لاتزيد الرجل إلا ثقة . فقال يحيى لابد لى . فأخذ ورقة كتب فيها ثلاثين حديثا من حديث أبى نعيم وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه ثم جاؤا إلى أبى نعيم فخرج فجلس على دكان ، فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ الحادى عشر فقال أبونعيم : ليس من حديثى ، اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثانى وأبونعيم ساكت فقرأ الحديث الثانى فقال : ليس من حديثى ، اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد فى يده - فأورع من أن يعمل هذا ، وأما هذا فأقل من أن يعمل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، ثم أخرج رجله فرفسه فرمى به ، فدخل داره فقال أحمد ليحيى : ألم أقل لك إنه ثبت (٣) .

ومن الأئمة من أهل الحديث من كان يحفظ الأحاديث الصحاح ويحفظ معها الأحاديث غير الصحيحة ، ومن هؤلاء إسحاق بن راهويه ، روى عنه قوله « أعرف مكان مائة ألف حديث كأنى أنظر إليها . وأحفظ

---

(١) ابن حجر العسقلانى ، تهذيب التهذيب ، ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣ .
(٢) « « « « « « .
(٣) « « « « « ٢٧٤/٨ . .

سبعين ألف حديث عن ظهر قلبي . وأحفظ أربعة آلاف حديث مزورة فقيل له : مامعنى المزورة ؟ قال : إذا مرَّ بي منها حديث في الأحاديث الصحيحة فليته منها فليا » (١) .

وكذلك قال الإمام البخاري : « أحفظ مائة ألف حديث صحيح . ومائتي ألف حديث غير صحيح » (٢) .

قال أبوحاتم الرازي : « لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة » (٣)

ثانيا - الكتاب (حفظ السطور) :

الحاجة إلي الكتاب :

قال الحكيم الترمذي (ت ٢٥٥) في كتابه المسمى « نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول » : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتابة » (٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لعمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) الحث على حفظ العلم للإمام أبي الفرج بن الجوزي ، ص ٤٩ .

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ١/ ٥٠ .

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي : لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ، ٥٩/٢ ، بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، طبع القاهرة .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة . باب من رخص في كتابة العلم (١٢٧/١ ، ١٢٨)، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٢/٧) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب العلم - باب قيدوا العلم بالكتاب (٢٠٦/١) ، وأبونعيم في حلية الأولياء (٣٢١/٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢٨/١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢/١) رجاله رجال الصحيح .

عنه : يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ، ومم ينسى فقال إن على القلب طخاءة (١) كطخاءة القمر فإذا تغشت القلب نسى ابن آدم ماكان يذكر ، وإذا تجلت ذكر ماكان نسى .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس عليهما السلام ، وسمى بذلك لأنه كان يدرس الكتب ، وكتب نوح عليه السلام ديوان السفينة ، وكتب الله تعالى التوراة لعبده موسى عليه السلام ، قال تعالى :

﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء ﴾ (٢)

وكتب الزبور من زبر الرجل أى كتب وقال تعالى فى تنزيله :

﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ (٣)

أى فى اللوح وأول مابدأ شأن الكتابة بَدأَ القلمُ واللوحُ فكَتَبَ ماهو كائن .

والكتاب حق وتدبير من الله تعالى لعباده . والكتب الجمع بين الحروف ومنه سميت الكتيبة لأنها جُمِعَتْ فإذا قيدت المعانى بهذه الحروف المخطوطة التى هى دلائل على المعانى فإن كانت محفوظة فالكتاب مستغنىً عنه وإن نُسِيَتْ صارَ الكتابُ نعمَ المستودعُ وإنْ دَخَلَ القلبَ ريب(٤) فى ذلك نَفَى الريبَ ، واطمأنت النفس ، وقد أدب الله عز وجل العباد ، وحثهم على مصالحهم ، فقال عز من قائل فى شأن المداينة :

---

(١) طخاءة : غشاوة .

(٢) الأعراف ٧/١٤٥ .

(٣) القمر : الآية رقم ٥٢ .

(٤) ريب : شك .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم ﴾ (١)

الآية فاعلم أن الكتابة قسط عند الله تعالى وهو العدل يؤدى ما أوتمن واستودع وأقوم للشهادة أى أحرى أن يقوم بها ، وأبعد من الشك ، والريبة ومن هنا أخذ طاووس فقال : يسعه أن يشهد على خطه وهو لايذكر فإذا كان تجار الدنيا فى المداينة فيما بينهم يقيدون الأمانات المؤجلة لئلا تدرس (٢) ليؤدوها فى مواقيت حلها كما ندبهم الله تعالى إليه ودلهم عليه كان تجار الآخرة فى تقييد الأمانات التى أخذ الله تعالى الميثاق فيها أن يؤدوه ولايكتموه أحرى أن يحافظوا عليها ويداوموا على إثباتها ، وتقييد رسومها ، لئلا تدرس ليؤدوها فى مواقيتها عند حاجة الخلق إليها فى نوازلهم فإن أمانة الدِّين أعظمُ شأناً من أمانة الدنيا وقد إئتمن الله تعالى أهل الأموال ليحرزوها ، ويحفظوها ، ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها فى وجوهها وإخراج حقوقها ، وإنفاقها فى السبل التى أذن الله تعالى فيها . وأتمن الله تعالى أهل العلم على ما أودعهم من نوره وبراهينه ، وكتبه وحججه ليحرزوها ، ويحفظوها ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها فى وجوهها ووضع كل شىء منها مواضعها وإخراج حقوقها لأهل الحاجة إليها وإنفاقها فى السبل التى سبلها الله تعالى لهم .

وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ المثناة على رؤس الناس » وماشددت الصحابة رضوان الله عليهم فى ذلك فقالوا: كتاب مع كتاب الله فإن ذلك مما كانت اليهود فعلته .

---

(١) البقرة ٢٨٢/٢ . راجع تفسير الآية فى الطبرى ٦٧/٦ والقرطبى ٣٩٧/٣ .

(٢) تدرس : تعفى .

وقد وصف الله تعالى فى تنزيله الكريم فقال :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ﴾ (١)

وذلك أنه لما درس الأمر فى اليهود وساءت رغبة علمائهم اقبلوا على الدنيا حرصا ، وجمعا فطلبوا شيئا يصرف وجوه الناس إليهم فأحدثوا فى شريعتهم ، ويدلوا ، وألحقوا ذلك بالتوراة ، وقالوا لسفهائهم هذا من عند الله ليقبلوها عنهم ، فتتأكد رياستهم وينالوا به حطام الدنيا ، وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا :

﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ (٢)

وهم العرب أى ما أخذنا من أموالهم فهو حل لنا . وماكان مما أحدثوا فيه أن قالوا لايضرنا ذنب فنحن أحباؤه وأبناؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما كان فى التوراة يا أحبارى ويا أبناء رسلى فغيروه وكتبوا يا أحبائى ، ويا أبنائى ، فأنزل الله تعالى تكذيبهم :

﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناؤا الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ (٣)

فقالت : لن يعذبنا وإن عذبنا فأربعين يوما مقدار أيام العجل فأنزل الله تعالى :

﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن

---

(١) البقرة ٢/٧٩ .
(٢) آل عمران ٣/٧٥ .
(٣) المائدة ٥/١٨ .

يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالاتعلمون بلى من كسب سيئة ﴾ (١)

فحذر الرسول ﷺ هذه الأمة لما قد علم مايكون في آخر الزمان فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم معارضا لكتاب الله تعالى ، فيضلوا به الناس ، والمثناة ماثنى من الكتاب ليصرف وجوه الناس عن كتاب الله تعالى .

فأما إثبات الكتاب وماسمعوا من الرسول ﷺ من تفسيره وبيانه وشرحه فمحمود ، قال صلى الله عليه وسلم : « ألا وأني أوتيت الكتاب ومثله فلايتكئن أحدكم على أن يقول ماوجدنا في كتاب الله عز وجل أخذنا به ومالم نجد تركناه » في كلام نحو هذا ، وكان الذين يأخذون عن رسول الله ﷺ أهل بصائر ويقين وتجلية قلوب يحفظون عنه . فلما صاروا إلى القرن الذي يليه ، وظهرت الفتن احتيج إلى إثباته في الكتب . فمنهم من هاب ذلك لأنه رآه حدثا وأمرا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ فهاب أن يكون بدعة ، ومنهم من تجاسر عليه لما رأى فيه من النفع كما تجاسر أبوبكر رضي الله عنه على جمع القرآن ...... فجمعوا على تأليفه أبيّ بن كعب ، وقرّاءَ القرآن رضي الله عنهم ، فكذلك هذه الكتب لم يزل الناس كلما مضى قرن أحوج إلى تقييده ، وبيانه وشرحه لأن العلم في إدبار ، والجهل في إقبال ، حتى غلب الجهل وأحاط بالخلق البلاء ، ونجمت قرون البدع فأحوج ماكانوا إلى شرحه ، وبيانه في هذا الوقت ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (٢) .

---

(١) البقرة ٢/ ٨٠ .

(٢) الحكيم الترمذي ، كتاب نوادر الأصول ، بتحقيق د . أحمد عبدالرحيم السايح وتعليق د. السيد الجميلي ، من ص ٣٠٠ إلى ص ٣٠٥ ، طبعة ١ ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

الأسباب التى شجعت على ظهور الكتب وكثرة التصانيف فى الحديث النبوى :

يعد الكتاب وعاءً لحفظ المعلومات فى شأن موضوع أو أكثر ، وقد حظى الكتاب بعناية كبيرة من جانب علماء الحديث ، لكنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد اهتمامهم بالذاكرة البشرية ، حسب ماكان سائدا فى عصور القوة وهى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة .

فكان الإمام يكون حافظا لكتابه . وليس معنى أن لبعضهم كتابا أنه يعتمد فى علمه على ماضمنه هذا الكتاب فحسب ، بل يكون حافظا لما فيه بحيث إذا فقد كتابه أعاده من حفظه .

أما من اعتمد فى علمه على كتابه ولم يكن حافظا له فإنه لايُعْتَدُّ به ، ولهذا ضعّفوا أحاديث ابن لهيعة لأنه كان يعتمد فى علمه على كتابه أكثر من اعتماده على الحفظ فلما ضاع كتابه خانه حفظه فضعّفوا روايته .

كما اشترطوا ضرورة عرض الكتاب بعد السماع من المشايخ ، فمن كتب عن الشيخ ثم لم يعرض على الشيخ ماسمعه منه فإن كتابه لايعد شيئا ، ولايوثق فيما كتب .

وهناك أسباب ساعدت على كتابة الحديث النبوى وشجعت على نمو حركة التأليف نذكر منها :

١ - تصريح الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر حياته بكتابة حديثه :

المعروف أن الرسول ﷺ نهى أول الأمر صحابته عن كتابة حديثه ليكون الأثر الوحيد المكتوب هو القرآن ، لكنه كان يأذن لبعضهم أن يكتب عنه ثم أمر بعد ذلك أمرا عاما حين قال : « اكتبوا لأبى شاة » فكان بمثابة

الإذن العام للأمة الإسلامية أن تكتب عنه وكان ذلك عام الفتح .

كما قد ورد عنه ﷺ أنه قال أيضاً : قيدوا العلم بالكتاب » (١) فكان بعض الصحابة يكتبون وكذلك كتب قوم من التابعين كما بينا من قبل .

٢ ـ الأمر السلطانى الذى أصدره الخليفة عمر بن عبدالعزيز بكتابة العلماء للحديث فى الأقطار المختلفة :

فلقد أصدر عمر بن عبدالعزيز أمره إلى عماله أمراء الأمصار وإلى علماء الأمة الإسلامية بتدوين الحديث النبوى تدوينا عاما فرفع بذلك الحرج فى كتابته عن جميع العلماء ، ومن كتابه إلى عامله وقاضيه على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : « انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء » . فانتشرت بذلك نهضة الكتابة ونشطت نشاطا ملحوظا وكان العلماء بعد ذلك يدعون إلى تأييد الحفظ بالكتاب فكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان : « كل من لم يكتب العلم لايؤمن عليه الغلط » (٢) .

٣ ـ وجود كبار الحفاظ الذين يراجعون الكتب :

عن هشام بن عروة قال: « قال لى أبى يابنى كتبت؟ قلت : نعم قال: عارضت قلت : لا ، قال : لم تكتب » (٣) ومعنى عارضت : هل راجعت كتابك على العلماء؟ والعرض هو القراءة على الشيخ فهم كانوا يتشددون فى عرض الكتاب أى مراجعته على الأستاذ حتى يضمنوا سلامته من

---

(١) جامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبر ٧٢/١ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبر ٧٥/١ .

(٣) » » » » » » ٧٧/١ .

الخطأ ، ويضمنوا أيضا صحة المعلومات المدونة فيه سندا ومتنا . فكان من مناهجهم في كتابة الحديث عرض الكتاب لتدارك مافيه من أخطاء .

قال بعضهم : (١)

عليك بتصحيح الكتاب معارضا ** فذلك مفروض على المرء واجبُ

ومن لم يصحح بالقراءة خطه ** فما هو مكتوب ولا هو كاتبُ

وَزَيِّنْهُ بالعَجْم المُقَيّدِ إنه ** يصون على التصحيف من هو راغبُ

تزان حروف الخط بالعَجْمِ مثل ما ** تُزَانُ بأفرادِ اللآلئ الترائبُ

وقَدْ حَفَلَ هذا الزَّمانُ بالكثير من الحفاظ الناقدين الذين كانوا يراجعون الكتب ويصححون الأخطاء إن وجدت ويقومون بأهم عمل لايستطيعه غيرهم وهو نقد السند والمتن لكل حديث ، وكان من هؤلاء أحمدُ بنُ حنبل ويحيى بنُ معين والإمام البخاري وأبوحاتم الرازي وأبوزرعة الرازي .

٤ ـ وضوح منهج الكتابة والتأليف :

إن نهاية القرن الثاني الهجري قد شهدت جمع وتدوين كل ما أثر عن النبي ﷺ لكن الحديث النبوي جاء مختلطا بغيره من الآثار من فتاوى التابعين وأخبارهم . ولم تكن طريقة التأليف موحدة على الشكل الذي نجده في تأليف الكتب الستة فيما بعد . أما علماء القرن الثالث الهجري فقد اتجهت همتهم في تدوين الحديث والآثار على نحو جديد تم فيه

---

(١) السمعاني : عبدالكريم بن محمد بن منصور ، أدب الاملاء والاستملاء ص ١٧٢ ، ط اولى ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م .

فصل الحديث وتمييزه عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وأسندوا كل حديث إلى قائله فظهرت المسانيد وهى جمع مايروى عن الصحابى فى باب واحد وإن تعدد الموضوع وقيل إن أول من ابتكر ذلك وألف المسند على هذه الطريقة نُعَيْمُ بنُ حماد الخزاعى المروزى ، ومسدد بن مسرهد أبوالحسن (١) البصرى ، وقيل أبوداود الطيالسى (٢) ، ومن القدماء أيضا إبراهيم بن نصر(٣) المطوعى السورينى مفيد نيسابور ، وحفل هذا القرن بكثير من أصحاب المسانيد ، ولاقى الحديث عناية عظمى ، وفيه نشط العلماء إلى نوع راقٍ من التأليف لاسيما أن أدوات الكتابة كانت قد توفرت وتحسنت عن ذى قبل ، فصنفوا على الأبواب وعمدوا إلى تبيين حالة الحديث من حيث الصحة والضعف وتمييز الحديث الذى لاشك فى نسبته إلى رسول الله ﷺ من الحديث الذى تحوم حوله دواعى الشك فى نسبته إليه ، وتوَّجُوا عملهم بافراد الحديث الصحيح المجرد بالتأليف وتصنيفه على طريقة الأبواب ، لا على المسانيد ، أى بتنسيق الأحاديث التى تخدم الموضوع الواحد فكان أول من ألف على هذه الطريقة هو أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخارى فى جامعه الصحيح ، ويعد البخارى رائد هذا الفن ، ثم تلاه الإمام أبوالحسن مسلم بن الحجاج

---

(١) قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب هو أول من صنف المسند بالبصرة (ت ٢٢٨ هـ) انظر التهذيب ، ج ١٠ ص ١٠٩ .

(٢) قال فى كشف الظنون : وهو أول من صنف فى المسانيد (انظر كشف الظنون ١٢٧٩/٢ . ط تركيا ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م) وأبوداود اسمه سليمان بن داود بن الجارود البصرى : قال ابن المدينى مارأيت أحدا أحفظ من أبى داود انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٤٩ .

(٣) قال الذهبى : رحل وتعب وصنف المسند . مات فى الكهولة ولم ينتشر حديثه انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٤١٤/٢ .

النيسابورى فى صحيحه ثم تلاهما الأئمة أصحاب الكتب الأربعة فى كتبهم : سنن أبى داود ، وجامع أبى عيسى الترمذى ، ومجتبى النسائى وسنن بن ماجه القزوينى ، لكن هذه الأربعة الأخيرة اشتملت على الصحيح والضعيف فنزلت درجتها عن مستوى الصحيحين .

وكان العصر يزخر بالمدققين والممحصين والمصنفين فأشبعوا الأحاديث بحثا وتمحيصا من حيث أسانيدها ورواتها ومكانتها .

ولما كان المحدثون قد وضعوا أصولاً ومناهج لتدوين الحديث كقولهم سمعت وحدثنا وأخبرنا وانبأنا ، فإن مناهجهم وأساليبهم قد سادت ، وقلدهم فيها أهل اللغة والأدب وأهل التأريخ ، « كما جمع الباحثون فى اللغة ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته وكانت ألفاظه مادة كبيرة من مواد اللغة ... ولما تم لهم جمع ما أرادوا من ثروة لغوية عظيمة نهجوا نهج المحدثين ورتبوا درجات الأخذ فقالوا : « أملى علينا » أرفع منزلة من «سمعت» ، و «سمعت» أرفع درجة من «حدثنى» ، و «حدثنى» خير من «أخبرنى» . وكانوا يذكرون السند ، ورتبوا ماورد فى اللغة ترتيب أهل الحديث ، فمنها ماهو فصيح وأفصح ، وجيد وأجود ، وكذلك تجريح الرجال وتعديلهم » (١) .

٥ ـ إنشاء المكتبات واقتناء الكتب :

شجع خلفاء بنى العباس على تزجية العلم وترجموا الكثير من كتب الفلسفة وعلم النجوم ، وعلم الهندسة واستفاد العلماء كثيراً من علوم اليونان وفلسفتها وصارت حركة علمية واسعة النطاق فكثر الاقبال على فنون اللغة والأدب وعلوم الدين والكلام والطب وما إلى تلك من مختلف

(١) د . حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ج١ / ٢٦١ .

العلوم ؛ كما أنشأ الرشيد دار كتب عظيمة سماها بيت الحكمة وأنشأ أيضا المأمون خزانة للكتب سماها بيت الحكمة إلى جانب الأولى ببغداد جمع فيها كثيراً من الكتب ، وكان يجتمع فيها العلماء والنساخ والوراقون فكانت أشبه بمجمع علمي كبير تحتوي على مئات الآلاف من الكتب النادرة في جميع العلوم والفنون حتى ليقال إنه كان بها كتاب بخط عبدالمطلب بن هاشم في جلد آدم (١) وجعلوا لهذه المكاتب الضخمة فهارس تضم أسماء الكتب التى تضمها المكتبات حتى يمكن استحضار الكتاب في يسر وسهولة ، كما برعوا فى تصنيف الكتب وتوزيعها فى أماكنها ، وطريقة تنظيمها فى الخزانة (٢) .

حدث الحسن بن سهل قال (٣) : قال لى المأمون يوماً : أى كتب العجم أشرف؟ فذكرت كثيرا منها ثم قلت « جاويذان خرد » (يتيمة السلطان) يا أمير المؤمنين ، فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكراً فقال كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست ؟ .

ولم يقتصر الأمر على دار الكتب التى ابتناها الرشيد والمأمون بل كانت مكتبة السامانيين فى بخارى ببلاد ماوراء النهر مثالا ناطقا يشهد بنضج الثقافة وتقدم العلوم هناك ، ويقال إن ابن سينا اطلع على فهارس تلك المكتبة واختار بعض الكتب وطلب أن يطلع عليها ، فأحضرت إليه فى الحال (٤) ، ويصف ابن سينا مكتبة السامانيين بعد أن أذن له فى دخولها

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧ ، ٨ ط المطبعة الرحمانية .

(٢) كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص ١٧٠ للاطلاع على طريقة وضع الكتب .

(٣) التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبى ص ١٥٣ .

(٤) التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبى ص ١٥٢ ، والدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٢٠٦ .

لقراءة مافيها فيقول : دخلت دارا ذات حجرات كثيرة ، وفى كل حجرة صناديق مملوءة بالكتب ، وفى بعضها كتب العربية والشعر ، وفى أخر الفقه ، وأخرى للعلم والفلسفة وكان لكل مجموعة خاصة من الكتب أمكنة معينة لها ، وقد تفقدت أسماء المؤلفين القدامى لأبحث عن مؤلفاتهم وراعنى ماوجدت من الكتب الكثيرة التى لا يعرفها كثير من الناس (١) .

وتنافس الكثيرون من الناس فى اقتناء المكتبات وتهافتوا على شراء الكتب وجعلها فى خزائن فى منازلهم من ذلك مكتبة اسحق بن سليمان العباسى وكانت تمتلىء بالكتب والأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر (٢) ومنها خزانة الوقف بالبصرة التى عملها أبوالقاسم البستى (٣) ، ومكتبة يحيى بن خالد البرمكى ويقال إنه لم يكن فى مكتبته كتاب إلا وله ثلاث نسخ (٤) .

كذلك كانت هناك مكتبة الواقدى وهى مكتبة ضخمة تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب ، وكان له مملوكان يكتبان له ليلا ونهارا(٥) ، واشتهر كذلك خزانة الحكمة الخاصة بالفتح بن خاقان بن أحمد وزير المتوكل وهى خزانة كبيرة جمعها على بن يحيى المنجم نقل

---

(١) الدويلات الإسلامية فى المشرق ص ٢٠٧ نقلاً عن R.A.NICHOLSON.A, Lit. Hist. of the Arabs, p. 266 .

(٢) الحيوان للجاحظ ، ج ١ ص ٦١ .

(٣) الفهرست ، ص ١٩٩ .

(٤) الحيوان للجاحظ ، ١٠/٦٠ .

(٥) الفهرست ، ص ١٤٤ .

إليها من كتبه ومما استكتبه الفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط (١) ولم ير أعظم منها كثرة وحسنا وكان يحضر داره نصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين (٢) ، وكثير من الناس في هذا العصر كانوا يعنون باحراز الكتب ويجعلونها في حجرات خاصة في بيوتهم ويطلق عليها اسم الخزانة كخزانة القاضي أبي حسان الزيادي وكان فاضلا وأديبا ناسبا يعمل الكتب وتُعمل له وكانت خزانة كبيرة حسنة (٣) .

« وقد ساعد الوراقون على نشر الثقافة الإسلامية في جميع الولايات الإسلامية ، فالورق كان متوفرا ، والنساخون اتخذوا من النسخ مهنة ، وقد كانت مهنة تدر على الوراق ربحا كبيرا ، لأن المقبلين على الكتب كانوا لايبخلون بشيء في سبيل اقتناء كتاب نادر ، حتى غير العلماء كانوا يتشبهون بالعلماء في اقتناء الكتب كي يقال إن في مكتبة فلان التاجر كتب كذا وكذا ، وإن كان لايقرأ منها شيئا ولايدري من العلم قليلا أو كثيرا » (٤) .

وأنشأ بعض الوراقين لهم دكاكين كبيرة ملأوها بالكتب يتجرون فيها وكان بعض الشباب يغدو إلى هذه الدكاكين لا ليشتري منها فحسب، بل ليقرأ فيها ما لذ وطاب من صنوف الآداب نظير أجر بسيط يتقاضاه منه صاحبها (٥) .

---

(١) الفهرست ص ٢٠٥ .

(٢) ، (٣) الفهرست ص ١٦٩ ، ١٦٠ .

(٤) أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية د . مختار القاضي ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٩٠ .

(٥) العصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف ، ص ١٠٤ .

وكان إقبال الناس على القراءة إقبالا بالغاً وحبهم للكتاب حبا جماً ، وروى ابن النديم فى الفهرست قال: (١) قال أبوهفان : « ثلاثة لم أر قط ولاسمعت أحب إليهم من الكتب والعلوم : الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن اسحق القاضى ، فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ماكان حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين ، ويثبت فيها للنظر ، والفتح بن خاقان فإنه كان يحضر لمجالسة المتوكل فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابا من كمه أو خفه وقرأه فى مجلس المتوكل إلى عودِه إليه حتى فى الخلاء وإسماعيل بن إسحق فإنى مادخلت إليه إلأ رأيته ينظر فى كتاب أو يقلب كتبا أو ينفضها »

٦ - الرحلات العلمية :

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوعها أيضاً وامتدادها إلى أبعد الحواضر ماكان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الإسلامى ومغربه ، ولاشك أن الأمن الموفور والمستوى المعيشى المرتفع والتشجيع الكبير الذى ظفر به الرحالون من الولاة وسراة الناس كان له أثره العظيم فى اشتداد الرحلة إلى الأمصار . وقد رحل علماء اللغة إلى البادية يقيدون اللغة والأدب ، ورحل علماء الحديث إلى الأمصار المختلفة يقيدون الحديث، بل امتدت الرحلات إلى بلاد الروم فأرسل المأمون بعثته إلى القسطنطينية لاحضار الكتب ، ورحل حنين بن اسحاق الى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية (٢) .

كذلك فإن الشعراء أكثروا من الرحلة بين أقطار الدولة الكبرى

---

(١) الفهرست ص ١٦٩ .

(٢) العالم الإسلامى ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

يذيعون أشعارهم ويمدحون الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار القواد ، ولعل أكثرهم رحلة أبوتمام الذى أخذ يتنقل بين مشرق المملكة الإسلامية الكبرى ومغربها : « يفد على المأمون مادحا مكرما ، ويستدعيه المعتصم مجلا لقدره مقدرا لنبوغه ، وهو حينا فى مكة يحج البيت ، وطورا فى خراسان يمدح عبدالله بن طاهر بن الحسين وآنا فى أرمينية عند خالد بن يزيد أو فى الجبل عند محمد بن الهيثم ، ويزور نيسابور والموصل فهو أبدا أليف الأسفار ، مغرم بالرحلات مقدم عند العظماء يوسعونه إكراما ويجودهم بفيض الهامه ، حتى إذا أراد أن يصور نفسه لم يجد أبلغ من قوله :

بالشام أهلى ، وبغداد الهوى ، وأنا

بالرقمتين ، وبالفسطاط إخوانى (١)

فالرحلات العلمية كانت من أسباب النهضة العلمية فى هذا العصر حيث أفادت فى جانبين على قدر عظيم من الأهمية ، أولهما أنها كانت تربط بين مراكز الثقافة فى أقطار المملكة الإسلامية ، والثانى أنها وحّدت مناهج الدراسة فيها ، هذا إلى جانب المحافظة على سيادة اللغة العربية وتأكيدها فى نفوس الناس . وأحيانا كانت تجمع الرحلة بين عالمين أو أكثر فيتحقق من ذلك نفع عظيم ، ولقد جمعت الرحلة إلى مصر مثلا فى بداية العصر الطولونى بين محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ وبين محمد بن اسحق صاحب الصحيح والتصانيف ، ومحمد بن نصر المروزى أحد أئمة سمرقند (٢) .

---

(١) أبوتمام للدكتور جميل سلطان . طبعة المطبعة الهاشمية بدمشق ، ١٩٥٠ ، ص ٩ .

(٢) انظر كتاب « الطبرى » للدكتور أحمد الحوفى ط اعلام العرب ص ٣٩ . وكتاب «أبوجعفر الطحاوى » لعبدالمجيد محمود ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ =

ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى جهود علماء الحديث الذين ضربوا في باب الارتحال في سبيل العلم على ماكانوا عليه من قلة المئونة وعسر السفر والارتحال مثلاً عليا تجعلهم في عداد العلماء الخالدين (١).

٧ - دخول الأعاجم في الإسلام واستعرابهم :

ولقد اتسعت حركة التأليف وكتابة الكتب منذ منتصف القرن الثاني الهجري واستغرقت القرن الثالث الهجري كله وشملت كل بلاد المسلمين بحيث لم تسجل كتب التاريخ حركة مثلها في تاريخ الأمم، ويرى بعض الباحثين أن وراء هذه الحركة التدوينية العظيمة أسبابا أخرى غير دعوة عمر بن عبدالعزيز العلماء لتدوين السنة، فيقول :

« .. فالطاقات الجديدة التي دخلت في الإسلام واستعربت، والملايين المتعطشة الى المعرفة ؛ لم يكن من المعقول أن تقنع بالتراث الذي يحتكر روايته شفاها جماعة من الحفاظ، إنما كانوا في حاجة إلى أن يجدوا بين أيديهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقودا لنهضتهم، كما أن النظرة العلمية الجادة التي جاءت نتيجة للاحتكاك بالفكر القديم والهلليني بوجه خاص، ونتيجة لإسلام الموالي واستعرابهم لم يكن من المعقول أن تنظر نظرة الاعتبار إلى التراث المروي مشافهة، وإنما كانت في حاجة إلى متون بين أيديها تقتلها درساً وبحثاً » (٢).

= ص ٢٧ . ومحمد ابن اسحق هو ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) والطبري هو صاحب التاريخ (ت ٣١٠ هـ) ومحمد بن نصر المروزي هو شيخ الإسلام أبوعبدالله المروزي (ت ٢٩٤ هـ).

(١) د. محمد أبوشهبة ، في رحاب السنة سلسلة البحوث الإسلامية، ص ٢٣ .

(٢) د. حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ج ٢٥٩/١ ، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠ .

٨ ـ غيرة العرب المسلمين على التراث الإسلامى بوجه عام والحديث النبوى بوجه خاص :

« وثمة اعتبار آخر ، نبعَ من المفكرين العرب أنفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى . وهو خوفهم من أن تمتد إلى هذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والتزييف بسبب الاعتبارات التى استحدثت على الحياة العربية فى القرن الثانى الهجرى كالشعوبيين الذين كانوا يناولون من الثقافة العربية ويزرون بكل ماهو عربى . وكان العرب فى حاجة إلى مواجهة هذه الحركة ببعث أمجاد العرب القديمة والتأريخ للماضى العربى، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة كانت تمتد إلى التراث العربى لتلتمس منه مايؤيد وجهة نظرها » (١)

٩ ـ نمو صناعة الورق وتحسن أدوات الكتابة والوراقة :

ومن غريب الاتفاق أن تواكب هذه الحركة التدوينية الكبرى فى القرن الثانى نشاط صناعة الورق وكثرتها فى العصر العباسى . وقد نشطت صنعة الوراقة وهى صناعة كان يقوم أصحابها بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها ، وانتشرت دكاكين الوراقين وكانت مصدرا من مصادر انتشار الثقافة فى الأمصار» (٢) .

وكان الجاحظ يؤجر دكاكين الوراقين ويبيت فيها للمطالعة » (٣) .

---

(١) د . حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ج١ /٢٥٩ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٠ .

(٣) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج ٦/ ٥٦ ، مطبوعات دار المأمون ، سلسلة الموسوعات العربية .

« ولم تكن أدوات الكتابة فى الزمن الأول متيسرة ، وقد كتب جماعة من السلف رحمنا الله وإياهم لعدم القرطاس أو لإعوازه فى الحال على الجلود والألواح والخزف والرمل والنعل والكف » (١) .

لكنه بعد فتح بلاد ماوراء النهر نقل المسلمون صناعة الورق من الصين وبدأت صناعته فى بلاد ماوراء النهر « كما أنشأ المعتصم مصانع للورق فى عدة مدن وجلب لها الأساتذة والصناع من مصر » (٢) .

ولما تيسرت أدوات الكتابة وتحسنت أنواعها ، تحسنت أيضا الكتابة وصارت هناك قواعد مرعية فى استعمال الأدوات كالسكين والقلم والحبر والدواية والكاغذ ، وكذلك فى تحسين الخط وتوضيحه ، وعن المبرد قال : رأيت الجاحظ يكتب شيئا فتبسم ، فقلت مايضحكك فقال : « إذا لم يكن القرطاس صافيا والحبر ناميا والقلم مؤاتيا والقلب خاليا فلا عليك أن تكون عانيا » (٣) .

وقيل لوراق : ماتشتهى؟ قال : « قلما مشاقا ، وحبرا براقا ، وجلودا رقاقا » (٤) .

وأنشد بعضهم يمدح خطا جيداً : (٥)

خط مليح كأن الله أنشأه	لم يحكه كاتب يوما ولاقلم
سطوره زَهْرٌ طلبٍ على شجر	حروفه دُرَرٌ فى السمط تنتظم

---

(١) السمعانى ، أدب الاملاء والاستملاء ، ص ١٦٥ .

(٢) د . حسن أحمد محمود ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ج ٢٢/١.

(٣) ، (٤) السمعانى ، أدب الإملاء والاستملاء ، ص ١٦٣ .

(٥) السمعانى ، أدب الإملاء والاستملاء ، ص ١٦٦ .

هذا ، وقد أفرد محمد بن اسحاق النديم صفحات كثيرة من «الفهرست» في الكلام عن الخطوط وأشكال كتابتها ، كما تكلم عن أنواع الأقلام وأنواع الورق ، مما يفيد أن أمر الكتب والكاتبين قد تطور تطوراً ملحوظاً ، فإذا مامضينا إلى عصر ياقوت الحموى وجدنا أن الخطوط أصبح لها عشاق يبالغون فى أثمانها ويحضون على اقتنائها ، يقول ياقوت : « وابن البَرقَطّى » هذا أوحد عصرنا فى حسن الخط والمشار إليه فى التحرير قد تخرج به خلق كثير (١) ، وكان يبالغ فى خطوط « ابن البواب » حتى أنه اشترى ورقة بخط ابن البواب بوزن ثلاثة دنانير من الذهب (٢) .

وهذه الأخبار فى شأن الحفظ والكتاب وغيرها كثير تدل فى وضوح على مدى تحقق علماء المسلمين من صحة البيانات والمعلومات التى تركوها لنا فى الكتب التى صنفوها ، بحيث لاينبغى أن ينتابنا شك فى أحكامهم وتقريراتهم لأنهم أخلصوا النية والعمل وحافظوا على الأمانة العلمية ماوسعهم الإخلاص والتدقيق .

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، مطبوعات دار المامون ، ج ١٧ ، ص ٢٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

نقد الحديث النبوى وظهور الكتب الستة :

لقد تصدى لرواية الحديث ونقده فى القرن الثانى رجال هيأهم الله لهذا الغرض ، حفظوا السنة أسانيدها ومتونها بحيث لايخالجهم فى حفظهم شك أو غفلة وكانت أعينهم مفتوحة دائماً على كل مايروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واستطاعوا بما أيدهم الله بنصره أن يطردوا عن السنة كل دخيل عليها وأن يطهروها مما ليس منها فلم تفلح معهم محاولات الزنادقة وغيرهم من الكذابين ، ومن هؤلاء النقاد :

شعبة بن الحجاج (ت ١٥٣ هـ) الملقب بأمير المؤمنين فى الحديث وهو أحد أئمة الإسلام الذى عرف عنه أنه أول من فتش بالعراق عن أمر المحدِّثين وجانب الضعفاء والمتروكين .

ومنهم هشام الدستوائى (ت ١٥٢) البصرى الحافظ ولقّبه شعبة بأمير المؤمنين فى الحديث أيضاً .

ومنهم سفيان الثورى (ت١٦١) الملقب بأمير المؤمنين فى الحديث ، ساد الناس بعلمه وورعه وكان شعبة يقول : سفيان أحفظ منى وقال شعبة ، وغير واحد : هو أمير المؤمنين فى الحديث .

ومنهم الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩) وهو شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة ، قال الشافعى فى حقه : إذا جاءك الأثر فمالك النجم .

ومنهم حمّاد بن زيد بن درهم الأزدى البصرى (ت ١٧٩) قال ابن مهدى : أئمة الناس فى زمانهم أربعة سفيان الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة (١) .

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٩٧ .

ومنهم الأوزاعى ، عبدالرحمن بن عمرو (ت ١٥٧) إمام أهل الشام فى وقته وكان خيِّرا كثير الحديث والعلم والفقه (١) .

ومنهم عبدالله بن المبارك (ت ١٨١) وكان ثقة عالما متثبتا صحيح الحديث وكانت كتبه التى حدث بها عشرين ألفا (٢) .

ومنهم يحيى بن سعيد القطان البصرى (ت ١٩٨) وكان من سادات أهل زمانه حفظا وورعا وفهما ، وفضلا ، ودينا وعلماً ، وهو الذى مهد لأهل العراق رسم الحديث ، وأمعن فى البحث عن الثقات وترك الضعفاء ولم يكن فى زمانه مثله (٣) .

ومنهم وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى (ت ١٩٦) الكوفى ؛ قال أحمد بن حنبل : « مارأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ ولا رأيت معه كتابا قط ولارقعة » (٤) .

ومنهم سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) قال الشافعى : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » وقال أيضاً : « وجدت أحاديث الأحكام كلها عند مالك ، سوى ثلاثين حديثا ، ووجدتها كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث » (٥) .

أولئك هم أشهر المحدِّثين الذين حفظوا العلم عن التابعين ووعوا سنة النبى صلى الله عليه وسلم وحفظوها من كل دخيل عليها فى أيامهم ، ثم

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٧٩ .
(٢) " " " ، ص ١١٩ .
(٣) " " " ، ص ١٢٥ .
(٤) " " " ، ص ١٢٧ .
(٥) المباركفورى ، تحفة الاحوذى ، ج ١ ، ٢ ، ص ٤٤٩ .

هم قد ورّثوا علمهم إلى الطبقة التى من بعدهم مثل يزيد بن هارون بن زاذان الواسطى (ت ٢٠٦هـ) الذى روى عن شعبة ومالك ، والثورى ، والحمادَيْن وغيرهم ، وكان حافظا متقناً صحيح الحديث (١) .

وعبدالرحمن بن مهدى بن حسان (ت ١٩٨هـ) البصرى الحافظ وكان أثبت من يحيى بن سعيد القطان وأتقن من وكيع . قال أحمد بن حنبل : «إذا حدث ابن مهدى عن رجل فهو حجة » (٢) .

والإمام الشافعى أبوعبدالله محمد بن إدريس القرشى المطلبى المكى إمام الأئمة وقدوة الأمة (٢٠٤هـ) وكان يقول حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت موطأ مالك وأنا ابن عشر (٣) .

وأبونعيم الفضل بن دكين وكان ثقة حافظا متقنا (ت ٢١٨ هـ)(٤) .

ومنصور بن سلمة أبوسلمة الخزاعى (ت٢١٣هـ) الذى كان يسأل عن الرجال ويؤخذ بقوله فيهم (٥) .

وأبومسهر عبدالأعلى بن مسهر الغسانى الدمشقى (ت ٢١٨هـ) وهو مرجع أهل الشام فى الجرح والتعديل لشيوخهم (٦) .

وسليمان بن حرب الأزدى البصرى (ت ٢٢٤ هـ) قال أبوحاتم : «إمام من الأئمة كان لايدلس ويتكلم فى الرجال وفى الفقه ... ولقد

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ١٣٢ .
(٢) " " " " ، ص ١٣٩ .
(٣) " " " " ، ص ١٥٤ .
(٤) " " " " ، ص ١٥٦ .
(٥) " " " " ، ص ١٦٢ .
(٦) " " " " ، ص ١٦٣

حضرت مجلسه ببغداد فحزر من حضر مجلسه بأربعين الف رجل (١).

وقد ازدهر في القرن الثالث علم نقد الحديث على يد الطبقة التي ورثته عن هؤلاء السابقين ، حيث قد تجمع بين أيديهم كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأخبار ، وما أثر عن الصحابة والتابعين من آثار واستطاعوا من هذه الثروة الهائلة من الأحاديث والأخبار والآثار أن يقوموا بعمليات النقد لكثرة ماتوافر لديهم من الملاحظات والمعلومات التي جمعوها من أفواه المحدثين على مدى قرنين من الزمان منذ وفاة النبي الكريم ﷺ حتى وقتهم ، بحيث صار إلى جانب رواية الحديث علم نقد الحديث كمعرفة مختلف الحديث وحكمه وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا فيوفق الناقد بينهما أو يرجح أحدهما على الآخر ، وقد صنف في ذلك الإمام الشافعي (ت ٢٠٤) ولم يقصد رحمه الله استيفاءه بل ذكر جملة ينبه بها على طريقه ، ثم صنف فيه ابن قتيبة فأتى بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة لكون غيرها أقوى وأولى وترك معظم المختلف .

وكذلك كتبوا في معرفة المزيد في متصل الأسانيد كأن يروى أحدهم الاسناد بزيادة شخص فيه لم يجدوه عن الثقات من الرواة .

وكذلك كتبوا في المراسيل الخفي إرسالها وهو فن مهم عظيم الفائدة، يُدْرَكُ باتساع الرواية وجمع طرق الحديث مع المعرفة التامة لها .

وكتبوا في معرفة الصحابة رضي الله عنهم وهذا علم كبير يعرف عن طريقه المتصل من المرسل من الأحاديث وفي معرفة التابعين رضي

---

(١) السيوطي : طبقات الحفاظ ،ص١٦٧ .

الله عنهم الذين لقوا الصحابة ورووا عنهم .

وكتبوا فى رواية الأكابر عن الأصاغر وفى رواية الآباء عن الأبناء وروايات الأقارب .

بحيث جاء من بعدهم فألفوا فى ذلك كتبا تضم أنواع المعارف التى ينبغى للمحدث أن يلم بها .

وإذا ما وصلنا إلى النصف الأول من القرن الثالث سوف نجد أن علم نقد الحديث قد عقدت رايته لثلاثة من أقطاب هذا الفن اشتهروا به وسطعت نجومهم فى سمائه ، وهؤلاء الثلاثة هم على الترتيب :

على ابن المدينى (ت ٢٣٤ هـ)

ويحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ)

وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)

وانتهى علم هؤلاء جميعا إلى الإمام البخارى (ت ٢٥٦) الذى صار أوحد عصره فى نقد الحديث النبوى (صاحب الصحيح) وإمام هذا الشأن والذى ألف كتاب التاريخ الذى قال عنه « صنف كتاب التاريخ عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقلّ اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت تطويل الكتاب » (١) .

وإلى جانب البخارى كان قد برع فى ساحة نقد الحديث تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ) والإمام أبوزرعة الرازى (ت ٢٦٤) والإمام أبوحاتم الرازى (ت ٢٧٥) والإمام عبدالرحمن بن عبدالله بن الفضل بن بهرام السمرقندى الدارمى (ت ٢٥٥) وعدد جم من

---

(١) السيوطى : طبقات الحفاظ ، ص ٢٤٩ .

العلماء تميزوا بمعرفتهم للحديث ونقدهم إياه لتمييز صحيحه من سقيمه ، كان يرجع إليهم الفضل فى التنبيه على علل الحديث وأسراره الخفية ، لكننا ذكرنا أشهرهم وأكثرهم ذكرا على سبيل الاختصار .

هكذا كان الله عز وجل يهيىء فى كل عصر رجالا يحفظون الحديث ويدراون عنه كل دخيل عليه حتى إذا كان القرن الثالث الهجرى تم تدوينه فى المصنفات والكتب صحيحا مبرءاً من كل عيب ، ورأينا كيف كان يكتب الحديث فى كل عصر ، وإنهم وإن كانوا يعتمدون على الحفظ إلا أنهم أيضا كان منهم من يكتب ويعدون الكتابة نوعا من الصيانة لحفظهم يلجأون إليها عند الحاجة وقد استمر ذلك النهج بين الحفظ والكتابة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وأنه بداية من النصف ا لأول من القرن الثانى بدأ يظهر الكلام على الرجال وتوجيه النقد لرواة الحديث وأن شعبة بن الحجاج هو أول من فتش عن المحدثين وبدأ الكلام فى حق الرواة وطالب بالكشف عن أحوال الرواة وسار على نهجه من جاء بعده ورأوا أن هذا الأمر فى غاية الأهمية صيانة للحديث من التحريف ، ونما هذا العلم نموا عظيما حتى بلغ شأوه على يد الإمام البخارى الذى اختار من بين ستمائة ألف حديث صحيح ما أخرجه فى كتابه الصحيح وترك الباقى ثم جاء من بعده الإمام مسلم فقدم للناس كتابه الصحيح أيضا ثم تلاهما الأئمة الأربعة مع من ألف فى السنن والمسانيد . ويهمنا من ذلك اثبات أن العلماء لم يهملوا شأن الكتابة قط على مدى القرون الثلاثة وإنما كما قلت كان الحديث محفوظا فى صدورهم ومنقوشا فى قلوبهم ، وأنهم كانوا يتعاهدون صدورهم وقلوبهم بالطهارة والتزكية إيمانا منهم بأن الحديث

النبوى يجب أن يصان فى مكان طاهر آمن لاتشويه شائبة من أوضار المبطلين ، فكان آمن شىء هو القلب ولذلك حفظوه من شائبة تشويه وكانوا يعقدون المجالس مجالس العلم والمذاكرة كى يتذاكروا الحديث فيما بينهم ويراجعوا على مايحفظون فى صدورهم وقلوبهم ، فكانت صدورهم وقلوبهم كتبا طوت الحديث وحفظته بعيدا عن عبث العابثين وكذب الكذابين وهم مع كل ذلك قد دونوه فى الصحف والكتب للرجوع إليها عند الحاجة وعند الاختلاف على أمر يقع بينهم ، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر مارواه ابن أبى حاتم الرازى قال : حضر عند أبى زرعة ، محمد بن مسلم بن وارة والفضل العباس المعروف - بفضلك - فجرى بينهم مذاكرة فذكر محمد بن مسلم حديثا ، فأنكر فضلك الصائغ . فقال :

- يا أبا عبدالله ليس هو هكذا .

فقال محمد بن مسلم :

- كيف هو ؟

فذكر فضلك رواية أخرى .

فقال محمد بن مسلم لأبى زرعة :

- إيش تقول ؟

فسكت أبوزرعة .

فألحّ محمد بن مسلم .

فقال أبوزرعة :

- هاتوا أبا القاسم ابن أخى

فدعى به

فقال أبوزرعة :

- اذهب فادخل بيت الكتب فدع القمطر الأول والثانى والثالث وعد ستة عشر جزءاً وائتنى بالجزء السابعَ عشرَ .

فذهب أبوالقاسم ابن أخيه فجاء بالدفتر ، فتصفح أبوزرعة وأخرج الحديث ، فدفعه إلى محمد بن مسلم فقرأه .

فقال محمد بن مسلم :

- نعم غلطنا . (١)

وفى هذا الجزء الذى سقناه كى نستدلَّ به على أنهم كانوا قد دنوا الحديث للرجوع إلى ماكتبوه عند الحاجة ووقوع الاختلاف مايلى :

١ - أن مجالس العلم يراجعون فيها حفظهم للحديث .

٢ - أنهم كانوا يحفظون أماكن الأحاديث فى كتبهم ويعلمون مايحتويه كل جزء مما دونوه .

٣ - أنهم كانوا فيما بينهم سادة أجلاء فى معاملتهم لبعضهم البعض ويظهر ذلك من أدب أبى زرعة ، وكان يستطيع أن يحكم فى الأمر بحفظه لكنه ترك ذلك للكتاب .

٤ - أن الرجوع للحق فضيلة ويظهر ذلك فى أدب محمد بن مسلم ابن وارة الذى اعترف بخطئه أمام الجميع .

وأحب أن أنوه هنا إلى أنه قد يقع فى رواية متن الحديث اختلاف بين ألفاظ الحديث أو الخبر ، وهذا الاختلاف الواقع بين ألفاظ المتن لايفسد الحديث ، لأن الرسول الكريم ﷺ قد وافق على ذلك ، وفيه حديث مرفوع

---

(١) المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، ج ١ ، ص ٤٦٨ .

رواه ابن مندة فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير من حديث عبدالله بن سليمان بن اكيمة الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا استطيع أن أؤديه كما أسمع منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا فقال : « إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس » فذكر ذلك للحسن فقال : لولا هذا ماحدثنا (١) .

وقد قال الترمذى فى آخر الجامع فى كتاب العلل مانصه « فأما من أقام الاسناد وحفظه ، وغيّر اللفظ فإن هذا واسع عند أهل العلم إذا لم يتغير المعنى » (٢) .

الانتهاء من الجمع والتدوين وتحقيق أمنية الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز :

ولم يكد ينته القرن الثالث الهجرى إلا وقد تحققت الأمنية التى تمناها الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وأمنية جده من قبله حيث تم جمع كلام النبى ﷺ وكل مايتعلق به من أخبار وصار كل ذلك مسجلا فى الكتب والصحف والكواغذ .

قال الإمام الخطابى : « كان أرفعهم فى العلم درجة وأعلاهم قدرا ورتبة أئمة القرون الثلاثة الأولى الذين نالتهم الخيرة ولحقتهم الدعوة فى قوله صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، وهم الصدر الأول ، والنمط الأفضل ، ورثة علم السنة.

---

(١) المباركفورى ، تحفة الأحوذى ، ج ١٠ ، ص ٤٨٨ .

(٢) المباركفورى ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج ١٠ ، ص ٤٨٨ .

والحافظون لها علي مَنْ بعدهم من الأمة ، ثم لم يزل أول منهم يلقيه إلى آخر ، ويتلقاه خالف عن سالف ليكون دين الله بهم محروسا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .. » (١) .

تاريخ الاعتراف بالكتب الستة :

روى أنه قد اجتمع ناس من أصحاب الحديث إلى الحافظ الحجة أبى على سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣) فقالوا : إن الكتب فى الحديث كثيرة ، فلو دلنا الشيخ على شيء نقتصر عليه منها ، فدخل إلى بيته وأخرج أربع رزم ووضع بعضها على بعض وقال هذه : قواعد الإسلام ؛ كتاب البخارى وكتاب مسلم وكتاب أبى داود وكتاب النسائى » (٢).

ثم بعد ذلك ضُمَّ جامعُ أبى عيسى وسنن ابن ماجه فى أوائل القرن السادس الهجرى إلى الكتب الستة حين ألف الحافظ أبوالفضل محمد بن طاهر ابن على المقدسى المعروف بابن القيسرانى الشيبانى (ت ٥٠٧) وصنف «أطراف الكتب الستة » (٣) . ثم جاء من بعده الإمام عبدالغنى بن عبدالواحد الجماعيلى (ت ٦٠٠) الذى ألف كتاب « الكمال فى معرفة الرجال » وساق فيه ذكر هذه الكتب الستة ثم تبعهم المحدثون والفقهاء بعدها على ذلك .

---

(١) غريب الحديث للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى (ت ٣٨٨ هـ) بتحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوى ، ج ١ص ٤٦ ، طبعة دار الفكر بدمشق،١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، سلسلة من التراث الإسلامى ، الكتاب ١٧ ، جامعة أم القرى .

(٢) السيوطى ، طبقات الحفاظ ، ص ٣٧٩ .

(٣) " " " " ، ص ٤٥٢ .

على أنه لم يقتصر الأمر على الاعتراف بالكتب الستة فحسب فقد أضيف إليها بعد ذلك فى القرن الثامن أربعة كتب هى : الموطأ ، ومسند أحمد بن حنبل ، ومسند الشافعى ، ومسند أبى حنيفة لما ألف شمس الدين الحسينى الدمشقى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ كتابه « التذكرة فى الرجال العشرة » الذى نقد فيه رجال الأسانيد ، كما جمع ابن حجر العسقلانى فى ذلك الوقت أطراف الكتب العشرة و « المسند الحنبلى » فصارت تلك الكتب مشهورة منذ ذلك الحين .

***

الفصل الخامس

صفات أهل الحديث

وفيه

* بين النقل والعقل .
* العلامات والصفات : -

١- رؤيا الاصطفاء
٢- حرصهم على الرحلة فى طلب الحديث .
٣- قوة حافظتهم وسيلان أذهانهم .
٤- زهادتهم فى الدنيا واجتهادهم فى العبادة .
٥- فراستهم وفطنتهم .
٦- إجابة دعائهم .
٧- هيبتهم وشجاعتهم .
٨- ظهور الكرامات على أيديهم .

أهــل الحــديث

بين النقل والعقل :

أهل الحـديث هـم صـفوةُ أهـلِ السنّة ونَعْني بأهلِ السنةِ (الذيـن لـم يـذهبـوا مـع أهـل الإتراف فـى إتـرافـهـم ولا مـع أهـل البـدع فى بـدعـهـم ، وصبروا على سنّتهم حتى لَقَوا ربّهم) (١) ، الذين حفظوا حديث رسـول الله ﷺ وأدّوه لمن بعدهم ، واجتمعت الآراء علـى توثيقهم واتفقت الأقوال على تعديلهم .ويجذبُ انتباهَ الباحثِ فى مـجالِ الدراساتِ الدينيةِ هذا الكم الغفيـرُ من حُفّاظ الحديثِ ورواتهِ ، ويثير إعـجابَه ما يتمتـعون به من قوة فى نفـوسـهـم لاتُعْهَدُ لدى غيـرِهـم من سـائر الناسِ ومـا يتّصفـون به من صفاتٍ تجعلُهم جديرين بالهيبة والإعظامِ لاسيّما النقادُ منهم .

والذى يَعنينَا من عَقْدِ هـذا الفـصل هـو تقـديم الـدلائل عـلى أنـهم اُختيروا من قِبَلِ الـله عزّ وجل وأنهم إنمـا الهموا ذلك الهاما ووجّهـوا إليه بعـناية منـه سبـحـانه وتعـالى . فـإذا ما اتضـح لنا ذلـك صار مـن الميسـور دحض الـشـبـهـات التـى أثار غـبـارهـا أعـداءُ الإسـلام ، وردُّ الـطعـون الـتى سددها المعاندون إلى نفرٍ منهم . خصـوصا وأنه قد كثر اللغط فى عصرنا فى مـسـائل أثارهـا كـثيرٌ مـن المسـتـشرقين ترمى إلـى الانتقاص مـن شأن هؤلاء الأتـقـياء والـتـشـكيك فى مـقـدراتهـم بهـدف صـرف المسـلمـين عن التمسك بعُرى الدين الحنيف .

وللمـسـتشـرقين فى ذلك أسـاليب خبيثةٌ تبلبلُ الأفـكارَ ليس بحـثُنا

---

(١) انظر كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشـهير بابن قيّم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) جـ ١ ص ٨٥ طبعة مصطفى البابى الحلبى . القاهرة .

هذا موضعاً لتقصّيها ، لكن علماءَ المسلمين نبّهوا عليها وفنّدوها قبل أن يستشرى خطرُها (١) ، ولا يجبُ التغاضى فى مثل هذا المقام عن التنبيه بوجوب الحذر من الاعتماد على آراء المستشرقين أو علماءِ العجم فى كل مامن شأنه أن يمسّ العقيدةَ ، ويجبُ أن نفرق بين ما كتبوه فى العلوم التجريبية وما كتبوه عن الإسلام ، فلا يدفعنا إعجابُنا بما حققوه من تقدمٍ ملموسٍ فى الأولى إلى قَبُولِ ما أَلَفوه فى الثانية .

ومن مناهجهم فى النقد العلمى ألاّ تُذْكر الفضيلةُ وحدها بل يجب أن تُقرنَ بنقيصةٍ ، وَيَعُدُّون ذلك من النزاهة العلمية ، ومن خالفهم تَعرّضَ لاتهامهم إيّاه بالجمود العقلى أو الدينى ، أو الرجعيّة أو التعصب أو التطرف ، إلى غير ذلك من أوراق الاتهام التى أعدوها لاستخدامها ضد من خالفهم عند اللزوم . ولهذا يجد بعض الكتّاب حرجا فى تزكية من يستأهل التزكية إذا لم يجدوا له كبيرَ نقيصةٍ يلمزونه بها .

ولقد واجه العقّادُ هذه الظاهرة حين أراد أن يكتب عبقرياتِه فقال فى

---

(١) انظر فى ذلك بعض ردود الأستاذ أحمد محمد شاكر فى تعليقاته على مادة (حديث) بالجزء الثالث عشر من دائرة المعارف الاسلامية طبعة كتاب الشعب ص ٤٠٠ . ومن ملاحظاتنا أيضا أن كاتب مقال الترمذى ، فى الجزء التاسع من الدائرة نفسها قال فى العمود الثانى من ص ٢٩٢:(وتكثر فى جامع الترمذى الأحاديث الشايعة لعلىّ) وهذه عبارة لها ظلال تثير التشكيك لدى القارىء فيظن أن الترمذى له ميول شيعية. ثم إن الترمذى فى جامعه ذكر كثيرا من أبواب المناقب ليس لعلىّ وحده ولكن لعترة أيضا من الصحابة فبينما نجد مناقب أبى بكر فى صحيح البخارى أربعة وعشرين حديثا وفى صحيح مسلم سبعة عشر حديثا نجدها عند الترمذى ثمانية وعشرين حديثا ،كذلك نجد لمناقب عثمان فى صحيح البخارى خمسة أحاديث ، وفى صحيح مسلم ستة أحاديث بينما نجدها فى جامع الترمذى خمسة عشر حديثا فكان أولى بالكاتب أن يقول: (وأكثر الترمذى من أبواب المناقب فى جامعه) .

تقديمه لعبقرية عمر : « فالناس قد تعوّدوا ممّنْ يُسَمّونهم بالكتّاب المنصفين أن يُحبّذوا ويَنْقدوا وأنْ يقرنوا بين الثناء والملام ،

، وأن يسترسلوا فى الحسنات بِقَدَرٍ لينقلبوا من كل حسنة إلى عَيْبٍ يكافئها ، ويشفعوا كلَّ فضيلة بنقيصة تعادلها . فإن لم يفعلوا ذلك فهم إذن مظنة المغالاة والإعجاب المتحيز ، وهم إذن أقل من الكتاب المنصفين الذين يمدحون ويقدحون ، ولا يعجبون إلاَّ وهم يتحفزون للملام » .

ولما لم يجد العقادُ نَقِيصَةً لعمرَ يقدح بها سيرتَه كما يحلو لهم قال: (قُلتُ إن كنت قد أفدت شيئا من مصاحبة عمرَ بنَ الخطاب فى سيرته وأخباره فلا يُحْرِجنَك أن تزكّى عملا له كلما رأيته أهلا للتزكية ، وإن زعم زاعم أنها المغالاة ، وأنه فرط الإعجاب) .

غير أن العقّاد لم يصنع شيئا ولا يعدو كلامه أن يكون تحصيل حاصل ، فليس عمرُ فى حاجة إلى تزكية العقاد ولا إلى تزكية غيره لأن التزكية إنما سبقت للصحابة أجمعين من لدن حكيم خبير . قال الله عز وجل فى كتابه العزيز (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) (١) فشرّفهم الله عز وجل بما أكرمهم به من وضعه إيّاهم موضع القدوة وكفى بذلك منزلة كما أن الله جل وعلا قال فى محكم كتابه ﴿ محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره

---

(١) البقرة : الآية ١٤٣ .

فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما . ﴾ (١) ؛ قال مالك رضى الله عنه بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا فى ذلك فإن هذه الأمة معظّمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ وقد نوّه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة.ولهذا قال سبحانه وتعالى (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل) (٢) ، ويكفى الصحابةَ ثناءُ الله عليهم ورضاه عنهم . ولو كره المشركون ورغم أنف المستشرقين المكابرين .

وكان الرسول ﷺ يعلم أن الصحابة سوف ينقلون عنه كلَّ مَا وَعَوْهُ للأجيال مِنْ بعدهم ، قال ﷺ:(تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم) (٣) لذا زكّاهم بقوله:(خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته !) .

وفى الحديث تزكية للتابعين مِن بعدِ الصحابة وهم الذين تلقوا العلم عن الصحابة وخصّهم الله بحفظ فرائضه وحدوده وسنّة رسوله ليؤدوها إلى من بعدهم وقال الله تعالى فى شأنهم:(والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ..) (٤) فصاروا برضوان الله عز وجل لهم وجميل ما أثنى عليهم بالمنزلة التى نزههم بها عن أن يلحقهم

---

(١) الفتح : الآية ٢٩ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣) الالماع لأبى الفضل عياض بن موسى . (ت٥٤٤هـ) بتحقيق احمد صقر ص ١٠ - وانظر تخريجه هنالك .

(٤) التوبة : الآية ١٠٠ .

مغمز أو تدركهم وصمة .. لأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه .

ومن المحتمل أن يمتد الحديث ليشمل بالتزكية أيضا أتباع التابعين وهم الذين صاحبوا أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يؤيد ذلك حديث آخر رواه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . قال عمران فلا أدري أذَكَرَ بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً) (١) فربما امتد معنى الحديث ليشمل أهل الحديث حتى القرن الثالث الهجري .

وعلى أية حال فإنه يفوز بالتزكية كل من كان في عداد (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) في أي عصر إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا ما اعتبره الأئمة النقاد من المسلمين ، فمن ثبت عنه حسن الإيمان مع حسن العمل صار عدلا عندهم طالما لم يخدش سيرته عملٌ مُخِلٌّ أو هوىً غالبٌ وكان ممن قال الله فيهم (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ...) الآية (٢)

والعقيدة الإسلامية مزيج من العقل والروح وفيها من عالم الغيب وعالم الشهادة ، ولذلك قال عزَّ من قائل (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) (٣) ولم يقل إن في ذلك لذكرى لمن كان له عقل لأن العقل وحده قاصر عن المعرفة الحقيقية ، أما القلب فهو تلك اللطيفة الربانية التي هي حقيقة الإنسان ، وهو الجزء المدرِكُ العالمُ العارفُ من الإنسان وهو

---

(١) انظر البخاري جـ ٥ ص ٣ .

(٢) البقرة : الآية ٣ .

(٣) ق : من الآية ٣٧ .

المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ثم هو أيضا منبع الروح (١) .

وفى حاضر أيامنا نجد أقواماً افتتنوا بما حققه العلم الحديث من مخترعات هى فى الحقيقة تدعو إلى الدهشة والانبهار ، وقادهم إعجابهم إلى أن ينقبوا عن سبب هذا التقدم العلمى المذهل ، فاطّلعوا على مناهج العلماء فى ميادين البحث العلمى وتأثروا بهذه المناهج وكلها تعتمد على العقل والمنطق ، فاقتنعوا بها ورجوا أن يطبقوها على الدين ويحكموا العقل فى الأمور التى لايطيقها ؛ وصاروا ينظرون إلى العلوم الدينية من خلال المنظار العلمانى والواجب أن ننظر إلى العلوم العقلية (٢) من خلال المنظار الدينى فأساءوا أبلغ إساءة للدين الإسلامى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولكنهم معذورون إذا كان بريق العلم الحديث أعمى بصائرهم عن سلوك السبيل الصحيح ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

والذى نريد أن نقوله لهؤلاء العقلانيين على اختلاف الأجناس والديانات ؛ إنّ الدين الإسلامى يعتمد على العلوم العقلية والعلوم الشرعية معاً ومن ظن غَير ذلك فهو قاصر عن الفهم الصحيح كما أن العلوم العقلية تتحرك فى حدود الشريعة وليس العكس إذ لايجب أن تحمل علوم الشريعة على السير فى مناهج عقلية فنقبل منها ما وافق العقل ونرفض منها ما خالفه ، فالمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن

---

(١) إحياء علوم الدين ٣ / ٣ .

(٢) العلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية : فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله .. الخ . راجع ، احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى (٥٠٥ هـ) .

والسنة مغرور إذ لابد للمسلم من الجمع للأصلين معاً .

ومن أمثلة من أعمل رأيه واستخدم عقله فحمل علوم الشريعة على السير فى مناهج العلم الحديث صاحب كتاب (حياة محمد) ، فقد حاول الكاتب أن يفسر القرآن بعلوم العصر ولم ينظر لعلوم العصر من خلال المفهوم القرآنى ، فأساء الخطة وفشل فى نهاية الأمر إذ وصل فى النهاية إلى لاشىء .. حاول أن يفسر رحلة الإسراء والمعراج وهل كانت بالروح أم بالجسد وهذه من المسائل التى أثارها المستشرقون فى العصر الحديث وهو فى أسلوبه متأثر بفكر المستشرق دِرْمَنْجم فقال ضمن ما قاله : « والعلم فى عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح ، ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ؛ كما أن تقابل قوى الكون فى صورة معينة قد طوع « لماركونى » إذا سلط تياراً كهربيا خاصا من سفينته التى كانت راسية بالبندقية ، أن يضىء بقوة الأثير مدينة « سدنى » فى أستراليا . وفى عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنطوى عليه كما يقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو وانتقال الصور والمكتوبات، كذلك ، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال . وما تزال القوى الكمينة فى الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد . فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد ، فأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ليريه من آياته ، كان ذلك مما يقر العلم . وكانت حكمة ذلك هذه المعانى القوية السامية فى جمالها وجلالها . والتى تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون فى نفس محمد تصويرا صريحا ، يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة فى الحياة ، وحاول الوصول إلى كنه الحقيقة العليا ليعرف حقيقة مكانه ومكان العالم كله منها .

ويستطرد الكاتب قائلا : « لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعانى ؛ لذلك ما لبثوا حين حدثهم محمد بأمر إسرائه أن وقفوا عند الصورة المادية من أمر هذا الإسراء وإمكانه أو عدم إمكانه ، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه أنفسهم بعضُ الرِّيب فيما يقوله . وقال كثيرون هذا والله الأمر البيِّن . والله إن العير لتَطَّرِدَ شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة ، أيذهب محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟! وارتدَّ كثير ممن أسلم . وذهب من أخذتهم الرِّيبةُ إلى أبى بكر وَحَدَّثوه حديث محمد ؛ فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه . قالوا : بلى ، ها هو ذاك فى المسجد يحدث الناس . قال أبو بكر : والله لئن كان قد قاله لقد صدق . إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعدُ مما تعجبون منه . وجاء أبو بكر إلى النبى واستمع إليه يصف بيت المقدس ، وكان أبى بكر قد جاءه ، فلما أتم النبىُ صفةِ المسجد قال له أبو بكر : صدقت يارسولَ اللهِ . ومن يومئذ دعا محمد أبا بكر « بالصديق ») (١)

فالكاتب أخطأ منذ بدأ ، إذ قال : والعلم فى عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح ، فهل القرآن فى حاجة إلى إقرار العلم أو عدم إقراره ؟! ، ثم إن القرآن لم يذكر أن الإسراء كان بالروح فنص الاية الكريمة (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) والآية لاتحتمل مثل هذا التفسير العقيم الذى يثير البلبلة وينمى الجدل ، ثم ما هى النتيجة التى وصل إليها من طول شرحه ، لاشىء ، فلا هو يجزم أن الرحلة كانت بالروح ولا هو يثبت عكس ذلك وعلّق الأمر على العلم ، والعلم عقلانى والعقل وحده لايكفى بحال من

---

(١) حياة محمد . لمحمد حسين هيكل ص ١٩٥ .

الأحوال فى مثل هذه الأمور الدينية لكنه يحتاج إلى القلب فى مثل هذه الأمور لأنه يسع ما لايسعه العقل ، وهكذا نستطيع أن نفسر موقف أبى بكر عند أول سماعه للخبر فإنه كذب الخبر لعدم ثقته فى النقلة الذين جاءوا به إليه وهذا عقل لأنه ظنه من الكذب الذى يفترونه على رسول الله ﷺ ، فلما تبين لديه أنه صدر من رسول الله سارع بتصديقه ولم يعمل عقله فى هذه الحالة لأن علم النبى أعظم ولا يحتمل الجدل فلم يناقش ويعلل أو يحاور . وهكذا يجب أن يكون شأن من آمن بالرسالة بحسبان أن علمه ﷺ ليس كعلم البشر لأنه وحى من السماء وما كل البشر يوحى إليه .

وللإمام الغزالى فصل نفيس فى أقسام العلوم العقلية والدينية يوضح فيه غاية الأمر المراد منهما ، ومما يقول فيه (أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض ، فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجا إليها كما أن العقل غيرُ كافٍ فى استدامة صحة أسباب البدن ... وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية ، والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لايمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة ...) .(١)

نخلص من هذا إلى نتيجة هامة هى الأ نتعامل مع العلوم الشرعية

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ١٦/٣

بمنطق العلم الحديث أى بنفس المناهج التى نتعامل بها مع العلوم العقلية ، بمعنى أنها لاتعتمدعلى العقل وحده عند الكلام عن الدين فالدين يخاطب القلب ، والدين نقل لاعقل ، اتباع لا ابتداع .

وهذه نقطة جوهرية ترتكز عليها العلوم الشرعية وهى منهج أصحاب الحديث من أهل السنّة والجماعة . أمثال مالك والشافعى وابن حنبل وغيرهم .

العلامـــات والصـــفات .

إنّ أهل الحديث نماذج بشرية رفيعة المنزلة ، عالية المكانة ، فهم أهل العناية والمحبة والمحاماة ، وطّنوا أنفسهم على صيانة حديث خير الأنام ، فتحصنوا بالقرآن ، وقَوَّوْا عزائمهم على العبادة والنسك ، فتجردوا لذلك من الأهواء ، وصانوا أنفسهم ، وطهروا جوارحهم ، وتحمسوا لحفظ السنّة ، فتيقظوا فيما بينهم ، وحرسوا غفلتهم احترازا من بغتات أعداء الدين من الزنادقة والكذّابين ، فلم يدعوا لهم غفلة ينتهزونها ولاعورة يقتحمونها ، ومن تتبع أخبارهم وتدارس أحوالهم ، فسوف يقف على حقيقة لايتعداها ، وهى أنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا .

ولا يظن امرؤ أن السبيل الذى خاضوه سهل الارتياد ، أو أن المنهج الذى اتبعوه سهل المحاكاة ، إذ لم يتركوا وراءهم مذهبا لذى إحسان ، ولا مرتقى لذى همة ، وهم لذلك حجة على البشر عامة ، وعلى المسلمين خاصة ، ولنا أن نفخر بهؤلاء الأجداد الأمجاد حملة السنّة المحمدية ، الذين ضربوا الأمثلة العالية فى الجد والاجتهاد ، حتى كان الواحد منهم أمة وحده ، وإن سيرة أحدهم لتُسْقِطُ دَعَاوَى المغرضين ، وتبطل كلام

المتكلمين فمن له مثل سيرة سفيان الثوري ومن له مثل هيبة مالك بن أنس ، ومن له مثل زهد أحمد بن حنبل ، وإن شئت فعدد العشرات بل والمئات أمثالهم من أعضاد الملة وحماة الدين الإسلامي في كل عصر من القرون الفاضلة الأولى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن ، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها » (١) .

وفي رواية « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثا ، ثم يَجِيءُ قوم من بعدهم يَتَسَمَّنُونَ ويحبون السِّمَنْ، يُعْطُونَ الشهادةَ قبل أن يُسْأَلُوهاَ » (٢) .

وجاء في تحفة الأحوذي بشرح الترمذي : « فقَرْنُهُ صلى الله عليه وسلم هم الصحابة ، وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة ، وقرن التابعين من مائة إلى نحو سبعين وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن ، وتغيرت الأحوال

---

(١) رواه الترمذي في باب ما جاء في القرن الثالث ؛ ح رقم ٢٢٢١ . من طبعة الحلبي ج ٤ ص ٥٠٠ ، الحديث رقم ٢٣٢٠ من طبعة المكتبة السلفية ، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ص ٤٧١ .

(٢) رواه الترمذي أيضا في كتاب الشهادات برقم ٢٣٠٢ ج٤ . ص ٥٤٨ طبعة الحلبي. ورقم ٢٤٠٣ طبعة المكتبة السلفية .

تغيراً شديداً .. » (١) .

وروى ابن عبد البر بإسناد له عن أبى عتبة الخولانى أن النبى ﷺ قال : بأن الله تبارك وتعالى لايزال يغرس فى هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته » قال أبو يعقوب:بلغنى عن أحمد بن حنبل قال : هم أصحاب الحديث » (٢) .

وَرُوِىَ عن عمر بن حفص بن غياث قال سمعت أبى وقيل له : ألا تنظرْ إلى أصحاب الحديث وما هم فيه ؟ قال : هم خير أهل الدنيا » (٣) .

وَرَوَى الحاكم النيسابورى بإسناد له عن معاوية بن قرة قال:سمعت أبى يحدث عن النبى ﷺ قال:لايزال ناس من أمتى منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » (٤) .

وسئل أحمد بن حنبل عن معنى الحديث فقال :

إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب بالحديث فلا أدرى

---

(١) تحفة الأحوذى بشرح الترمذى للمباركفورى ج ٦ ص ٥٨٦ ، ص ٥٨٧ بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، قام بنشره محمد عبد المحسن الكتبى . مطبعة المعرفة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ١٣٣ .

(٣) وهو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك النخعى (ت ١٩٤هـ) ولىّ للرشيد قضاء الشرقية ببغداد ثم عزله وولاه قضاء الكوفة ، وهو من أصحاب الأعمش ويقال أوثق أصحاب الأعمش . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ / ٤١٦ .

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم الإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى ص ٣ بتحقيق وتعليق السيد أ.د السيد معظم حسين – دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

من هم » (١) .

وعن أبى بكر بن عياش (*) قال : « إنى لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس ، يقيم أحدهم ببابى وقد كتب عني فلو شاء أن يرجع ويقول حدثنى أبو بكر جميع حديثه فعل إلا أنهم لايكذبون » (٢) .

وقال أبو عبد الله الحاكم النيسابورى : « إن اصحاب الحديث خير الناس ، وكيف لايكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم ، جعلوا غذاءهم الكتابة وسمرهم المعارضة ، واستروحهم المذاكرة ، وخلوقهم المداد ، ونومهم السهاد ، واصطلاءهم الضياء ، وتوسدهم الحصى ، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس ، فعقولهم بلذادة السنّة غامرة ، قلوبهم بالرضاء فى الأحوال العامرة ، تَعَلُّمُ السنن سرورهم ومجالس العلم حبورهم ، وأهل السنّة قاطبة إخوانهم ، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم » (٣)

تلك هى صفاتهم التى وصفهم بها العلماء ونريد أن نركز على بعضها حتى يتبين لنا مدى طهارة نفوسهم وعلومهم ، وملاحظتهم لقلوبهم وجوارحهم وأخذهم أنفسهم بالتأديب ومجاهدتهم لها بالتهذيب حتى يَصْلُحُوا لِحَمْل حديث رسول الله ﷺ وتبليغه للناس من بعدهم ، فمن صفات هؤلاء القوم وعلاماتهم نذكر ما يلى :

---

(١) المصدر السابق ص ٢ .

(*) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى المقرىء ت ١٩٣ هـ انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١١٣ .

(٢) ، (٣) معرفة علوم الحديث : للحاكم أبى عبد الله النيسابورى ص ٣ .

١ - رؤيا الأصطفاء :

لما كان الحديث أمراً شريفاً فى مغزاه فقد تعاهد هؤلاءالحفاظ نفوسَهم بالمجاهدة بتطهيرها من شوائب الأهواء ، وعمدوا إلى تطهير قلوبهم من الوساوس وعقولهم من الخواطر الصارفة حتى تصير قلوبهم أوعيةً نقيةً صالحةً لحفظ السنن وعقولهم ضابطة لروايتها فاجتمع لهم من الفضائل والمناقب مالم يجتمع لغيرهم ، وتشهد أخبارهم بأنهم أنماطٌ مختارةٌ من البشر ، وأنهم صفوةٌ متميزةٌ عن سائر الخلق بصفات تجمعهم ، على تفاوتٍ فيما بينهم فيها ، وعلاماتٍ تدل على اصطفائهم وتشهدُ بأنّ اللهَ سبحانه وتعالى - والله أعلم حيث يجعل رسالته - قد هداهم لهذا الشأن حفظا لكتابه من عبث العابثين وكيد الكائدين ، والأمر فى ذلك واضحٌ لايَخْفَى على لبيبٍ إدراكُه .

فمن هذه العلامات والصفات التى يشتركون فيها على تعددهم وتلاحق عصورهم أن يرى أحدُهم رؤيا الاصطفاءِ لنفسه أو يراها له غيره ، والرؤيا كما أُخبر عنها رسولنا ﷺ جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة (١) ، وقد قال أيضا فى حق العلماء:(إن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ) (٢) ومن أمثلة ذلك ما رواه قتيبة بن سعيد شيخ الأئمة الخمسة وأهم مشايخ الترمذى : « رأيت فيما يرى النائم أن مزادةً دُلِّيَتْ من السماء فرأيت الناس يتناولونها فلا ينالونها ، فجئت أنا فتناولتُها فاطّلعت فيها فرأيت

---

(١) صحيح الترمذى - أبواب الرؤيا جـ ٣ ص ٣٦٢ - الناشر محمد الكتبى . مطبعة الفجالة الجديدة .

(٢) صحيح الترمذى - ابواب العلم جـ ٤ ص ١٥٢ - الناشر محمد الكتبى - مطبعة الفجالة الجديدة .

ما بين المشرق والمغرب ، فلما أصبحت جئت إلى مضجع البزاز - وكان بصيرا بعبارة الرؤيا - فقصصت عليه رؤياى فقال : يابنى عليك بالأثر فإن الرأى لايبلغ المشرق والمغرب إنما يبلغ الأثر . » قال : فتركت الرأى فأقبلت على الأثر . » (١) .

وقال قتيبة أيضا : « قال لى أبى : رأيتُ النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم فى النوم بيده صحيفةٌ فقلتُ يارسولَ الله : ما هذه الصحيفةُ ؟ قال فيها أسامى العلماءِ ، قلت ناوِلْنى أنظرْ فيها اسم ابنى ، قال:فنظرت فإذا فيها اسم ابنى (٢) .

وَرَوَى الخطيبُ فى تاريخه أن البخارىَ فَقَدَ بَصَرَه فى صغره فجعلت أمُه تبكى وتدعو الله مدة فرأت فى المنام إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام فقال لها : ياهذه ، قد ردَ الله على ابنك بصرَه لكثرةِ بُكائك، أو لكثرة دُعائك » .. فأصبح وقد رَدَّ الله عليه بصرَه » . وفى هذا دلالة واضحة على أن البخارى سيكون له فى مستقبله شأن عظيم وقد كان .

وقيل إن أُمَّ أبى قِلابةَ أُرِيَتْ وهى حامل به كأنها وَلَدَت هُدْهُدًا فقيل لها:إن صَدَقَتْ رؤياكِ تلدين وَلداً يكثرُ الصَّلاةَ (٣) .

كذلك لما أَنْ حَمَلَتْ أمُّ الشافعى به « رأت كأَنَّ المشترى خرج من فرجها حتى انقض فى مصر ثم وقع فى كل بلد منه شظية فتأول أصحابُ الرؤيا أَنَّه يخرجُ عَالِمٌ يخصُّ أَهْلَ مِصْرَ ثم يتفرق فى سائر

(١ ، ٢) تاريخ بغداد ١٢/٤٦٤ .

(٣) راجع تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٢ ص ٥٨٠ وأبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشى الزاهد محدث البصرة ت ٢٩٦ هـ .

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطى ص ١٥٤ بتحقيق على عمر .

وفى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى رواية عن الشافعى يقول فيها عن نفسه : « رأيت علىّ بن أبى طالب فى النوم فسلم علىّ وصافحنى وخلع خاتمه فجعله فى أصبعى وكان لى عمٌ ففسرها لى فقال لى : أما مصافحتك لعلىّ فأمان من العذاب وأما خلع خاتمه وجعله فى أصبعك فسيبلغ اسمك ما بلغ اسم علىّ » (١) .

قال أبو زرعة الرازى : رأيت فيما يرى النائم كأنى فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وكأنى أمسح بيدى على منبر النبى ﷺ موضع المقعد والذى يليه والذى يليه ثم امسكته فقصصته على رجل من أهل سجستان كان معنا بحرّان فقال : هذا أنت تعنى بحديث النبى ﷺ والصحابة والتابعين - وكنت إذ ذاك لا أحفظ كثير شىء من مسائل الأوزاعى ومالك والثورى وغيرهم ثم عنيت بهم بعد (٢) .

وتلعب الرؤى دورا عظيما فى حياة أهل الحديث إذ يتم عن طريقها التوجيه والإرشاد ، فهى ضرب من العلوم الغيبية أو اللدنية ، غير مكشوف لعامة الناس يعلمه الملهمون منهم و « فن الحديث إلهام » كما قال عبد الرحمن بن مهدى (٣) .

فبينما نقرأ رواية الربيع بن سليمان التى أوردها ابن العماد الحنبلى فى الشذرات حيث يقول الربيع : كتب الشافعى إلى أحمد بن حنبل من مصر فلما قرأ الكتاب بكى فسألته عن ذلك فقال:إنه يذكر أنه رأى النبى

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٥ .

(٢) الجرح والتعديل لابن ابى حاتم ١/ ٣٣١

(٣) هو الحافظ الشهير عبد الرحمن بن مهدى بن حسان أبو سعيد البصرى من أئمة الحديث والنقد ت ١٩٨ هـ - انظر تذكرة الحفاظ ١ / ٣٢١ .

ﷺ وقال:أكتب إلى أبى عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه منى السلام وقل له إنك ستُمْتَحَنُ على القول بالقرآن فلا تُجِبْهم نَرْفَعْ لك علماً إلى يوم القيامة .. » (١) .

نجد عند ابن أبى حاتم فى مصنفه « الجرح والتعديل » روايةً فيما رؤِىَ لأحمد بن حنبل بعد مماته تحمل نبأ إنجاز ما وعد به رسول الله ﷺ ومفادُها أن بعضَهم رأى شابا توفى بقزوين فى المنام فسأله:ما فعل بك ربك ؟ قال غفر لى . فقال غفر لك ؟ قال:نعم وَتَعجبٌ ؟ ولفلان ولفلان .. ثم سأله:مالى أراك مستعجلا ؟ ! قال لأن أهل السموات من السماء السابعة إلى سماء الدنيا قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أُحمد ابن حنبل وأنا أريد استقباله » . وكان توفى أحمد فى تلك الأيام . (٢) .

والرؤيا الصالحة من الله ، والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقول : من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطانَ لايتمثلُ بِى » وقال لما سئل عن قول الله تعالى : لهم البشرى فى الحياة الدنيا (٣) قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له) (٤) .

ويروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى . قال : فشق

---

(١) شذرات الذهب ٢ / ٩٦ - ٩٨ .

(٢) الجرح والتعديل ١ / ٣١١ - وفى المصدر نفسه يقول عبد الرحمن الرازى : حدثنا محمد بن مسلم حدثنى الهيثم بن خالويه قال رأيت السندى والد حمط بن السندى فى النوم فقلت : ما حالك ؟ قال أنا بخير ولكن قد اشتغلوا عنى لمجىء أحمد بن حنبل . فسمعت محمد بن مسلمة يقول : يعتبر ما رآه الشاب القزوينى بهذه الرؤيا.

(٣) سورة يونس : آية ٦٤ .

(٤) الجامع الصحيح للترمذى ٣٦٤/٢ ط الفجالة .

ذلك على الناس فقال ، لكن المبشرات ، فقالوا يارسول الله وما المبشرات، قال رؤيا المسلم وهى جزء من أجزاء النبوة (١) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعتد بالرؤيا ، قال لحابس بن سعد الطائى وقد ولاه القضاء فقال له:يا أمير المؤمنين إنى رأيت الشمس والقمر يقتتلان ، فقال مع أيهما كنت ؟ قال مع القمر على الشمس قال : كنت مع الآية الممحوة اذهب فلست تعمل لى عملا ولا تقتلُ إلا فى لُبسٍ من الأمر فقتل فى يوم صفين (٢) .

لذا نجدهم ربما أخذوا بمبدأ الرؤيا فى الجرح والتعديل وربما كانت أحوال الرجال يتعارف عليها بطريق الرؤيا لاسيما إذا تكررت عند أكثر من واحد ، فنجد البخارى مثلا يتمتع بقدر كبير من الرؤى التى رآها له غيره وعلموا مدى توثيقه وتعديله عن طريقها فبينما يرى له بعض الصالحين رؤيا كأنه - أى البخارى - خلف النبى صلى الله عليه وسلم ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم يمشى فكلما رفع النبى قدمه وضع أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى قدمه فى ذلك الموضع (٣) تجد الرؤيا نفسها يراها له أخر ، ثم يرى له ثالث أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فسأله : أين تريد قال : فقلت أريد محمد بن اسماعيل البخارى فقال أقرئه منى السلام » .

وروى ابن حجر فى التهذيب بإسناده عن علىّ بن مسهر قال كتبت أنا وحمزة الزيات عن أبان (٤) سماعاً نحو خمسمائة حديث فلقيت

---

(١) راجع صحيح الترمذى ٣ / ٣٦٤ ط الفجالة .

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ١ / ١٩٤ .

(٣) تاريخ بغداد ٢/٤ وما بعدها ومقدمة فتح البارى ٤٩٠ .

(٤) هو أبان بن أبى عياش فيروز أبو اسماعيل البصرى ت ١٣٨ هـ كان شعبة سيّء الرأى فيه . وكان رجلا صالحا لكنه بلى بسوء الحفظ - انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ١ / ١٠٠ وما بعدها .

حمزة فأخبرني أنه رأى النبي ﷺ في المنام قال فعرضتها عليه فماعرف منها إلاّ اليسير خمسة أو ستة فتركنا الحديث عنه ، كذلك يرى له آخر رؤيا تحمل نفس المعنى يقول ابن حجر: وقال العقيلي : حدثنا احمد بن على الأبار قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله أترضى أبان بن أبي عياش قال : لا ،

كما كانوا يلهمون التوجيه للتلقي والسماع عن طريق الرؤيا ، فعن أحمد بن عيسى قال : أتيت في منامي فقيل لي عليك بمجلس عاصم (*) فإنه غيظ لأهل الفكر ، (١) .

وقد تُعْلم قيمة علم الحافظ وقدره عن طريق الرؤيا حتى بعد موته فقد رَوَى أبو عمرو الخَفّاف غيرَ مرَّةٍ يقول : رأيت الذّهْلي في النوم فقلت: ما فعل بكَ رَبكَ قال:غفر لي . قال:فما فعل بعلمك قال : كُتِبَ بماءِ الذهب وَرُفِعَ في عِلِّيّين ، (٢) .

وأرواحُهم جنودٌ متصلةٌ تَشْعرُ على البُعْد ، جاء رجلٌ إلى سفيان الثوري فقال:يا أبا عبد الله رأيت كأن ريحانة قُلِعَتْ مِنَ الشام فَذُهِبَ بها في السماء . قال سفيان : إن صَدَقَتْ رؤياك فقد مات الأوزاعي . فجاءه نعيُ الأوزاعي في ذلك اليوم (٣) .

رأى بعضهم شُعْبةَ بنَ الحَجّاج في المنام فقال له : أيّ الأعمالِ وجدت

(*) عاصم بن علي ابو الحسين التيمي ت ٢٢١ هـ ، من شيوخ البخاري وأحمد بن حنبل ، كان مجلسه يحرز بأكثر من مائة ألف إنسان .

(١) الذهبي في تذكرة الحفاظ ١ /٣٩٧ .

(٢) الذهلي : هو محمد بن يحي النيسابوري آخر مشايخ الترمذي الكبار - تهذيب التهذيب ٩/ ١١٥ .

(٣) انظر الجرح والتعديل ١/ ٢١٠ .

أشد عليك قال : التَّجَوّزُ في الرجال (١) .

ومما ذكر عن الرؤيا لسفيان الثورى بعد مماته ما رواه يزيد بن أبى حكيم (*) من أنه رأى النبىّ ﷺ، فقال يارسول الله إنّ رجلاً من أمتك يقال له سفيان الثورى لا بأس به ؟ قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم لابأس به . قلت : حدثنا عن أبى هارون عن أبى سعيد عنك أنك لقيت ليلة الإسراء يوسف فى السماء ؟ قال : صدق ، (٢) .

ويروى أبو كريمة المعبِّر الكوفى قال : قال رجل ذكر أنه رأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة فإذا هو بابن عبيد وابن عون وأيوب وسليمان التيمى – وذكر قوما من أهل البصرة من أهل الحديث لم أحفظ إلاّ هؤلاء الأربعة – يَتَحَدَّثون فى روضةٍ من رياض الجنة قال: فَخَطَرَ بِقَلْبى ذكرُ سفيانِ الثورى فقال لهم : لقد كان سفيان الثورى عندنا من خيار الناس فما لى لا أراه فيكم ؟ فقالوا بأبصارهم إلى السماء فقالوا : ما نرى سفيان إلاّ كما نرى النجم (٣) .

وَيُرْوَى عن الوليد بنِ مسلمٍ أنه قال : رأيت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى المنام فسلمت عليه وإذا شيخ جالس إلى جَنب النبىّ ﷺ وإذا الشيخ قد أقبل على النبى ﷺ يحدثه والنبى مقبل على الشيخ يسمع حديثه فسلمت على النبى ﷺ فرد علىّ السلام ثم جلست إلى بعض جلسائه فقلت من الشيخ الذى قد أقبل عليه النبى ﷺ وهو يسمع

(١) تذكرة الحفاظ ١/١٩٥.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١/١١٩.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٢٢ .

(*) هو يزيد بن أبى حكيم الكنانى العدنى روى عنه إسحق بن راهويه وعبد الله بن منير وآخرون مات بعد سنة ٢٢٠ هـ .

حديثه ؟ قال وما تعرف هذا ؟ قلت لا ، قال: هذا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى، قلت إنه لذو منزلة من رسول الله ﷺ قال : أجل ، ثم حانت منى التفاتة فإذا أنا بالأوزاعى قائم فى مصلى النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وعلى الرّغم من كون الرؤى تشهد بصلاح أهل الحديث وتوضح للناس أحوالهم إلا أن أكثرهم يميلون إلى إخفاء أمورهم وسترها عن الناس تورعا ؛ فقد روى أن مَخْلَد بنَ حسين قال : رأيت كأن الناس بَرَزوا فى صعيد واحد ، فبرز من الناس مالا يوصف فغشيتهم غَبَرَةٌ فماج الناس بعضُهم فى بعض فسمعت مناديا ينادى من السماء ألاَ اقتدوا بإبراهيم بن محمد - يعنى أبا إسحاق الفزارى - فَذَكَر مرتين ومد بها مَخْلدُ صوتَه ، قال : كما أحكى ، قال : فذكرتها لأبى إسحاق فأقسم علىّ أن : لا أُخبِرَ به حتى أموت ، وكنت قد أخبرت بها قبل ذلك فأمسكت، فلما مات أخبرت بها (٢) .

نعم إنّ أغلبَ المحدثين كانوا يميلون إلى إخفاء حالهم عن الناس ، وكان أحمد بن حنبل يقول : طوبى لمن أَخْملَ اللهُ ذِكْرَه (٣) .

واعتبَرَ بَعضُهم اشتهارَ الحالِ من الذنوب كابن إدريس الأَوْدِى الكوفى (٤) ، أرسل إليه هارون الرشيد طلبه ليوليه القضاء فخر مغشيا عليه فَلَمّا أفاق قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون صار يعرفنى حتى كَتَبَ

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١/ ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٦ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٣٠٦ .

(٤) هو عبد الله بن ادريس بن يزيد الكوفى احد الاعلام قال احمد بن حنبل كان ادريس نسيج وحده توفى سنة ١٩٢ هـ .

إلىّ أىَ ذنب بلغ بى هذا (١) وامتنع عن القضاء .

٢- حرصهم على الرحلة فى طلب الحديث والصبر عليه :

قال أبو حاتم (البستى) : « فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين وهدوهم إلى الصراط المستقيم ، الذين آثروا قَطْعَ المفاوزِ والقفار على التّنعّمِ فى الديار والأوطان فى طلب السنن فى الأمصار ، وجمعِها بالوحلِ والأسفارِ والدورانِ فى جميعِ الأقطارِ ، حتى إنّ أحدَهم ليرحل فى الحديث الواحد الفراسخَ البعيدةَ ، وفى الكلمة الواحدة الأيامَ الكثيرةَ لئلا يُدْخِلَ مُضِلٌّ فى السنن شيئا يُضِلُّ به ، وإن فَعَلَ فَهُمُ الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذبَ ، والقائمون بنصرة الدين » (٢).

- رُوِى عن أبى قلابة أنه قال :

أقمتُ بالمدينة ثلاثا مالِىَ بِها من حاجةٍ إلا حديثٌ بلغنى عن رجل أقمت عليه حتى قَدِمَ فسألتُه (٣) .

وكان لهم فى تحصيل العلم نظر ثاقب وبصيرة نافذة فكانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه العلم نظروا إلى صلاتِه وَهَدْيِهِ وَسَمْتِهِ ، قال أحدهم وهو إبراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة (ت ٩٦) : إذا رأيتَ الرجلَ يتهاون بالتكبيرةِ الأولى فاغسلْ يدَكَ عنه) (٤) :

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ٢٨٢ .

(٢) أبو حاتم البستى ، كتاب المجروحين ج ١ ص ٢٧ .

(٣) محمد بن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ج ٧ / ١٣٤ .

(٤) ابن الجوزى ، صفة الصفوة ، ج ٣ ص ٨٨ .

٣ - قوة الحافظة وسيلان الذهن :

الحفظ صفة من الصفات الوثيقة التى يوصف بها أهل الحديث وبها يعرفون باسم حفاظ الحديث ، فمن لم يحفظ الحديث فليس هو من أصحابه ، وليس المراد بحفظ الحديث هو حفظ المتن فقط بل المتن والإسناد جميعا .

وتعد صفة الحفظ أهم الصفات التى تُبرزُ ألمَعِيَّةَ أذهانهم ؛ قال أبو زُرْعة الرازى : كان أحمدُ بن حنبل يحفظ ألفَ ألفَ حديثٍ ، قيل له وما يُدْرِيكَ ؟ قال : ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبوابَ (١) .

ومع استعراض قائمة الحفاظ وعدد الأحاديث التى يحفظها كلّ واحد منهم نجد أنفسنا بإزاء صفة كبيرة تستحقّ الدراسةَ والتأملَ فلا يجبُ أن تمرَّ هكذا مرَّ الكرام دونَ التعرضِ لها ولو بالتعليقِ عليها والتنبيه على دراسةِ مقوماتِها لأنها ظاهرةٌ تستحق البحثَ لأنه ربما يجد بعض الناس فى عصرنا الحديث من نفوسهم غضاضةً فى تصديق الروايات الخاصة بحفظ الحفاظ فينكرون بعضها ، ويستغربون أكثرها فيكون إنكارهم هذا على غير حق ، واستغرابهم عرضيا سطحيا لايقوم على أساس . فنحن نجد أهل الحديث على كثرتهم وَتَبَهْبُهِهِم (٢) على مر القرون الثلاثة الأولى يَحْيَوْنَ حياةً غيرَ عادية أى غير حياة السواد ، إنها حياة الجهاد الدائم ، جهاد النفس، حياةُ مَنْ يتزودُ من الدنيا للآخرة وليست العامةُ تألفُ هذا النوعَ مِنَ المعيشة . كذلك فإنّ للنشأة والبيئة مدخلا

---

(١) تدريب الراوى لجلال الدين السيوطى ، الطبعة الثانية ٥/١ .

(٢) (تبهبه) نبل وزاد فى جاهه عند السلطان ؛ وتبهبهوا : تشرفوا وتعظموا - والبهبهى : الجسيم - قاموس .

كبيراً فى تبلور هذه الظاهرة ، فإن من يبحث فى صفحات نشأة أحدهم سوف يلاحظ أن منهج التعليم الذى سار على نهجه فى صغره قد ساعد فى تنمية قوة الحافظة لديه حيث كان يبدأ بحفظ القرآن فى الكتّاب إلى جانب حفظ الأشعار وغيرها مما يساعد على تعويد الحافظة على الاستيعاب وتخزين ما تم استيعابه ، ثم دوام المذاكرة وحياة العلم - كما يقولون - مذاكرتُه،وكانوا لايسأمون من المذاكرة ومداومة الكتاب . كان يحيى بن معين يقول : لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه (١) . وحكى الشافعى عن نفسه : كنت وأنا فى الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبى الآية فأحفظها .. ثم لمّا خرجت من الكتّاب كنت أتلقط الخزف (٢) والدفوف (٣) وكرب النخل (٤) وأكتاف الجمال ، أكتب فيها الحديث وأجيء إلى الدواوين فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمى حباب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ، ثم إنى خرجت عن مكة فلزمت هُذَيْلاً فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طَبْعَهَا وكانت أفصحَ العرب .. » (٥) . هذا القدر الكبير من المواد العلمية فى سن الطفولة ثم الصبا ثم الشباب مع اعتبار البيئة الساذجة والحياة السهلة البسيطة البعيدة عن التعقيد وتوجيه الجهد فى سبيل التحصيل مع الاستعداد النفسى كل ذلك ساعد على حفظ مادة غزيرة منقوشة فى صفحات الذاكرة نقشا عميقا .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٠ وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٢ .

(٢) الخزف : الفخّار .

(٣) الدفوف : الجلود التى يعمل منها الطبل جمع دف .

(٤) كرب النخيل : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٥) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٤ مطبوعات دار المأمون .

ومما روى فى قدر حفظ الحفاظ ؛ قول الشعبى : ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومى هذا ، ولاحدثنى رجل بحديث قط إلاّ حفظته ولا أحببت أن يعيده علىّ ، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه أحد لكان به عالما » (١) .

وقول الشافعى حفظت القرآن وأنا ابن سبع ،وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر (٢) .

وسأل هشام بن عبد الملك بن مروان الزهرىّ أن يملى على بعض ولده شيئا فأملى عليه أربعمائة حديث . وخرج الزهرى فقال : أين أنتم يا أصحاب الحديث ؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة ثم لَقِىَ هشاما بعد شهر أو نحوه فقال للزهرى : إن ذلك الكتابَ ضاعَ ، فدعا بكاتبٍ فأملاها عليه ، ثم قَابَلَ كتابَه الأولَ فما غادرَ حرفاً واحداً (٣) .

ويروى أنه قيل لهُشَيْم بن بشير الواسطى (ت ١٨٣) كم كنت تحفظ يا أبا معاوية ؟ قال . كنت أحفظ فى مجلسٍ مائةً ولو سئلتُ عنها بعد شهر لأجبتُ .) (٤) .

قال سليم بن مجاهد : قال لى محمد بن إسماعيل - البخارى - يوما : لا أجيءُ بحديثٍ عن الصحابةِ والتابعينَ إلا عرفتُ مولدَ أكثرِهم ووفاتَهم ومساكنَهم وَلَسْتُ أَرْوِي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين - يعنى من الموقوفات - إلا وله أصل.أحفظ ذلك من كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ٨٤/١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩ / ٢٧ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١١٠/١ .

(٤) ابن الجوزى ؛ صفة الصفوة ج ٣ ص ١٦ .

. وقال على بن الحسين بن عاصم البَيْكَنْدى : قدم علينا محمد بن إسماعيل فقال له رجل من أصحابنا:سمعت إسحق بن راهويه يقول : كأنّى أنظرُ إلى سبعينَ ألفِ حديثٍ من كتابى فقال له محمد بن إسماعيل: أوتعجب من هذا القول لعل فى هذا الزمان من ينظر إلى مائتى ألف من كتابه ، وإنما عنى نفسه . وقال محمد بن حمدويه : سمعت البخارى يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح » (١)..

وقال أبو داود الخفاف : سمعت إسحاق – يعنى ابن راهويه – يقول: لكأنى أنظر إلى مائة ألف حديث فى كتبى وثلاثين ألفا أسردها وقال:أَمْلَىَ علينا إسحاق أحدَ عشرَ ألفِ حديثٍ من حفظه ثم قرأها علينا فما زاد حرفا ولا نقص حرفا (٢) .

وعن أبى زُرْعَةَ أَنّ رجلا استفتاه أنه حلف بالطلاق : أنك تحفظ مائة ألف حديث فقال تَمَسّكْ بإمراتك وقال رجل سمعت أحمد يقول : صح من الحديث سبعمائة ألف وكسر وهذا الفتى ، يعنى أبا زرعة قد حفظ ستمائة ألف حديث (٣) .

وقيل إن بعض المحدثين امتحن أبا عيسى الترمذى بأن قرأ له أربعين حديثا من غرائب حديثه ، فأعادها من صدره فقال : ما رأيت مثلك (٤) .

---

(١) مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٤٨٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ١/ ٢١٧ .

(٣) انظر التذكرة للذهبى ٢/ ٥٥٧ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٣٣ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٥ .

لقد كانوا يتعاهدون جوارحهم بالعناية ويحفظون نقاوة قلوبهم فلا يكادون يستمعون إلى اللهو أو اللغو ويسدون آذانهم عما لافائدة فيه.

رَوَى ابنُ عونٍ قال : جاء رجل إلى محمد (هو ابن سيرين) فذكر له شيئا من القدر فقال محمد بن سيرين : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكّرون . قال : ووضع إصبعى يديه فى أذنيه وقال : إما أن تخرج عنى وأما أن أخرج عنك ؟!

قال : فخرج الرجل ، قال : فقال محمد - بن سيرين - إن قلبى ليس بيدى ، وإنى خفت أن ينفث فى قلبى شيئا فلا أقدر على أن أخرجه منه فكان أحبّ إلىّ أن لاأسمع كلامه .) (١)

وقد بلغ من شدة الحفظ وإرهاف الحس عندهم أن بعضهم كان يسد أذنيه اتقاء أن يسمع مالا يريد فيستقر فى حافظته ؛ فيُرْوَى عن أبى زُرْعَةَ الرازى أنه قال : « ما سمع أذنى شيئا من العلم إلا وعاه قلبى وإن كنت لأمشى فى سوق بغداد فأسمع من الغرف صوتَ المغنياتِ فَأَضَعُ إصبعى فى أذنى مخافة أن يَعِيَهُ قَلْبى » (٢) .

وقد اشتهر وكيعُ بنُ الجراح بالحفظ فلما سُئِلَ عن دواءِ الحفظ قال: ترك المعاصى ما جربت مثلَه للحفظ » (٣)

وتبارى القوم فى الحفظ فكانوا يسألون عن أسباب تقويته

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٤٤ .

(٢) تهذيب التهذيب ٧ / ٣٢ .

(٣) المصدر السابق ١١/١٢٩ .

ويصفون للناس ما يعين عليه فنسمع أن عليًا رضى الله عنه قال : عليكم بالرمان الحلو فإنه صلوح المعدة ، وأن رجلا شكا إليه النسيان فقال : عليك (باللبان) فإنه يشجع القلب ويذهب النسيان ، وقال ابن عباس : حلق القفا يزيد فى الحفظ .. وقال الزهرى : عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ وقال أيضا من سرَّه أن يحفظ الحديث فليأكل الزبيب (١) وغير ذلك من هذه الأقوال كثير ، حتى لقد حاول بعض العلماء أن يحدد علامات الحفظ وأيات النباهة بذكر صفات فى هيئة المرء ومزاجه تدل على استعداده للحفظ أو عدم استعداده (٢) ولكن أفصح الأقوال فى سر قوة الحافظة هو ما قاله وكيع من قبل .

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى (*) :

(.. ليس فى الأمم ممَّن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله على وجه يحصل به الثقة إلاَّ نحن ، فإنه يروى الحديث منا خالف عن سالف وينظرون فى ثقة الراوى إلى أن يصل إلى رسول الله وسائر الأمم يروون ما يذكرونه عن صحيفة لايُدْرَى من كتبها ، ولا يُعْرفُ من نقلها ، وهذه المنحة العظيمة نفتقر إلى حفظها ، وحفظها بدوام الدراسة ، ليبقى المحفوظ . وقد كان خلق كثير من سلفنا يحفظون الكثير من الأمر ..) (٣) .

(١ ، ٢) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ للإمام ابى الفرج بن الجوزى نشر دار الدعوة بالاسكندرية .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣ .

(*) ابو الفرج اسمه عبد الرحمن بن على بن الجوزى وينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومؤلفاته تربو على الخمسمائة مصنف ت ٥٩٧ هـ . راجع ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢ .

وأما المنقولات فى حفظ الحفاظ فكثيرة ويكفى منها ما سبق وحسبنا مما ذكرناه من الروايات أن الحفظ وسيلان الذهن صفة عامة تشمل أهل الحديث جميعهم حتى اشتهروا بها وتنافسوا فى هذا الميدان تنافسا كبيرا حتى شهد بعضهم لبعض بالتفوق فى هذا المضمار كقول إسحاق بن راهويه عن حفظ وكيع : كان حفظه طبعا وحفظنا بتكلف . كما قال يحيى بن يحيى:لم أر فى الرجال أحفظ منه (١) .

٤ - الزهادة فى الدنيا والاجتهاد فى العبادة :

دخل حفاظ الحديث حلبة العلم من باب « اتقوا الله ويعلمكم الله » (٢) فلم ينالوه إلاّ بتمام التقوى ، وصفحات السيرة لكل منهم حافلة باجتهادات عظيمة وتربية إسلامية عالية شعارها « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » (٣) فكان كلٌ ينال حظه من العلم بقدر حظه من التقوى قال ابن المنكدر : كابدت نفسى أربعين سنة حتى استقامت » (٤) كما قال الشعبى : إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك والعقل ؛ فإن كان عاقلا بلا نُسُكٍ قيل هذا لاينالهُ وإن كان ناسكا ولم يكن عاقلا قيل هذا أمر لاينالهُ إلا العقلاءُ (٥) . وضربوا فى النسك أمثلة بالغة واتفقوا على أنه ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة ؛ والأمر عندهم ليس بالمظهر والهيئة ولا بشىء من هذا القبيل ، ومن

---

(١) تهذيب التهذيب ١١/ ١٣٠ .

(٢) البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٣) المطففين : الآية ٢٦ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٧ .

(٥) تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٧.

الكلمات الدالة على حقيقة الزهد عندهم قول الثورى : الزهد فى الدنيا قصرُ الأمل ؛ ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء » (١) فهذه كلمات نابعة من جوف من كابد التجربة ومارس الاجتهاد . ثم هم لم يعرضوا عن الدنيا وزخارفها عن ضعف أو عن فقر وقد كانت تعرض عليهم الأموال والمناصب فعزفوا عن كل ذلك مَحَبَّةً فى الله ورسوله ، ونهوضا بأمر الرسالة التى تركها الرسول أمانة فى أعناقهم على مر القرون .

اشتكى سفيان الثورى ذات يوم فذهب بعض أصحابه بمائه فى قارورة إلى المتطبب فنظر إليه فقال : بول من هذا ؟ ينبغى أن يكون هذا بَوْلَ راهبٍ ، هذا بولُ رَجُلٍ قد فَرَتَ الحزنُ كبده .. ما أرى لهذا دواء (٢).

ونقرأ فى سيرة البخارى أيضا أنه مرض فعرضوا ماءه على الأطباء فقالوا : إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لايأتدمون ، فصدقهم محمد بن إسماعيل البخارى وقال لم أتدم منذ أربعين سنة فسألوا عن علاجه فقالوا:علاجه فى الأدم ، فامتنع حتى ألح عليه المشايخ وأهل العلم فأجابهم إلى أن يأكل مع الخبز سكرة » (٣) .

وقد يعجب بعضهم من سمو أخلاق أهل الحديث ونفاذ بصيرتهم وحدة أذهانهم ، فإذا علم منهم قسوة مجاهداتهم لأنفسهم وشدة ما يعانونه فى تبتلهم ذهب عنه هذا العجب لأنه سوف يرى ما هو أعجب ، لقد كان أحدهم إذا أصبح يمد رجليه إلى الحائط ويجعل رأسه إلى الأرض كى يرجع الدم إلى مكانه من طول قيام الليل . (٤) .

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ١٠١ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٩٢ .

(٣) مقدمة فتح البارى ٤٨٣ .

(٤) الجرح والتعديل ١/ ٩٥ .

قال الواقدى : كان ابن أبى ذئب (١) يصلى الليل أجمع ويجتهد فى العبادة فلو قيل له إن القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيد من الاجتهاد ، وقال أخوه: إنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ثم سرده ، وكان شديد الحال يتعشى بالخبز والزيت وكان من رجال العلم صرامة وقولا بالحق ، وكان يحفظ حديثه ، لم يكن له كتاب . وقال أحمد : دخل ابن أبى ذئب على أبى جعفر يعنى المنصور فلم يهله أن قال له : الظلم ببابك فاش،وأبو جعفر أبو جعفر ،وحَيّاه يومًا المنصورُ فلم يَقُمْ له ، فقيل له:لاتقوم لأمير المؤمنين ؟ فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين . (٢)

عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الربيع بن خيثم) ، وكان الربيع بن خيثم هذا كثير العبادة كثير البكاء ، قالت له ابنته يوما : ياأبتاه مالى أرى الناس ينامون ولا تنام ؟ قال : إن جهنم لاتدعنى أنام) وقال له بعض أصحابه : لوجالستنا . فقال . لو فارق قلبى ذكر الموت ساعة فسد عليه .) (٣)

ويقول صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل فيما يرويه فى زهد والده :

« .. كان كثيرا ما يأتدم بالخل ، وربما رأيته يأكل الكسر فينفض الغبار عنها ثم يصيرها فى قصعة ويصب عليها الماء الساخن حتى تلين، ثم يأكله بالملح ، وما رأيته قط اشترى رمانا ولا سفرجلا ولا شيئا من

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبى ذئب هشام بن شعبة القرشى العامرى المدنى الفقيه ومولده سنة ثمانين روى عن عكرمة ونافع وخلق ، قال احمد بن حنبل كان يُشَبَّه بسعيد بن المسيب وما خَلّف مثله . كان افضل من مالك بن انس إلا ان مالكا اشد تنقية للرجال منه – شذرات الذهب ج ١ / ٢٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٦ .

(٣) ابن الجوزى : صفة الصفوة ج ٣ / ٥٩ .

الفاكهة ، إلاَّ أن يشترى بطيخة فيأكلها بالخبز أو عنبا أو تمرا فأما غير ذلك فما رأيته ، وما اشتراه » (١) .

وربما كان أحدهم يأتيه جماعة من الجن ليحضروا ختم القرآن معه ، ففى الخبر أن أبا عمران الثمار قال : غدوت يوماً قبل الفجر إلى مسجد الجفرى (هو الحسن بن أبى جعفر الجفرى ت ١٦٧) فإذا باب المسجد مغلق وإذا حسن جالس يدعو ، وإذا الضجة فى المسجد وجماعة يؤمنون على دعائه وحسن يدعو . قال فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه فقام فأذن وفتح باب المسجد فلم أر فى المسجد أحداً . فلما أصبح وتفرق عنه الناس قلت له : يا أبا سعيد إنى والله رأيت عجبا ! قال : ما رأيت ؟ فأخبرته بالذى رأيت وسمعت . فقال : أولئك جن من أهل نصيبين يجيئون فيشهدون معى ختم القرآن كل ليلة جمعة ثم ينصرفون (٢) .

وكان أحمد بن حنبل سيد المحدثين فى زمانه يرفض هدايا الخلفاء وعاش على ذلك دهره ويرضى بأن يأخذ الكسر فينفض عنها الغبار ثم يصيرها فى قصعة ويصب عليها ماء حتى تبتل ويأكلها بالماء (٣) .

من هذا الحديث يتبين لنا مبلغ ما نهج القوم من التشديد على أنفسهم لا عن كزازة فى الطبع ولا ضيق ذات اليد أو عجز عن ملابسة

---

(١) سيرة الإمام أحمد بن حنبل لأبى الفضل صالح أحمد بن حنبل . ص ٤١ . بتحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد – طبعة دار الدعوة – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ م .

(٢) صفة الصفوة ، لأبى الفرج ابن الجوزى ، ج ٣ / ٣٦٣ ، بتحقيق محمود فاخورى .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ١ / ٣٠٤ .

الدنيا إنما لكى يصلحوا لحمل حديث النبى صلى الله عليه وسلم واتباع سنته وكانوا يرون أن ذلك أعون لهم على تثبيت العقيدة فى النفوس لاسيما وأن العصر كان عصر فتنة وابتداع ، وكانوا أيضا يعلمون أنهم مقتدون ومُتَّبَعُونَ فأخذوا يدرأون عن أنفسهم الشبهات ويقطعون الشك باليقين ، فانعكس نورعبادتهم على أعمالهم وأبدانهم ولِمَ لا وهم هداةُ الأمة وحماةُ العقيدةِ ، روى بعض أصحاب وكيع بن الجراح ما شاهده عليه من أمارات الإخبات والتبتل .. قال : أتينا يوما وكيع بن الجراح فلم يخرج إلينا فظننا أنه يغسل ثيابه فلما كان بعد غد خرج ونحن قعود وعليه ثيابه التى غسلت فلما بصرنا به فزعنا من النور الذى يتلألأ من وجهه وقال لى رجل كان بجنبى : من هذا ؟!! ملك هذا !! فتعجبنا من ذلك النور (١) .

وعلى الرغم من علو قدرهم بين القوم لما حازوه من شرف العلم وحلو الشمائل إلا أنهم كانوا يتحرجون من مسئولية ما حملوه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشيد أخبارهم بأن لسان حال الواحد منهم كان يقول : وددت أنى نجوت من هذا العلم كفافا لا لىّ ولا علىّ – ورد عن شعبة بن الحجاج أنه قال كان سليمان التميمى (٢) إذا حدثنا بأحاديث يرفعها إلى النبى ﷺ تغيّر وجهه (٢) وكان سفيان الثورى يقول : ما من عملى شىء أنا أخوف منه من هذا – يعنى الحديث

---

(١) مقدمة الجرح والتعديل ١ / ٢٢٢ .

(٢) هو سليمان بن عبد الرحمن الحافظ الكبير أبو سليمان الدمشقى فقيه أهل دمشق ت ٢٣٣ هـ .

(٣) الجرح والتعديل ١ / ١٤٢ .

- كذلك قال هشام الدستوائى (١) ليتنا ننجوا من هذا الحديث كفافا لا لنا ولا علينا) (٢) . وقال شعبة : ما من شىء أخوف عندى أن يدخلنى النار من الحديث وقال أيضا : وددت أنىّ وقاد حمام ولم أعرف الحديث) (٣) .

٥ - الفطنة والزكانة والفراسة :

أهل الحديث أهل علم وبيان ولباقة وبصيرة ، هداهم نور القرآن ونور الحديث النبوى إلى نوع من القدرة الذهنية لايكاد يتوافر إلاّ لديهم، فالفطنة والذكاء والفراسة صفات يتميزون بها إذ ليس منهم سفيه أو متغافل ، فأذهانهم دائما حاضرة وعقولهم دائما حكيمة والروايات عنهم فى هذا المجال كثيرة نتخير منها ما يحقق لنا ما نريده من إظهار حصافتهم ؛ قال أبو زرعة الرازى : ذهب بى أبى إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكى (*) فلما رأيته نفرت من هيبته .. فلم أزل أدنو منه وانظر إليه ولا أجسر من الهيبة أن أدنو .. فقال لى اخرج يدك فأخرجت يدى فنظر إلى شقوق فى باطن أصابعى فتفرس فىّ فقال لأبى: إن ابنك هذا سيكون له شأن ويحفظ القرآن والعلم ، وذكر أشياء » (٤).

---

(١) أمير المؤمنين فى الحديث كان يبيع الثياب المجلوبة من دستواء إحدى كور الأهواز لذلك يقال له الدستوائى قال شعبة : ما فى الناس أحد أقول إنه طلب الحديث يريد به الله إلا هشاماً الدستوائى . ت ١٥٢ هـ .

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١ / ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق ١ / ١٩٧ .

(*) هو أبو محمد الرازى ورآه أبو حاتم الرازى وقال : صدوق ، كان رجلا صالحا .

(٤) انظر الجرح والتعديل ١ / ٣٣٩ .

وروى الفريابى عما رآه من فطنة سفيان الثورى وفراسته فقال : رأينا سفيان الثورى بالكوفة وكنا جماعة من أهل الحديث ننزل فى دار فلما حضرت الصلاة الظهر دلونا له دلوا من بئرفى الدار فإذا الماء متغير فقال : مابال مائكم هذا ؟! قلنا هو كذا منذ نزلنا هذه الدار ، فقال: ادلوا دلوا من بئر الدار التى شرقيكم ، فإذا ماء أبيض ثم قال ادلوا دلوا من بئر الدار التى شأمكم ، فإذا ماء أبيض ، فقال ادلوا دلوا من بئر الدار التى غربكم ، فإذا ماء أبيض ، فقال أن لبئركم هذه لشأنا فحفرنا فأصبنا عرق كنيف ينزّ فيه فقال لنا : مذ كم نزلتم هذه الدار ؟ فقلنا أربع سنين ، فأمرنا بإعادة صلاة أربع سنين فيها ركعتا الفجر وركعتان بعد المغرب والوتر » (١) .

وهذا الشعبى قد وجهه عبد الملك بن مروان رسولا إلى ملك الروم فلما ردّ قال : ياشعبى « تدرى ما كتب به إلى ملك الروم ؟ كتب إلىّ العجب لأهل دينك كيف لم يستخلفوا رسولك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين لأنه رآنى وما رآك . ذكر ذلك الأصمعى وزاد بها : إنما أراد أن يغرينى بقتلك فبلغ ذلك ملك الروم فقال : ما أردت إلا ذاك » (٢) وسئل الشعبى : « ما اسم امرأة إبليس ؟ قال ذاك عرس ما شهدته » (٣) .

ومن فراسة الأعمش (٤) أنه جاءه وكيع بن الجراح فقال له:حدثنى ،

---

(١) انظر الجرح والتعديل ١/ ٦٠ .

(٢، ٣) تذكرة الحفاظ للذهبى ٧٩/١ .

(٤) هو سليمان بن مهران الأعمش كان ثقة ثبتا فى الحديث ، حفظ العلم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالكوفة ، كان محدث اهل الكوفة فى زمانه ت ١٤٨ هـ . انظر ترجمته فى طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٦٧ .

قال له الأعمش : ماإسمك ؟ فقال وكيع.« قلت : وكيع، قال : اسم نبيل ما أحسبه إلا سيكون لك نبأ » وصدقت فراسة الأعمش فكان وكيع من كبار الأئمة .

٦ - إجابة الدعاء :

وتروى فى ذلك حكايات تدعو إلى الدهشة نذكر منها مثلاً ما وقع للبخارى مع خليفة الظاهرية ببخارى حين امتنع البخارى عن تعليم أولاد خالد بن أحمد الذهلى الأمير فى منزله فاستعان هذا الأخير ببعض أهل العلم على البخارى حتى تكلموا فى مذهبه ونفاه عن البلد ، فدعا عليهم ابو عبد الله البخارى وقال « اللهم أرهم ما قصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهاليهم ؛ فأما خالد فلم يأت عليه إلاّ أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع .

وأما حريث بن أبى الزرقاء الذى استعان به خالد ضد البخارى فإنه ابتلى بأهله فرأى فيها ما يجل عن الوصف .

وأما فلان - أحد القوم - فإنه ابتلى بأولاده وأراه الله فيهم » (١)

ومنها أن الخليفة المستعين بعث إلى نصر بن على الجهضمى الحافظ العلامة أحد مشايخ الأئمة الستة ليشخصه للقضاء ، فدعاه مُتَوَلِّى البصرة فأخبره بما عزم عليه الخليفة فقال نصر : استخير الله ، فرجع وصلىّ ركعتين وقال : اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك

---

(١) راجع ترجمة البخارى فى تاريخ بغداد ج ٢/ ٤ .

ثم نام فنبهوه فإذا هو ميت (١) .

كذلك رَوَى غُنْجَارُ في تاريخ بخارى قال : كان يحيى بن عبد الغفار الكَشِّي مريضا فعاده عَبْدُ بنُ حُمَيد فقال : لاأبقاني الله بعدك فماتا جميعا : مات يحيى ومات عَبْدٌ في اليوم الثاني فجأة من غير مرض ورفعت جنازتهما في يوم واحد، وروى أن رجلا كذب على مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير وكان مطرف رأسا في العلم والعمل وله جلالة في الإسلام فقال : اللهم إن كان كاذبا فَأَمِتْهُ ، فَخَرَ الرجلُ مكانه ميتا (٢) .

كما روى أن أيوب السختياني (٣) كان في طريق مكة فأصاب الناس عطش وخافوا فقال أيوب تكتمون عليّ ؟ قالوا نعم ، فدور دائرة ودعا فنبع الماء فَرَوَوْا ، وَسَقَوا الجمال ، ثم أمرّ يده على الموضع فصار كما كان » (٤) .

وكان أيوب مع ذلك يقول : إذا ذُكِرَ الصالحون كنتُ عنهم بِمَعْزِلٍ .

٧ - الهيبة والشجاعة :

وهي هيبة نابعة من هيبتهم لله عز وجل ، فمن شدة خشيتهم

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٥١٩ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٦٤ .

(٣) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان البصري أحد الأعلام كان من الموالي قال شعبة : كان أيوب سيد العلماء وكان مالك يقول : كنا ندخل على أيوب فإذا ذكرنا له حديث النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه (ت ١٣١ هـ) انظر تذكرة الحفاظ ١/١٣٠ وانظر كذلك كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧/١٠٤ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١/١٣٢ .

للحق تبارك وتعالى ؛ خشيهم الناس وأكبروهم فى نفوسهم ، ومن مظاهر هذه الهيبة ما رواه بعض من شاهد مالك بن أنس فى حلقته فقال: (كانوا يزدحمون على باب مالك فيقتتلون على الباب من الزحام وكنا نكون عند مالك فلا يكلم ذا ذا ولا يلتفت ذا إلى ذا ، والناس قائلون برؤوسهم هكذا ، وكانت السلاطين تهابه وهم قائلون مستمعون وكان يقول فى مسألة : لا أو نعم ولا يقال له من أين قلت ذا) (١) .

وكان الشافعى رضى الله عنه يريد مقابلة مالك بن أنس فدخل إلى والى مكة وأخذ منه كتابا إلى والى المدينة ليلبى له طلبه فلما أن قرأ والى المدينة الكتاب قال للشافعى : « يافتى إن مشيى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلاً أهون علىّ من المشى إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه » (٢) .

ونظرا لما كانوا يتمتعون به من مهابة فى نفوس الناس لهم ، وإعظام شأنهم حرص الخلفاء على استمالتهم ففى التقرب إليهم سند كبير لملكهم ، لكن هؤلاء ما كان يغريهم الملك ولا يهرج السلطان ومواقف الثورى والأوزاعى مع الخليفة أبى جعفر المنصور والمهدى من بعده مشهورة ، وكان سفيان الثورى لايتودد إليهما ولا يحب لقاءهما وإذا واجههما ما كان ليدع النصيحة .

كذلك مواقف أحمد بن حنبل مع كل من الخليفة المأمون والمعتصم والواثق تشهد بشجاعته النادرة وصلابة كل من كان معه على الحق من

---

(١) الجرح والتعديل ١ / ٢٦ .

(٢) معجم الأدباء ١٧/ ٢٨٥ .

الأئمة الذين صدوا تيار المحنة والقول بأن القرآن مخلوق . ومثل هذا كثير في حياة معظم الأئمة المخلصين .

لذلك نجد أن جمهور الناس كانوا مع أئمة الدين روحاً وقلبا وربما استقبلوا الإمام منهم بأحفل ما يكون ، وقد روى أن هارون الرشيد قدم الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب ، فلما رأت الناس قالت ما هذا ؟ قالوا عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا والله الملك ، لاملك هارون الذى لا يجمع الناس إلاّ بشرط وأعوانٍ » (١) .

وَرَوَى ابنُ الجوزى أن محمد بن سيرين قد أُعْطِيَ هَدْياً وَسَمْتاً وخشوعاً فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله (٢) .

٨ - ظهور الكرامات على أيديهم :

ونجد منهم أقواما اجتهدوا فى العبادة وتفانوا فى الزهد وتعلقوا بحب الله ففضلوا العزلة على لقاء الناس طلبا للسلامة وحرصا على نقاء العمل الذى يوصلهم إلى الجنّة فى الآخرة ؛ روى السيوطى عن ابن وهب أنه قال : ما رأيت أحدا أشد استخفاءً من حيوة - بن شريح - وكان يُعَرفُ بالإجابة ، وكنا نجلس إليه للفقه فكان كثيرا ما يقول : أبدلنى الله بكم عمودا أقوم إليه ، أتلو كلام ربى ، ثم فعل ما قال ، وتألّى ألا يجلس إلينا أبدا ، فكنا نأتيه فيدخل ويغلق الباب دوننا ودونه ويقف يصلى .

---

(١) تحفة الأحوذى المقدمة ١/ ٤٦٣ .

(٢) صفة الصفوة ، لابن الجوزى ٣ / ٢٤٣ .

وقال خالد بن الفزر : كان حيوة بن شريح من البكائين ، وكان ضيق الحال جدا ، فجلست إليه ذات يوم فقلت : لو دعوت الله أن يوسع عليك . فأخذ حصاة من الأرض فقال : اللهم اجعلها ذهبا فإذا هى والله تبر فى كفه فرمى بها إلىّ وقال : هو أعلم بما يصلح عباده (١) .

ونجد مثل هذه الأمور كثيرا فى أخبارهم مما تثير فى النفوس العجب العجاب ، حتى ليكاد المرء أن يكذب ما يروى عنهم فى هذا الشأن ، ولكن لأن الراوى ثقة ، فلا يستطيع الإنسان إلاّ أن يقبلها ولِمَ لا نُصَدِّقُ وهم أولياء الله القائمون بنصرة دينه ؟! .

رَوَى ابنَ سَعْدٍ فى كتاب الطبقات الكبرى أن مُطَرِّفَ بنَ عبدِ الله الشِّخِير (وكان من الثقات من كبار التابعين) كان يسير ذات ليلة ، فلما كان فى وجه الصبح سَطَعَ من رأس سَوْطِهِ نورٌ له شُعْبَتَان فقال لابنه عبد الله وهو خلفه : ياعبد الله أترانى لو أصبحت فحدثت الناس بهذا كانوا يصدقونى ؟! ، قال : فلما أصبح ذهب) (٢) .

كما رَوَى ابنُ سعد فى موضع آخر أن مطرف بن عبد الله الشخير كان وصاحب له يسيران فى ليلة مظلمة فإذا طرفُ عصا أحدهما منيرةٌ فقال أحدهما لصاحبه لو حدثت الناس بهذا لكذبونا ، فقال مطرف : المكذب أكذب) (٣) .

هذا ومن نظر إليهم بهره حسنُ سمتِهم وهديِهم ، فهيأتهم ملفتةٌ

---

(١) السيوطى ، طبقات الحفاظ ص٨٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ٧ ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ١٧٤ .

للنظر فى أغلب الأحوال ، بحيث لايخفى على من أوتى حظا من الفراسة والذكاء أن يميز أحدهم من بين فئات الناس ، مثال ذلك ما رواه عبد الرحمن بن أبى حاتم بسنده عن عبد الله بن صالح البيروتى قال كان سبب طلب الأوزاعى للعلم أنه ضرب عليه بَعْث - يعنى إلى اليمامة - فلما دخلوا مسجدها ويحيى بن أبى كثير (١) جالسٌ فى المسجد فنظر إليهم فقال : أما إنه إن كان عند أحد من هؤلاء القوم خيرٌ فهو عند هذا الفتى - يعنى الأوزاعى - ثم مرّ به وهو قائم يصلى فقال لجلسائه : ما رأيت مصليا قط أشبه بعمر بن عبد العزيز بصلاته من هذا الفتى.» (٢)

هؤلاء هم أهل الحديث وتلك هى أهم صفاتهم وإن كانت هناك لصفاتٌ أخرى عظيمة مثل تجلّلهم عن الحرام وجَيَشَانِ العاطفةِ والبكاء ، ونتذكر أن الإمام أبا عيسى الترمذى قد ذهبت عيناه من طول البكاء تورعا وخشية من الله سبحانه وتعالى ، كذلك صفة حب العزلة والإيثار والتفكر إلى غيرها من الصفات نُعْرِضُ عنها خَشْيَةَ الإطالة ، وفى دراسة هذه الصفات فوائدُ علميةٌ فى غايةِ النفاسةِ يجبُ الإستفادةُ منها .

ولقد صدق يحيى بن يمان حين قال : إن لهذا الحديث رجالا خلقهم الله عزّ وجلّ منذ يوم خلق السماوات والأرض وإن وكيعا منهم) (٣) .

---

(١) هو يحيى بن أبى كثير واسمه صالح بن المتوكل الطائى مولاهم أبو نصر اليمامى قال شعبة هو أحسن حديثا من الزهرى توفى سنة تسع وعشرين ومائة . انظر طبقات الحفاظ ص ٥١ وتذكرة الحفاظ ١ / ١٢٨ .

(٢) الجرح والتعديل ١ / ١٨٦ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٢٢٢ .

خاتمـــة البحث

رأينا على مدى الأبواب الثلاثة فى هذا البحث أن الكتابة لم تنقطع منذ عصر النبى صلى الله عليه وسلم إلى عصر طبقة تبع أتباع التابعين رضى الله عنهم أجمعين . منذُ القرن الأول الهجرى إلى القرن الثالث الهجرى ، فقد كتب أناس من الصحابة وصل عددهم إلى خمسين صحابيا ، ثم أناس من التابعين ذكرنا بعضهم ، ثم كتب أناس من تابعى التابعين ثم انتشر أمر الكتابة وذاع فى طبقة تابع أتباع التابعين بعد ذلك وهى طبقة البخارى (ت ٢٥١) ، وأبى حاتم الرازى (ت ٢٧٥) وأبى زرعة الرازى (ت ٢٦٤) وغيرهم ممن فى طبقتهم .

كما ظهر لنا أَنّ جمهرة عظيمة من الناس سواءالعرب منهم أو العجم كانوا يحفظون كل ماجاء عن النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بحيث لانجد فى التاريخ على مستوى العالم أجمع أمةً حذت حذوهم ، إنما كان حفظُ العلم النبوى من أهم خصائصِ الأمة الإسلامية التى تُمَيِّزُها على سائرِ أجناس البشر فاستحقوا أن يكونوا كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (١) وكذلك قوله عز من قائل : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة ٣: الآية ١١٠

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣

ولقد كان علماء الإسلام يبذلون كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم، يعتبرون أنفسهم جنوداً فى ميدانه ، ورأوا أنه من الواجب عليهم أن يحسنوا التبليغ فيقدموا كل ما فى جعبتهم من العلم للأجيال من بعدهم إسهاما منهم فى تنمية العلم وتزجية الأبحاث ، فطفقوا يسجلون ذلك فى الكتب وجعلوها خزائن علومهم وضمنوها ذخائر فنونهم ومهاراتهم ليسلموها للأجيال القادمة لتكون لهم رصيداً من الثقافة الأصيلة ، ولهذا تحفل المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات منها ما هو مخطوط وما هو مطبوع ، ولكثرتها وضخامتها ما يشهد به العالم من سمو حضارة الإسلام إذ لاتمتلك أمة على الاطلاق مثل ما تملكه الأمة الإسلامية من كتب التراث .

ولا بد لنا من أن نذكر بكل الفَخار أنهم كانوا نماذج من الناس على مستوى عالٍ من الرقى الخُلقى ، يلتزمون الصدق ويتجللون عن الكذب، وهبوا حياتهم لله ، وخصصوا عملهم وأوقاتهم لحفظ سنة نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وصانوا جوارحهم وطهروا بواطنهم تعظيما منهم لحفظ أخباره صلى الله عليه وسلم جيلا بعد جيل ، حتى أوصلوها إلينا غضة نضرة .

وقد ادعى بعض من لايفهم أن السنة إنما كتبت بعد مماته صلى الله عليه وسلم بمائة عام ، اعتقادا منهم بأن ذلك يوهن من شأن الحديث النبوى ، وتشكيكا منهم فى صدق الكتب التى بين أيدينا من مصادر الحديث النبوى ، وهى دعوى باطلة ، لأن الحفظ كان عندهم أوكد من الكتاب ، وأنهم حين كتبوا العلم كانوا يحفظونه ، بل إنهم كانوا يوجهون عنايتهم إلى اختبار حفظ مَنْ كان يَكْتُبُ أولاً وقبلَ كل شىء ، ثم

يسمعون كتابه من بعد تأكدهم من حفظه له وهل هناك فى أمة من الأمم من يحفظ كتابه عن ظهر قلب ؟! ، إنها صفة مقصورة على علماء الحديث فحسب ، لقد كانوا يؤدونه كما يؤدى الرجل أو الصبى القرآن أمام الناس آية آية وسورة سورة . كذلك كان يؤدى الحافظ أحاديث النبى ﷺ أمام الناس حديثا حديثا وخبراً خبراً . ثم يعرض على الحفاظ كتابه ليقولوا رأيهم فيه .

وليعلم من لايعلم أن هذا الحديث النبوى كان يروى على مدى السنين وعلى مدى الآفاق فى الرقعة الإسلامية العظمى من المحيط إلى ما وراء النهر أى أن الرواية كانت تختبر فى كل بلد إسلامى لأن الصحابة تفرقوا فى البلاد التى نزلوها أيام الفتوحات الإسلامية لبلاد العجم ، وأن أهالى تلك البلاد تعلموا العربية وأجادوها ونبغوا فيها حتى صار فيهم كبار الحفاظ ، فلم يكن الحديث يروى فى بلد دون بلد ، إنما كان الحفاظ يخرجون إلى جميع البلدان ليراجعوا حفظهم على حفظ الحفاظ في سائر الأقطار الإسلامية ومن هنا يتبين لنا مدى العظمة التى تتوج رأس هذه الأمة الإسلامية بمراجعة الرواية بين علماء الأقطار الإسلامية الممتدة وهو أمر لم يحدث مثله على مر التاريخ .

ومن الحقائق التى ينبغى أن تعرض على الناس فى زماننا هذا فى سائر أقطار الأرض حتى يعلموا عظمة هذا الدين ، أن معظم الذين كتبوا كتب الحديث والسنن هم من الموالى من أبناء العجم وليسوا عرباً ، فالبخارى مثلا من بخارى من ولاية أوزبكستان ، والدارمى من سمرقند ، ومسلم بن الحجاج من نيسابور ، وأبو داود من سجستان ، وإسحاق بن راهوية شيخ البخارى من مرو ، وابن ماجه من قزوين وعدد كبير من

المصنفين والمؤلفين هم من أبناء البلاد المفتوحة كانوا من الأئمة ويكفى أن نقول إن علامة التابعين الشعبى كانت أمه من سبى جلولاء .

وفوق كل هذا وذاك أن علماء هذه الأمة قد تصدوا لرواية الحديث النبوى مما يشهد لهذه الأمة بالعظمة وبالصدق والأمانة ، ذلك أنهم عمدوا إلى نقد الرواة والتحرى عنهم ولم يتركوا الأمر لمن بعدهم بل إنهم نبهوا على الصحيح والزائف ، والقوى والضعيف ، حتى لايأتى فى زمان كزماننا هذا من يشكك فى صحة نسبة الحديث إلى مصدره الحقيقى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان مرفوعا أو إلى الصحابى إذا كان موقوفا أو إلى التابعى إذا كان مقطوعا ، وذكروا لنا من الأدلة والبراهين ما يجعلنا على بيّنة من الأمر ، فى كل ما تركوه ، وقد جمعوا لنا القواعد الدقيقة فى علوم الحديث ودوّنوا لنا أخبار رواته الموثقين منهم والضعفاء والمجروحين . هكذا فى كل عصر حتى وضعوا كلَّ راوٍ فى موضعه ، ولا نجد لدى الأمم قاطبة علماً مثل علم الجرح والتعديل الذى عدوه أمانة من الأمانات ، فإذا أردنا أن نكشف عن صحة حديث لم نعلم قوته من ضعفه لجأنا إلى كتب الجرح والتعديل التى تكشف لنا عن مدى صحة الراوى من ضعفه حتى نستطيع أن نخلص إلى الحكم المقنع .

هذا وإن كان بحثنا قد توقف عند نهاية القرن الثالث الهجرى ، إلا أننا نجد أن حركة الجمع والتدوين قد استمرت ربما إلى القرن العاشر الهجرى ، وظهرت كتب عديدة غير الكتب الستة التى أجمع على قبولها علماء المسلمين لاسيما أهلُ الشرق بعد أن مَحَّصُوا ما فيها من الحديث ووضعوا لها درجات الصحة المناسبة لها واتفقوا على أن الصحيحين أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل ، ويأتى بعدهما فى المرتبة السنن

الأربعة ثم يضم إلى ذلك الموطأ للإمام مالك والمسند لأحمد بن حنبل وسنن الدارمي ، ولايعني ذلك أنهم أهملوا باقي الكتب المؤلفة في الحديث النبوي فهناك كتب صحيحة كصحيح ابن خزيمة ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ومصنف أبي بكر بن شيبة وغيرها من المؤلفات ، و للتيسير على الأمة قدموا هذه الكتب المشهورة ، ونحن نجد كتبا أخرى ظهرت كي تستدرك على الصحيحين ما فاتهما من الأحاديث الصحاح مثل مستدرك أبي عبد الله الحاكم النيسابوري الذي استدرك على الصحيحين أحاديث كثيرة ووصفها بالصحة ، ولايزال الأمر يحتاج إلى جهود علمائنا المخلصين في استخلاص ما صح من الأحاديث واتسم بقوة مخرجه من تلك الكتب .

والذي نستطيع أن نستخلصه من هذا البحث عدة حقائق جديرة بأن نعتز بها ونفاخر بها الأجيال من كل أمة ألا وهي :

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين نهى في مبدأ الأمر عن كتابة كل ما يصدر عنه من قول أو فعل إنما أراد به ألاّ ينشغل الناس بالكتابة لحديثه عن حفظ القرآن وكتابته لئلا يخلطوا كلامه صلى الله عليه وسلم بكلام الله عزّ وجل .

٢- أنه صرح لبعض صحابته بالكتابة عنه دون بعض حتى إذا كان عام الفتح صرح للناس بكتابة حديثه صلى الله عليه وسلم حين قال : (اكتبوا لأبي شاة) وقال : (قيدوا العلم بالكتاب) فكان أن كتب بعض الصحابة وقد ذكرنا عددا منهم .

٣- أن الصحابة رأو أن زمانهم لايحتاج إلى كتابة الحديث بعد أن رحل

النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى لكثرة علمهم به ولقرب العهد به صلى الله عليه وسلم وتشددوا فى كتابة حديثه لئلا يشغلوا الناس بالحديث عن رسول الله ولأن القرآن أولى بالعناية والحفظ أولا فكتبوا القرآن ولم يكتبوا الحديث حتى لايقدموا للناس كتابين فى آن واحد يقولون هذا قرآن وهذا حديث رسول الله فيقع بذلك الخلط والالتباس ، ولكنهم حسموا الأمر بكتابة القرآن بشهادة الأمة عليه،وتشددوا فى كتابة الحديث فى الجيل الأول منهم، أما جيل صغار الصحابة فرأوا أن يعلموا الناس كتابة الحديث ويحضوهم على ذلك ومنهم أنس بن مالك وأبو هريرة وعبد الله بن عباس .

٤ - أنه حين وقعت الحرب بين علىّ بى أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان نشأت بذور الفتن بين صفوف المسلمين وانقسم المسلمون إلى ثلاث فرق : خوارج وشيعة وأهل سنّة ، ومن الخوارج والشيعة ظهرت البدع ، ومن الفريقين بدأ يظهر الكذب على رسول الله ، وكانت فرقة الشيعة على وجه الخصوص أولَ الناسِ كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرَهم وَضْعاً للأحاديث المنكَرة.

٥ - أن هناك فريقا من الناس سموا بالزنادقة دسوا على المسلمين كثيرا من الأحاديث اختلقوها وَمَوَّهوا على أهل الدين فيها لكنّ أهلَ العلم رفعوا فى وجوههم سلاحاً ماضيا هو سلاح الإسناد فقضوا على معظم أحاديثهم الباطلة وطهّروا السنّة منها .

٦ أن التدوين بمعنى جمع أحاديث الرسول ﷺ وكتابتها فى الصحف كان اجتهادا فرديا ، ثم أصبح أمرا سلطانيا من الخليفة العادل عمر

ابن عبد العزيز فأقبلت الأمة على كتابته وتدوينه فى الكتب المصنفة.

٧- أن المسلمين فى شتى بقاع الأرض كانوا يقبلون على الأحاديث يحفظونها على مر الأجيال ، حيث علّم الصحابة التابعين ثم ورّث التابعون علومَهم إلى تابعى التابعين حفظا وكتابة على مر الأجيال حتى جاءت أجيالُ تَبَعِ أَتباعِ التابعين فنقلوا عنهم الأحاديثَ والأخبارَ حفظا وكتابة ، وأنهم لم يهملوا الحفظ لوجود الكتابة بل الحفظ أولا ثم الكتاب ثانيا . وكان ذلك هو المنهج الأمثل فى تدوين العلم .

٨- أن حفظ الحديث وتعليمه للناس كان على مستوى جميع البلاد الإسلامية فى المساجد وفى بيوت الحفاظ ، ولم ينقطع لمدة طويلة من الزمان ، وكانت المساجد بمثابة الجامعات التى يتخرج فيها حفاظ الحديث ، وأشهر البقاع التى تميزت بحفظ الحديث ورواته كانت الحجاز ، فى مكة والمدينة ، ثم العراق فى الكوفة والبصرة ثم انتشر العلم بعد ذلك فى مراكز حضارية بخراسان وما وراء النهر ، واليمن ومصر ثم بلاد المغرب .

٩- أن حركة النقد صاحبت رواية الحديث منذ عصر الصحابة حتى القرن الثالث الهجرى ، ثم استمرت بعد ذلك حيث ألفت الكتب فى علم الرجال وهو علم ليس لأمة من الأمم على مر التاريخ إلى يومنا هذا فهو من خصائص هذه الأمة التى وصفها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس .

١٠- أنه باستطاعتنا الآن أن نجمع الكتب التى كتبها التابعون من أمثال الزهرى وكثيرِ بنِ مرةِ الحضرمِى وأبِى بكرِ بنِ حزمٍ وغيرهم وما

كتبه الصحابة من أمثال ابن عباس وأنس بن مالك وعمرو بن حزم وغيرهم مما يتوافر لدينا من الكتب والمخطوطات ، وذلك هو رأى فؤاد سيزكين الذى ذكره فى كتابه « تاريخ التراث الاسلامى» ، وقد تم عمل ذلك فى كتابين ظهرا فى عصرنا هذا الأول بعنوان صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه نشرتها مكتبة الخانجى بالقاهرة بتحقيق الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب فى طبعتها الأولى سنة ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م . والكتاب الثانى هو أحاديث الصادقة صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص بتحقيق وتوثيق السيد الأستاذ / محمد سيف عليش نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب فى سنة ١٩٩٥ م .

وهكذا يمكن أن نعيد صورة ما كتبه القدماء للناس فى عصرنا عصر النور والحضارة.والفضل فى ذلك يرجع فى الحقيقة إلى كل الجهود التى بذلها المسلمون فى كل عصر لصيانة أحاديث النبى المجتبى صلى الله عليه وسلم لينتفع بها الناس إلى يوم الدين .

والحمد لله حمدا يليق بكماله وجلاله ثم الصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن نهج على منواله ،

المؤلف

فهرس المصادر والمراجع

* ابن الأثير ؛ على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى .

١ - الكامل فى التاريخ ؛ طبعة مدينة ليدن - بمطابع بريل سنة ١٨٦٦.

* الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر

٢ - كتاب الحيوان ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٤٠ م

* ابن الجوزى ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على (ت٥٩٧)

٣ - الحث على حفظ العلم ، نشر دار الدعوة بالاسكندرية .

٤- صفة الصفوة ، بتحقيق محمود فاخورى ، حلب ، سنة ١٩٧١ .

٥ - كتاب الموضوعات ، بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدنية المنورة. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

* أبو حاتم البستى ، محمد بن حبان بن احمد التميمى

٦ - كتاب المجروحين ، بتحقيق محمود ابراهيم زايد ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٢ هـ - الناشر دار الوعى بحلب .

* ابن أبى حاتم الرازى عبد الرحمن بن محمد بن إدريس

٧- الجرح والتعديل ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد الدكن بالهند ، سنة ١٩٥٢ ، نسخة مصورة دار الكتب العلمية ببيروت .

* الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبد الله النيسابورى

٨ - معرفة علوم الحديث ، بتحقيق وتعليق السيد معظم حسين دار الكتب العلمية ببيروت ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .

* ابن حجر العسقلانى .، أحمد بن على (ت ٨٥٢)

٩ - تهذيب التهذيب ، دار صادر من أصل طبع بالهند سنة ١٣٢٥هـ

* ابن خلكان ؛ أحمد بن محمد بن ابراهيم البرمكى (ت ٦٠٨)

١٠ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - دار الثقافة ببيروت .

* أحمد الحوفى ،

١١ - الطبرى ، طبعة سلسلة أعلام العرب .

* أحمد فريد رفاعى

١٢ - عصر المأمون ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ م.

* البخارى ، محمد بن اسماعيل (٢٥٦)

١٣ - صحيح البخارى ، طبع كتاب الشعب سنة ١٣٧٨ هـ .

* بكرى شيخ أمين

١٤ - أدب الحديث النبوى ، دار الشروق - الطبعة الرابعة . ١٩٧٩ م

* الترمذى ، محمد بن عيسى بن سورة (.٢٧٩)

١٥ - الجامع الصحيح ، طبعة الحلبى وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨ .

١٦ - الجامع الصحيح ، طبعة المكتبة السلفة لصاحبها محمد عبد المحسن الكتبى ، مطبعة الفجالة الجديدة بمصر .

* جميل سلطان ،

١٧ - أبو تمام ،

طبعة المطبعة الهاشمية بدشمق سنة ١٩٥٠ .

* الحاكم النيسابورى ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥)

١٨ - معرفة علوم الحديث ، بتحقيق وتعليق ا.د السيد معظم حسين ، دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الثانية سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م

* حسن أحمد محمود

١٩ - العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٨٠ م .

* الحكيم الترمذى ؛ ابو عبد الله بن محمد (ت ٢٥٥)

٢٠ - كتاب نوادر الأصول فى معرفة أحاديث الرسول ، بتحقيق د. احمد عبد الرحيم السايح ، ود / السيد الجميلى ، دار الريان للتراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

* الخطيب البغدادى ؛ ابو بكر احمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣)

٢١ - تاريخ بغداد ، مكتبة الخانجى ، والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة ، سنة ١٩٣١م .

٢٢ - تقييد العلم ، بتحقيق د. يوسف العش طبعة دمشق سنة ١٩٤٩ .

٢٣ – الكفاية فى علم الرواية ، بتقديم المحدث حافظ التيجانى ، طبعة أولى سنة ١٩٧٢ .

* الدارمى ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام

٢٤ – سنن الدارمى ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبع بعناية محمد احمد دهمان ، نشرته دار احياء السنّة النبوية .

* الذهبى ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨) .

٢٥ – تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان .

* الذهبى ، محمد السيد حسين .

٢٦ – الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، مجمع البحوث الاسلامية الكتاب رقم ٣٧ .

*. الرازى ، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت ٦٠٦)

٢٧ – اعتقادات فرق المسلمين ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٨ .

* السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢)

٢٨ – الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، الناشر دار الكتاب العربى – بيروت سنة ١٩٨٣ .

٢٩ – فتح المغيث ، شرح ألفية الحديث ، طبع القاهرة .

ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدى (ت ٢٣١)

٣٠ – الطبقات الكبرى ، طبع دار التحرير بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .

* السمعانى ، عبد الكريم بن محمد بن منصور

٣١ – أدب الاملاء والاستملاء ، دار الكتب العلمية ببيروت . الطبعة الأولى ١٤٠١ – ١٩٨١ .

* السكسكى ، عباس بن منصور الحنبلى (ت ٦٨٣)

٣٢ – البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ، بتحقيق خليل أحمد ابراهيم الحاج ، دار التراث العربى الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ .

* السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١) .

٣٣ – تدريب الراوى بشرح النواوى ، دار الكتب الحديثة . ط ٢ القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

٣٤ – طبقات الحفاظ ، بتحقيق على عمر ، الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة. الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

* الشحات السيد زغلول

٣٥ – جهود المسلمين فى توثيق الحديث النبوى ، طبعة سنة ١٩٨٦ نشر دار الثقافة اسكندرية .

* الشهرستانى ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم

٣٦ – الملل والنحل ، بتحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، نشر مؤسسة الحلبى . القاهرة .

* شوقى ضيف

٣٧ - العصر العباسي الأول ، طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥.

* صالح بن احمد بن حنبل

٣٨ - سيرة الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق د/ فؤاد عبد المنعم طبعة دار الدعوة بالاسكندرية الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

* ابن عبد البر ، يوسف بن عبد البر القرطبى (٤٦٣)

٣٩ - بهجة المجالس وأنس المجالس ، بتحقيق محمد مرسى الخولى ومراجعة عبد القادر القط - دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧ .

٤٠ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٩٧٨ م . دار الأرقم .

* عبد المجيد محمود

٤١ - أبو جعفر الطحاوى . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ .

* على سامى النشّار

٤٢ - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - دار المعارف الطبعة الخامسة ، ١٩٧١ .

* ابن العماد الحنبلى ، (ت ١٠٨٩)

٤٣ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة ببيروت .

* عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ)

٤٤ - الإلماع فى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، بتحقيق احمد صقر ، المكتبة العريقة - تونس طبعة ١٣٨٩ هـ .

* الغزّالى ، أبو حامد محمد بن محمد

٤٥ - احياء علوم الدين ، طبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ط. سنة ١٩٣٩ م .

* ابن قتيبة الدينورى :

٤٦ - عيون الأخبار ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .

* ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر (ت٧٥١)

٤٧ - أعلام الموقعين عن رب العالمين ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة سنة ١٩٨٠ م .

٤٨ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، طبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة .

* أبو الليث السمرقندى ، نصر بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٩٣)

٤٩ - بستان العارفين فى الآداب الشرعية - بتحقيق عبد الفتاح حسين الزيات ، مكتبة فياض بالمنصورة .

* ابن ماجه ، القزوينى : أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥).

٥٠ - سنن ابن ماجه بتعليق محمد فؤاد عبد الباقى طبعة دار الفكر

* المباركفورى ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣)

٥١ – تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، مراجعة عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر عبد المحسن الكتبى صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . مطبعة المعرفة بالقاهرة .

* محمد أبوشهبة ،

٥٢ – فى رحاب السنة ، سلسلة البحوث الاسلامية .

* محمد حسين هيكل

٥٣ – حياة محمد ، مكتبة النهضة المصرية طبعة تاسعة ١٩٦٥م

* محمد حميد الله –

٥٤ – مقدمته لكتاب سيرة ابن اسحاق الصفحة يا – نشر معهد الدراسات والابحاث : مطبعة محمد الخامس فاس – المغرب – ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٦ م

* محمد رجب البيومى .

٥٥ – خطوات التفسير البيانى

* محمد على حيدر

٥٦ – الدويلات الإسلامية فى المشرق – نشرعالم الكتب – القاهرة ١٩٧٤ .

* مختار القاضى .

٥٧ – أثر المدنية الاسلامية فى الحضارة الغربية .

طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

* مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١)

٥٨ - صحيح مسلم ، طبع عيسى البابى الحلبى .

* ابن النديم ، محمد بن اسحاق النديم .

٥٩ - الفهرست - طبعة المطبعة الرحمانية بمصر .

* النووى ، يحيى بن شرف بن مرى الخزامى (٦٧٦)

٦٠ - صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة.

* ياقوت الحموى

٦١ - معجم الأدباء - مطبوعات دار المعارف

الفهـــــرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس